الفصل الثالث

قسوة القلب
وجفاف ماء الوجه

إطلالة

عندما يقسُوا القلبُ، وتتبلدُ الجوارحُ والمشاعرُ، ويجفُّ حياءُ ماءُ الوجهِ، ويزدادُ اللغطُ، بلا ضوابطَ شعريةٍ، ولا عقليةٍ، ولا إنسانيةٍ، ولا نفسيةٍ، فتَوَقَّعْ أَنَّ كلَّ شَيْءٍ مَنْهِيٌّ عنُه فى الوجود يُصْبِحُ مُبَاحًا، فَعِنْدَ ذلك تَوَقَّفْ على الفورِ، وَتَذَكَّرْ قولهُ ﷺ: (مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ) (١)

وَيَصْدُقُ فِى ذَلِكَ:

إِذَا ذَهَبَ مَاءُ الْوَجْهِ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ... وَلاَ خَيْرَ فِى وَجْهٍ إِذَا ذَهَبَ مَاؤُه

المَبَاحِثُ:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ: فِكْرُ الجَمَاعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.**
- **المَبْحَثُ الثَّانِى: فِكْرُ جَمَاعَةِ الإِخْوَانْ.**

(١) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، ومسند الإمام أحمد من حديث جرير - رضي الله عنه -، ورواه الإمام أحمد، والترمذى أيضًا من حديث أبى سعيد - رضي الله عنه -، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٦٥٩٧).

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

فِكْرُ الْجَمَاعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ

الجماعة الإسلامية خرجت من رحم الإخوان المسلمين، فأصبح المصدر لهذا الفكر تقريبًا واحدٌ، وقبل أن نتطرق إلى هذا الملف، لاَبُدَّ لنا أن نذكر فترة الثمانينات، والتسعينيات، ولكى نعرف تلك الحقائق، لابد لنا أن نعلم عدة نقاط:

- أولاً: من هم؟
- ثانياً: ما فكرهم؟
- ثالثًا: من أين جاءوا بهذا الفكر؟
- رابعًا: ما حكمهم على المجتمع؟

أولاً: مَنْ هُمُ الْجَمَاعَةُ فِى تِلْكَ الْفَتْرَةِ؟

تأسست الجماعة فى فترة الثمانينات على يد مجموعة من الشباب لم يَتَعَدَّ الواحد منهم عشرين عَامًا، مِمَّا دعى إلى الاستيلاء على عقولهم وتغييبها وانخراطها نحو دغدغة العواطف بسبب الكلمات الرَّنَّانة، واستعراض القوى أمام الجيران الذين وصفوهم بالأبطال.

مجموعة الشباب: أسامة حافظ – صلاح هاشم – ناجح إبراهيم – كرم زهدى.

- وتتمثل قيادة الجماعة فى داخل السجن من:

كرم زهدى – ناجح إبراهيم – عبود الزمر – عاصم عبدالماجد – عصام درباله – على الشريف

- وفى خارج السجن من:

طلعت فؤاد قاسم – رفاعى طه – طلعت يس – صفوت عبدالغنى – محمد مختار –

على الديناري – أحمد عبده سليم – عبدالآخر حماد – حسني محمود – أحمد عبدالرحمن

وكان يغيب في تلك الفترة (صلاح هاشم)، لعمله في السعودية.

وكان مسرح العمليات في تلك الفترة، أي: فترة الثمانينات مدينة أسيوط.

ثانياً: فِكْرُ الْجَمَاعَةِ

الجماعة الإسلامية منذ ذلك التاريخ أصبحت ذاتِ طابعٍ سلفيٍّ متشددٍ يعتمد على كتب التراث، حتى أصبحت هذه الكتب هي المصدر والمعينَ لواسع فكرها، والذي تم القبض على مؤسس الجماعة محمد عبدالسلام فرج والذي كان يعمل بشكلٍ سرِّيٍّ في خطة أحداث اغتيال الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) عام ٨١م، وَحُكِمَ على أغلب مجلس شورى الجماعة بالسجن المؤبد، ويمثل كتاب (الفريضة الغائبة) لمحمد عبدالسلام فرج الأيدلوجية الحقيقية للجماعة قبل أن تصبح لها أبحاث ومؤلفات، والحقيقة أنه لم يُرَ هذا الكتاب مُطْلَقًا ولكن يُقَالُ أن: محمد عبدالسلام تكلم عن مبدأ إغفال الجهاد بالرغم من أهميته الْقُصْوى وخطورته الْعُظْمَى على مستقبل الأمة والدين، ويصوغ (فرج) الأفكار ويحدد موقعه من الواقع وهو الدار ويقول: (إِنَّ مِصْرَ دَارَ كُفْرٍ) اسْتِرْشَادًا بفتوى، لابن تيمية في الفتاوى الكبرى، ويقول: (بجواز الخروج على الطائفة التي امتنعت عن الشريعة الإسلامية) والاستراتيجية تتحدد وفق قوله بمعيارين هما: تحديد العدو القريب، والعدو البعيد، وأن القتال فَرْضٌ ويقول أيضًا: (بأن هناك من يقول، بأن ميدان الجهاد هو تحرير (القدس) كأرضٍ مقدسةٍ، والحقيقة أَنَّ تحريرَ الأراضي المقدسة أَمْرٌ شَرْعِيٌّ وَاجِبٌ على كل مُسْلِمٍ، ولكن يجب أن نوضح أن قتال العدو القريب أَوْلَى من قتال العدو البعيد) وهو يقصد بالطبع بالعدو القريب حكام المسلمين، لقد أصبح كتاب الفريضة الغائبة وكتابات (سيد قطب) هما الأساس للتبرير الفقهي لكل الأعمال التي قامت بها الجماعة بعد ذلك [1].

(١) الخروج من بوابات الجحيم. لماهر فرغلي (ص: ٤٠).

ثَالِثًا: مِمَّنْ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ؟

لقد قامت الجماعة الإسلامية بأعمال القتل والعنف فى فترة الثمانينات وَبَرَّرَتْهُ فِكْرِيًّا من خلال تَصَوُّرِهَا، ومن خلال بعض الكتب والتى من أهمها، تفسير ابن كثير، والعقيدة الطحاوية، ومعارج القبول (للحافظ بن الحكمى)، ونيل الأوطار (للشوكانى)، ورياض الصالحين (للنووى)، وكتاب الفريضة الغائبة (لمحمد عبدالسلام فرج)، وأفكار (سيد قطب)، و(محمد قطب)، و(مصطفى شكرى)، (سيد أبو الأعلى المودودى) وكل هذه الأفكار كانت تَتَمَرَّدُ على النظام الحاكم فى مصر وَتُسَمِّهِ بالجاهلية، وكتب ابن تيمية، وابن القيم، حتى أصبحت شخصية ابن تيمية مع سيد قطب مِحْورًا لجميع الأفكار خصوصًا فى اللقاءات والمحاضرات، وخطب الجمعة حول جاهلية المجتمع ومفهوم الحاكمية، ورسالة صغيرة سُمِّيَتْ (بالرسالة الليمانية)، لأن صاحبها كتبها فى (ليمان طره) وعنوان (حتمية المواجهة) والذى قام بجمعه (كرم زهدى) والتى قامت الجماعة بتوزيع أربعة آلاف نسخة تَحُثُّ على حتمية المواجهة أى: مواجهة (النظام) وكتابٌ آخر اسمه (ميثاق العمل الإسلامى) كتبه: ناجح إبراهيم - وعصام دربالة - وعاصم عبدالماجد عام ٨١، وكان الباب الأول من هذا الكتاب قد كُتِبَ فيه: (الجهاد سبيلنا)، والجهاد من وجهة نظر الجماعة، ليس لمن اغتصب الأراضى المحتلة، ولكنهُ جِهَادٌ دَاخِلِىٌّ، أى: جهاد السلطة الحاكمة، وتكفير النظام ومن يواليه، وهذا الكتاب كان يقع فى ٢٨٥ صفحة، وأصبح فى تلك الآونة كالقنبلة الموقوتة.

رَابِعًا: حُكْمِهِمْ عَلَى الْمُجْتَمَعِ

كل هذه الكتب التى ظهرت على الساحة وفى تلك الآونة كَفَّرَتْ السلطةُ، أو النظامُ وَمَنْ يُوَالِيهَا، وبالتالى كَفَّرَتْ بقية المجتمع الذين لا يؤيدون فكرهم، وكانت نتيجة هذا الفكر المتوارث من فكر الخوارج والتكفيريين أدى إلى كثير من الاغتيالات فى المجتمع المصرى وغيره.

فتنة التكفير فى تلك الآونة منشؤها فكر (سيد قطب):

- إن سيد قطب هو أبرز مفكرى الجماعات الإسلامية، وجماعة الإخوان وقد ظهر وَاضِحًا جَلِيًّا مما نص عليه فى كتاباته:

لقد كَفَرَ (سيد قطب) عَامَّةُ المسلمين، بمن فيهم المؤذنين الذين يُرَدِّدُونَ (لا إله إلا الله) على المآذن، وَلَوْ قَدَّمُوا الشعائر لله وحده (فى مواقف كثيرة من مؤلفاته).

يقول: (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريقٌ يُرَدِّدُ على المآذن: لا إله إلا الله).

ثم يستطرد قائلاً: (البشرية عادت إلى الجاهلية وَارْتَدَّتْ عن لا إله إلا الله، والبشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يُرَدِّدُونَ على المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله، بلا مدلولٍ ولا واقعٍ، وهؤلاء أثقل إثمًا، وَأَشَدُّ عذابًا يوم القيامة لأنهم ارْتَدُّوا إلى عبادة العباد من بعدما تبين لهم الْهُدَى ومن بعد أن كانوا فى دين الله [1].

- ثم يقول فى موضع آخر من (الظلال):

باعتبار أن جميع المجتمعات التى تُظِلُّ المسلِمينَ، أنها فى جاهليةٍ وَرِدَّةٍ وشركٍ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ: (ولو اعتقدوا أن لا إله إلا الله، وَأَدَّوا شعائر العبادة لله وحده، بسبب ارتكابهم صغائر الذنوب، أو المباحات باتخاذهم أعيادًا، ومواسمَ، وأزياءَ، وعاداتَ، وتقاليدَ، ونظم حياة لم يشرعها الله، أَمَّا عن عُبَّادِ الأصنام والأوثانِ من المشركينَ: (ما كان شركهم الحقيقى من هذه الجهة (عبادة الأصنام تقربًا إلى الله وطلبًا للشفاعة إليه)، ولا كان إسلام من أسلم متمثلاً فى مجرد التخلى عن الاستشفاء بهذه الأصنام)[2].

ثم يقول فى كتابه (معالم فى الطريق) (ويدخل فى إطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات

(١) ظلال القرآن سيد قطب: (٢/ ١٠٥٧).

(٢) المصدر السابق: (٣/ ١٤٩٢).

التى تزعم لنفسها أنها مسلمة، لا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل فى هذا الإطار، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها) [1].

وكان نتيجة الأفكار المتزاحمة فى رأس (سيد قطب) الشركية والتكفيرية، وَوَصْفَهُ لمجتمعات المسلمين، بأنها مجتمعات تعيش فى جاهلية جهلاء، أعطى لنفسه الحق أن يطلب من جميع المسلمين فى هذا العصر (قادتهم وشعوبهم) هَجْر جماعة المسلمين واعتزال مساجدها فى قوله: (لا نجاة للعصبة المسلمة فى كل أرض مِنْ أَنْ يقع عليها العذاب، إلا بأن تنفصل عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعورًا كاملاً بأنها هى الأمة المسلمة، وَأَنَّ مَا حَوْلَهَا ومن حولها ممن لم يدخلوا فيها دخلت فيه، جاهلية وأهل جاهلية) [2].

وَيَقُولُ أَيْضًا فى تفسيره، لقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس: ٨٧).

(يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية (المساجد) واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تُحسُّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلى) [3].

وبذلك، فقد وصف (سيد قطب) بيوت الله فى بلاد المسلمين اليوم (معابد الجاهلية) ووصفها أيضًا بأنها (مساجد الضرار) وأوصى أتباعه باعتزالها والصلاة فى البيوت مخالفًا صريح الكتاب وصحيح السنة وسبيل المؤمنين، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ (النور: ٣٦)، وأين من قول رسول الله ﷺ: (إِنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ فِى الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا) [4].

---

(١) معالم فى الطريق: (ص: ١٠١).

(٢) الظلال: (٤/ ٢١٢٢).

(٣) الظلال: (٣/ ١٨١٦).

(٤) الحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، ومختصر البخارى (٢٦٥)، ومختصر مسلم (٣٢٢)، وصحيح الجامع برقم: (٢٠٩٨-٩٤٤).

وبما أنه قد حَثَّ على الاعتزال عن المجتمع، فبالضرورة أيضًا أنه لا يصلى صلاة الجمعة، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة: ٩).

وهذا رسول الله ﷺ يُرَغِّبُ فى صلاة الجمعة فيقول: (مَن اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ الْإِمَامُ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَ يُصَلِّى مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةَ أَيَّام)[1].

فمن أراد أن يطبع الله على قلبه، أَوْ أَنْ يَعِشْ على النفاق، فليتبع كلام هذا الدَّعِىِّ، فقد روى الطبرانى فى الكبير من حديث أسامة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ)[2].

ثُمَّ يُرَهِّبُ رسول الله ﷺ تاركى صلاة الجمعة فيقول: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقُ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ)[3].

وبذلك فقد أفرز هذا الْفِكْرُ الضَّحْلُ الهجرة من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر، ومن العمران إلى حياة الكهوف فى الصحراء، وهى الجماعات الإرهابية التى توجد فى سيناء الآن، والذى أصبح منهجهم التفجير، أو الاغتيال، أو منازعة وُلاَةِ الأمرِ والتصدى لهم بالعنف والإرهاب.

---

(١) الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٦٠٦٢-٢٠٠٣).

(٢) الحديث صحيح بشواهده: عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ١٩٢) للطبرانى فى الكبير، وجاء فى الترغيب (للمنذرى) برقم:(١٠٩٢)، وصحيح الترغيب للألبانى برقم: (٧٣١)، وصحيح الجامع برقم: (٦١٤٤).

(٣) رواه مسلم والحاكم بإسناد على شرطيهما عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة ... الحديث. برقم: (٦٥٣)، والحاكم: (١/ ٢٩٢)، ورواه الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وجاء فى مختصر مسلم برقم: (٣٢٦)، والروض النضير برقم: (٦٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٥١٤٢).

- أما فكر (محمد قطب) فهو فِكْرٌ جَانِحٌ إلى التكفير، ويطابقُ فكر الخوارج الذى يخالفُ منهج أهل السنةِ والجماعةِ، فالخوارج لهم نظرة خاصة فى الإمام معقدةٌ، لأن الْحُكَّامَ فى نظرهم لا يستحقون الخلافة؛ لعدم شروط الخوارج القاسية فيهم، إضافة إلى أنهم فَسَّرُوا الْخِلاَفَ بين عَلِيٍّ، ومعاوية - رضي الله عنهما - بأنهُ نِزَاعٌ حول الخلافةِ، ومن هنا استسهلوا الخروج على عَلِيٍّ ومعاوية من بعده، فكانوا يرددون فى خطبهم ومقالاتهم، أن الحكام ظلمة والمنكرات فاشية، والواقع أنه حينما خرجوا فعلوا أضعاف ما كان موجوداً فى المظالم والمنكرات [1].

وَيَتَفِقُ هذا الفكر تمامًا مع فكر جماعة (التكفير والهجرة) وهذه الجماعة نهجت فكر الخوارج فى التكفير والخروج على الحكام، فتبلورت أفكار ومبادئ جماعة المسلمين والتى عُرِفَتْ بجماعة (التكفير والهجرة) فى السجون المصرية وخاصة بعد اعتقالات ١٩٦٥م والتى أُعْدِمَ على أثرها (سيد قطب) وإخوانه بأمر من (جمال عبدالناصر) حاكم مصر آنذاك، وفى سنة ١٩٦٧م طلب رجال الأمن من جميع الرعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة فانقسم المعتقلون إلى فرقٍ ثَلاَثْ:

الفريق الأول: وهو الفريق الذى سارع إلى تأييد الرئيس ونظامه بُغْيَةَ الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم، وزعموا أنهم يتكلمون باسم الجماعة.

الفريق الثانى: وهو فريق الدعاة المعتقلين، فقد لجأوا إلى الصمت ولم يعارضوا، أو يؤيدوا باعتبار أنهم فى حالةِ إكراهٍ، بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وأعلنت كفر رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أَيَّدُوا السلطة من إخوانهم مُرْتَدِّينَ عن الإسلام ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كُفَّارٌ، لأنهم موالون للحكام وبالتالى، فلا ينفعهم صَوْمٌ، وَلاَ صِيَامٌ وكان إمام هذه الفتنة ومهندس أفكارها الشيخ

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. مصطفى بن محمد بن مصطفى (ص: ١٠٥).

(على إسماعيل) والذى اصبح إمَامًا لهذه الفئة من الشباب داخل المعتقل، وهو أحد خريجى الأزهر، وشقيق الشيخ (عبدالفتاح إسماعيل) وأحد الستة الذين تَمَّ إعدامهم مع (سيد قطب) وقد ساغ الشيخ (على) مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أُطُرٍ شَرْعِيَّةٍ حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسُّنة ومن حياة الرسول ﷺ فى الفترتين (المكية والمدنية) متأثرًا بأفكار الخوارج؛ إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التى كان ينادى بها.

- أما فكر (شكرى أحمد مصطفى (أبو سعد) والذى انبثقت أفكاره من أفكار الشيخ (على عبده إسماعيل)، بل أصبح فكره أكثر تطرفًا وإرهابًا على أرض الواقع، وهو من مواليد قرية (الحواتكة بمحافظة أسيوط ١٩٤٢م، وهو أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥م لانتسابهم لهذه الجماعة وكان عمره وقتئذٍ ثلاثة وعشرين عامًا، تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ (على عبده إسماعيل) وهذه الأفكار قد أدت إلى تنفيذ حكم الإعدام فيه وفى إخوانه فى القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م، وفى ٣٠ مارس ١٩٧٨م. قد تم إعدامه هو ومن شارك معه وهم خمسة من قادات الجماعة فى قضية مقتل وزير الأوقاف الشيخ (محمد حسين الذهبى).

أَفْكَارُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ وَمُعْتَقَدَاتُهَا:

* إن التكفير عنصر أساسى فى أفكار ومعتقدات هذه الجماعة.
- فهم يكفرون كل من ارتكب كبيرة وَأَصَرَّ عليها وَلَمْ يَتُبْ.
- يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاقٍ ودون تفصيل.
- يكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضًا بإطلاق ودون تفصيل.
- يكفرون العلماء، لأنهم لم يكفروا هؤلاء، ولا أولئك.

- يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم، ولم يقبله، أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ولم يبايع إمامهم، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مُرْتَدٌ حَلاَلٌ دَمُهُ، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهى كافرة مارقة عن الدين، وكل من أخذ بأقوال الأئمة، أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة، أو بالقياس، أو بالمصلحة المرسلة، أو بالاستحسان ونحوهما فهو فى نظرهم مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

- يتصورون أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجرى كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد.

- قول الصحابى وفعله ليس بحجة عندهم، ولو كان من الخلفاء الراشدين.

- لا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامى، لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد فى القرآن الكريم فقط.

- لا قيمة لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد، لأن كبار علماء الأمة فى القديم والحديث بزعمهم مُرْتَدُّونَ عن الإسلام.

قالوا بِحُجِّيَّةِ الكتاب والسنة فقط ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأيًا، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا فى رَدِّه، أوردِّ دلالته.

- دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث (نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ...) فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد الإسلامية، أو غير ذلك، لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن مساجد الضرار.

- أطلقوا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية، لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا مَا يَتَلَقَوْنَهُ فى حلقاتهم الخاصة.

- قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد، لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها

كُفَّارٌ إلاأربعة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوى وقباء، والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضًا إلا إذا كان الإمام منهم.

- نادوا بالهجرة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلى، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية، والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية، وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة فى بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية، برأيهم، كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام فى الفترة المكية.

- يزعمون أن أميرهم (شكرى مصطفى) هو مهدى الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته، ما لم يحقق على يد محمد ﷺ من ظهور الإسلام على جميع الأديان.

- ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سَلَفًا وَخَلَفًا.

- هذه الجماعة أحيت فكر الخوارج فى معظم محافظات مصر، وبعض الدول العربية مثل اليمن، والأردن، والجزائر .... وغيرها.

- وأهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو (ذكريات مع جماعة المسلمين - التكفير والهجرة) لأحد أعضاء الجماعة (عبدالرحمن أبو الخير) والذى تركهم فيما بعد.

أما أفكار (العزومى) ومدى مطابقتها لأفكار (شكرى مصطفى)

فهو: (محمد خميس العزومى) اُكَنَّى (بأبى عاصم) يوصف بأنهُ (مُنَظِّرْ تنظيم التوحيد والجهاد) المتواجد فى سيناء، ولا يعرف بدقة عدد أتباعه، ولكن مصادر فكره تتلخص فى تلك الكتب:

(مجموعة التوحيد لابن تيمية، وابن عبدالوهاب) - معالم على الطريق (سيد قطب) - ملة إبراهيم (لأبى محمد المقدسى) - العمدة فى إعداد العدة (لعبدالقادر عبدالعزيز).

وله بعض الكتب منها: التقيه ضوابط وأحكام (وَقَدَّمَ لَهُ الدَّاعِيَانِ السَّلَفِيَّانِ: أحمد

فريد، ووحيد عبدالسلام بالى)، وأضواء على ضوابط وأحكام التوحيد - أضواء على الحل الديمقراطى - الديمقراطية وآلياتها بين الإخوان والسلفيين - التوحيد وواقعنا المعاصر)

ويلاحظ أن أفكاره والتى أُخِذَتْ من هذه الكتب تدور فى فلك رفض الديمقراطية واعتبارها شركًا ووثنًا يُعْبَدُ من دون الله، ويرى:

- أن المراجعات كُلِّيَّةً اخْتِرَاقًا من الأمن، لأنها لم تُفَرِّقْ بين مَرْحَلَتَىْ الاستضعاف والتمكين.

- رِدَّةُ كل من يرضى بالديمقراطية، لأنهم رضوا بالحل الديمقراطى وآلياته، لأنهم أهملوا شرع الله، ووصف جماعة (الإخوان) و(السلفيين) بالكفر، ولم يتوان عن تكفير الرئيس (مرسى) بالإسم، (وتكفيرُه تكفيرًا معينًا)، لأنه حكم بالقانون الوضعى، واستحل دماء المسلمين فى سيناء لاختلافه معهم فِكْرِيًّا.

- يؤمن بوجود ثلاث مبادئ يكفرُ مَنْ يُنْكِرُ إحداها:

(١) الإيمان بالله قلبًا وقالبًا.

(٢) الولاء لله تعالى والرسول والمؤمنين، يقصد بذلك (الولاء والبراء).

(٣) الحاكمية لله تعالى، فلا شريك له، وَهِيَ مُسْتَقَاةٌ من بعض كتابات (سيد أبو الأعلى المودوى، وسيد قطب).

- ومن أخطر ما كان يَتَبَنَّاهُ ويتفق مع فكره. فكر التكفير والهجرة، فكرتى:

جهاد العدو القريب، وقد اعتمدوا على القول، بأن أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى هى العدو القريب، ويقصد بالعدو القريب هُمُ الْحُكَّامُ ومن يوالونهم، بينما الغرب هو عدو بعيد واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم، أى: الأقرب إليكم.

وَقَدْ عَلَّقَ على هذه الأفكار الشيخ (ناجح إبراهيم)، فقال:

- أن هذا الفكر دَيْدَنَهُ تكفير كل شيءٍ، وتكفير عوام المسلمين.

- أن هذا التكفير هو أسوأ لوثة أصابت العقل الإسلامى، فمهمةُ الدَّعَاةُ هى هداية الخلائق وتهذيب سلوكهم، والأخذ بأيديهم إلى الجنة.

- الفكرُ التكفيريُّ لا يشغله سوى الحكم على إيمانِ وكفر الناسِ، بل مهمته إخراج الناس من الإسلام إلى ظلمات الكفر.

- الحكم على الناس مهمةُ القضاةِ ونحن دعاةٌ، وَلَسْنَا قُضَاةٌ، كما قال (الهضيبى) رحمه الله - فالمؤسسات الحاكمة هى مؤسسات اعتبارية يقصد (الجيش، والشرطة، والقضاة) وغيرها لا يلحقها وصف كفر، أو إيمان، فهى لا تلحق إلا بالإنسان المكلفُ شرعًا وهو الشخص البالغ العاقل الراشد العالم بما يفعل.

- أن تطبيق الشريعة لا يكون إلا بحسبِ وُسْعِ المجتمع، فَالتَّدَرُّج فى الأحكام من وسائل الإسلام المرنة، كتحريم (الخمر) على خمس مراحل، وكذلك الرِّبَا على أربعة مراحل.

- مصر دولة الإسلام منذ فتحها (عمرو بن العاص) ولم يَقُلْ أَحَدٌ-من علماء المسلمين المتقدمين، أو المتأخرين أن مصر يعلوها أحكام الكفر، أو ما شابه ذلك.

- كَمَا أَنَّ تَبَنِّى فكرة الديمقراطية بضوابطها الشرعية، ليست دِينًا يُعْبَدُ من دون الله، ولا موازى للإسلام، كما يتصور ابعض، فهى فكرةٌ عبقريةٌ لاختيار الحاكم جَنَّبَتْ الدول الانقلابات والنزاعات وكل مبدئ الشريعة جاءت مطلقة، بينما الآليات تُرِكَتْ لعلماء ومجتهدى كل عصرٍ بما يلائمهم.

أما عن (الجزية)، فقد علق قائلاً:

هناك نظرية فقهية اسمها غياب المحل، فباشتراك النصارى معنا فى الجيش، ودفاعهم عن دِيَارِ الإسلام انتفت (الجزية) عنهم، مثل آيات الرقيق (كعتق رقبة - أو

إطعام مسكين)، فبانتهاء الجوارى، يلزمنا الحكم الثانى.[1]

وَبِمَا قَدْ تَقَدَّمَ، قد ظهر لنا من فكر السلفية الجهادية وحكمهم على المجتمع، وما أدخلونا فى نفقٍ مظلم، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٍ من تلك الجماعات الإرهابية التى لها خطرها على البلاد والعباد والشجر والدواب، والتى قد بلغ عددها الآن فى سيناء بنحو ١٤ فرقة جهادية ومسمياتها كالآتى:

بدأ تاريخ الجماعات التكفيرية والجهادية فى سيناء مع نهاية الثمانينات، وأوائل التسعينات، بعد أن ظهرت ثلاثة جماعات هى: السلفية الجهادية، وتنظيم الجهاد، وجماعة المسلمين، والتى تَغيّر اسمها فيما بعد وأصبح يطلق عليها (جماعة التكفير والهجرة) وأخطر هذه الجماعات أنصار بيت المقدس، وأنصار المجاهدين، ومجلس شورى المجاهدين، والتوحيد والجهاد فى سيناء، التكفير والهجرة، وجماعة أصحاب الرايات السوداء، وجند الإسلام، والناجون من النار، والدعوى والتبليغ، وأكناف بيت المقدس، وأهل السنة والجماعة، وكتائب الفرقان. وقدبلغ عدد الجهلديين فى سيناء بنحو ١٨٠٠٠ مجاهد، وكان من أخطر تلك التنظيمات الجهادية جماعة (التوحيد والجهاد)، لأنها أكثر التنظيمات تسليحًا، حيث امتلاكها لأسلحة ثقيلةٍ متطورةٍ ومنها الـ(آر – بى – جيه)، (وقذائف الهاون)، و(مدافع الجرينوف) وتتركز هذه الجماعة فى جبل (الحلال، وجبال المهدية) والتى تعتبر أهم قاعدة عسكرية، وانضم لهم بعض العناصر الفلسطينية، أما جماعة (أنصار بيت المقدس) فَتُعَدُّ من أكبر التنظيمات الإرهابية وأخطرها فى سيناء، وظهرت هذه الجماعة عقب تولى الرئيس المعزول (محمد مرسى) حكم مصر وتحديدًا عقب مذبحة (رفح الأولى) والتى راح ضحيتها ١٦ جنديا مِصْريًّا، وأعلنت مسئوليتها عن تفجير خطوط الغاز المتجهة إلى إسرائيل وأذاعت فيلمًا تسجيليًا بذلك، وفى شهور

(١) شبكة الانترنت.

قليلة جدًا أصبح تنظيم (أنصار بيت المقدس) أكبر تنظيم جهادى بسيناء من حيث العدد والعتاد، وأصبحت جميع التنظيمات الأخرى تتبعه، وأن عدد عناصره تجاوز الـ(٦ آلاف) مجاهد بخلاف أنصاره من التيارات الحليفة له، وعندما وصل الرئيس (محمد مرسى) إلى سُدَّةِ الحكم كان له أثرٌ كبيرٌ فى تجرؤ قيادات التنظيم بسيناء على القيام ببعض العمليات التخريبية، مشيرًا إلى أنه فعل كل ما فى وسعه لازدهار الحركات الجهادية فى سيناء، ومن جهة أخرى تأكد أن تنظيم (أنصار بيت المقدس) تنظيم دولى يستمد أفكاره ونهجه من تنظيم القاعدة، مستغلين الفراغ الأمنى عقب ثورة يناير، موضحًا أن أعضاء هذا التنظم غالبيتهم من سيناء وبعض المحافظات الأخرى، وأن القيادات المصرية الحقيقية ليسوا من أبناء سيناء، ولكن غالبيتهم من محافظة المنوفية، وكان الحلم الذى يُرَاوِدُ القيادات الإخوانية، وحركة حماس هو تكوين (جيش حر) مثل الجيش الموجود فى سوريا، ليكون قادرًا على تنفيذ أجندتهم ومخططاتهم والسيطرة على شبه جزيرة سيناء لتوسيع دولة الخلافة الإسلامية كما يظنون، ولكن الأمر كان أخطر من ذلك وهو تنفيذ المخطط الصهيوأمريكى للشرق الأوسط، والذى سنتعرض له بعد ذلك.

وَنَعُودُ بالذاكرة إلى الوراء بقليل، لنتذكر مَا خَلَّفَهُ فكر الجماعات التكفيرية للنظام، وحكمهم على المجتمع بالكفر، ثم لتَّصَدِّى للسلطة الحاكمة فى فترة الثمانينيات والتسعينيات والمواجهات الدامية التى حدثت بمدينة أسيوط آنذاك:

الْمُوَاجَهَاتُ الدَّامِيةُ مَعَ السُّلْطَةِ :

لقد تصاعد الخلاف بين الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) وبين الجماعات الإسلامية بعد إصداره لقرارات التحفظ على العديد من قيادات وأعضاء هذا التنظيم، والتى انتهت باغتياله فى السادس من أكتوبر تشرين الأول ١٩٨١م، منطلقًا من تلك المعتقدات التى آلت لهم من تلك الكتب، والرسائل التكفيرية التى اسْتُقوهَا من الكتب

التى سبق ذكرها، ورغم أن (خالد الإسلامبولى) اتخذ قرار التخلص من (السادات) منفردًا بعد اعتقال شقيقه (محمد شوقى)، فقد عرض قراره على (محمد عبدالسلام فرج) الذى كانت تربطه به علاقة، والذى دعا على الفور مجلس الشورى فى منزل (عبدالحميد عبدالسلام) بضاحية عين شمس شرق القاهرة، بسط الإسلامبولى خطته وطالبهم بتوفير الأفراد المعاونين له لإتمام الخطة، وبعد نجاح خالد وإخوانه عبدالحميد عبدالسلام، وعطا طايل حميدة، وحسن عباس، ومن ورائهم محمد عبدالسلام فرج مخططًا، ومعاونًا، ومعدًّا فى اغتيال السادات، اجتمع على الفور فى أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلى بزعامة كرم زهدى، حيث اتفقوا على مواصلة العمل الجهادى الرَّامى إلى قلب نظام الحكم، باستهداف خمسة أهداف للأمن فى أسيوط هى مديرية الأمن هناك، وقسم ثان، والدورية اللاسلكية، ومباحث أمن الدولة، والمباحث الجنائية، ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك إلى محافظات الوجه البحرى وإثارة الجماهير، وكانت ساعة الصفر، حيث قاد العملية (على الشريف، وعاصم عبدالماجد)، وتم اقتحام مديرية الأمن وَقُتِلَ فيها عدد كبير من الضباط والجنود وَتَمَّ فَتْحُ النار أيضًا على بعض سيارات الأمن المركزى التى كانت تحمل الجنود فى الميادين والشوارع العامة بأسيوط، كما تم اقتحام نقطة شرطة إبراهيم فأصيب عصام درباله، لأنه كان يُمْسِكُ فى يده قنبلة يدوية، فلما رأى بعض إخوانه أمامه وبعض الناس فى النواحى الأخرى، فَفَدى الجميع وَظَلَّ مُمْسِكًا بها مِمَّا أَدَّى إلى بَتْرِ يَدِهِ الْيُمْنَى، وأما على الشريف فأصيب فى بطنه إصابات شديدة أَدَّتْ إلى فشل المخطط والقبض عليهم أحياء، ومعهم كرم زهدى، وَتَمَّ تَرْحِيلَهُمْ فى طائرة خَاصَّةٍ إلى القاهرة بصحبة وزير الداخلية آنذاك اللواء (النبوى إسماعيل)، وقد بدأت أحداث مدينة (أسيوط) فى حوالى الساعة ٣ صباحًا يوم ٨/ ١٠/ ١٩٨١م، حيث كانت دورية مرور ليلية تقوم بعملها المعتاد بمدينة أسيوط فى عيد الأضحى، وقبل موعد صلاة العصر بنصف ساعة تقريبًا، انتشرت قُوَّاتُ الْأَمْنِ وتفرقت على مساجد أسيوط لتحرسها بلا

سلاح، حتى لا تستنفر المصلين، وخلت مديرية الأمن من ضباطها وجنودها، وفى الساعة السادسة صباحًا وقفت سيارة بيجو ٤٠٤ لونها الأصلى أبيض تَمَّ طَلْيُهَا طَلْيًا رَدِيئًا باللون الأزرق ورقم لوحتها ١٢٦٠٠ ملاكى القاهرة مكتوبة باليد، وسيارة أخر فيات ١٢٥ جديدة تحمل رقم ١١٧٢ ملاكى سوهاج أمام مبنى مديرية الأمن ونزل من السيارتين ثمانية أفراد مسلحين وفتحوا نيران أسلحتهم الآلية على جنود الحراسة ولم تتح لهم الرَّدَّ بإطلاق النار من المفاجأة، وسقط الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل المديرية، ووجدوا العميد شكرى رياض مساعد المدير مُرْتَدِيًا بيجامة فى استراحة المديرية فأردوه قَتيلاً، والرائد حسن الكردى، و١٦ سيارة، ٣٢ من جنود الخدمة المسلحين بالرشاشات، واتخذ شباب الجماعة مواقع فوق سطح المبنى واستولوا على ٣٠ بندقية، ومدفعين من طراز (برن)، واتجهت مجموعة أخرى إلى مركز شرطة قسم ثان فى شرق أسيوط لاحتلاله، كان فيه ١٧٤ جنديًّا، و٣٠ ضابطًا، واتجهت مجموعة أخرى إلى مركز شرطة قسم أول فى غرب أسيوط لاحتلاله وكان فيه ١١٢ جنديًّا، و٤ ضباط، وقسم مباحث التموين كان فيه ١١٤ جنديًّا، و٤ ضباط، وبعد أن انتهت مهمتهم انطلقوا إلى المديرية حيث أُصيب عاصم عبدالماجد بثلاثةِ أعيرةٍ ناريةٍ بركبته اليسرى والساق اليمنى فعجز عن الحركة، وتولى القيادة من بعده على الشريف الذى أصيب بدوره أيضًا بثلاث رصاصات نفذت اثنتان منهما بالجانب الأيمن فعجز عن الحركة تمامًا، وَتَوَلَّى من بعده فؤاد حنفى، والذى رأى خطورة الموقف فانسحب من مبنى المديرية وهرب واستولى على سيارة لورى شرطة، وتمكن من نقل زملائه المصابين بداخلها، واستمرت الجماعة فى موقفها الْمُتَشَدِّدِ من نظام الحكم فى مصر، ففى رسالة نشرتها مجلة (المرابطون) الناطقة بلسان الجماعة عدد يوليو / تموز ١٩٩٠ للدكتور (ناجح إبراهيم) (طالب خلالها بضرورة كشف وتعرية النظام العلمانى الحاكم وبيان عدائه للإسلام ومحاربته لأهله، وتوضيح أن القنوات الدستورية، والسبل القانونية التى تم العمل بها على بعض السُّذَّجِ ليست إِلاَّ سَرابًا وَوَهْمًا وَخِدَاعًا،

وختم رسالته بأن لن يرتدع الطُّغَاةُ عن فتنة المسلمين ولن تتم إزاحتهم عن كراسى الحكم إلا بالقتال)، وكان اغتيال الدكتور علاء محيى الدين الناطقُ الرَّسْمِيُّ للجماعة عام ١٩٩٠ دَافِعًا إلى استمرار عمليات الثأر والانتقام ضد رموز النظام المصرى، فبادرت إلى اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب آنذاك، وقال ممدوح على يوسف أبرز قيادات الجماعة، والمتهم الأول فى قضية اغتيال المحجوب فى كلمة له بقاعة المحكمة فى أول جلساتها فى يونيو / حزيران ١٩٩١م: (إن الممارسات الإرهابية لنظام الحكم لن تثنى حملة لواء الدعوة الإسلامية عن المُضِىِّ فى طريقهم) [١].

وباعتراف حامد عبدالعال وهو أحد الذين شاركوا مشاركة مباشرة فى العملية والذى صَرَّحَ بعدم الرضا عَمَّا حصل حيث أنه قال كان المقصود بهذه العملية هو اللواء محمد عبدالحليم موسى وزير الداخلية آنذاك حيث جاءتنا الإشارة من فوق الكوبرى الذى سيمر عليه عبدالحليم موسى فسارعنا إلى حصار السيارتين، ثم تَرَجَّلُوا وراحوا يُطلقون النار على مَنْ فيهما بلا رحمة، ثم اكتشفوا أنه المحجوب، فأخذوا يُكبرون، ومن بين ٤٠٠ طلقة خرجت من أسلحتهم استقرت ثمانون طلقة فى جسد الدكتور (رفعت المحجوب) وحارسه الشخصى الجالس إلى جواره المقدم (عمرو سعد الشربينى)، وسائقه (كمال عبدالمطلب)، وموظف بمجلس الشعب [٢].

وفى يوم ١٦/ ١٢/ ١٩٨٩م. كانت محاولة اغتيال وزير الداخلية (زكى بدر) بتفجير سيارة ملغومة أسفل كوبرى الفردوس بالقاهرة ولكن المحاولة فشلت، وفى تلك الآونة نشرت الجماعة بحثها الصغير حتمية المواجهة وقامت بتدريس اغتيالات النبى ﷺ، لبعض مشركى العرب واليهود مثل (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) [٣].

(١) مواقف متفرقة من كتاب الخروج من بوابات الجحيم لماهر فرعلى.

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٣).

(٣) المصدر السابق: (ص: ١٣٩).

تداعيات مقتل دكتور/ فرج فوده

بعد اغتيال الرئيس محمد أنور السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ على أيدى وبتخطيط إرهابيين جدد، اشتدت المواجهة بين هؤلاء لإرهابيين الجدد والنظ م وكذلك المجتمع، وكان الحل الأمنى عنصرًا بَدِيهِيًّا لمواجهة هذه العناصر المتطرفة، وبالإضافة لهذا الحل الأمنى حاولت الدولة تنشيط الحركة الثقافية والفكرية، ودخل المثقفون وَالْكُتَّاب المعركة مع الدولة فى مواجهة المتطرفين وكتب كثيرون مثل غالى شكرى، وجابر عصفور، وحسن حنفى، وسعيد العشماوى، وآخرون، وكان ذلك فى نهاية عقد الثمانينات، وبداية عقد التسعينات بين القرن الماضى وكانت للمواجهات الصحفية تغمر الحياة بقوة، ولم تكن المواجهة الأعمق إلا من كُتَّابٍ ومفكرين قلائل وهنا ظهرت كتابات الدكتور نصر حامد أبو زيد، والدكتور فرج فودة، ويبدو أنهما أصابا هؤلاء المتطرفين بلوثة عقلية، فتربصوا لهما، وذهبت حياة فرج فودة برصاصات غادرة من شخص جاهل فى ٨ يونيو ١٩٩٢م[1].

لقد أثارت كتابات دكتور فرج فودة جَدَلاً وَاسِعًا بين المثقفين والمفكرين ورجال الدين، واختلفت حولها الآراء وتضاربت، لأنه قد طالب بفصل الدين عن الدولة، وكان يرى أن الدولة المدنية لا شأن لها بالدين. حاول فرج فودة تأسيس (حزب المستقبل) وكان ينتظر الموافقة من لجنة شؤون الأحزاب التابعة لمجلس الشورى المصرى ووقتها كانت جبهة علماء الأزهر تَشِنُّ هجومًا كبيرًا عليه، وطالبت تلك اللجنة، لجنة شؤون الأحزاب بعدم الترخيص لحزبه، بل وأصدرت تلك الجبهة فى ١٩٩٢ (بجريدة النور) بيانًا (بكفر) الكاتب المصرى فرج فودة ووجوب قتله، واستقال فرج فودة من حزب الوفد الجديد، وذلك لرفض تحالف الحزب مع جماعة الإخوان المسلمين لخوض انتخابات مجلس

(١) مجلة الهلال – نوفمبر ٢٠١٣م ص: ١٤٠.

الشعب المصرى ١٩٨٤، وأسس الجمعية المصرية للتنوير فى شارع (أسماء فهمى) بمدينة نصر، وهو قد اغْتِيلَ أمامها.

تَفَاصِيلُ اغْتِيَالِهْ:

تم اغتياله فى القاهرة ٨ يونيو ١٩٩٢ حين كان يَهُمُّ بالخروج من مكتبه بشارع أسماء فهمى بمدينة نصر، إحدى ضواحى القاهرة بصحبة ابنه الأصغر، وأحد أصدقائه الساعة السادسة و٤٥ دقيقة، على يَدِ أفراد منظمة تستخدم العنف السياسى عُرِفَتْ باسم الجماعة الإسلامية، حيث قام شخصان بينهما مُطْلِقُ الرصاص من بندقية آلية بقتله، فيما كانا يركبان دراجة نارية، فيما أُصِيبَ ابنه (أحمد) وصديقه إصابات طفيفة، على أثرها أصيب (فرج فودة) بإصاباتٍ بالغةٍ فى الكبد والأمعاء، وظل بعدها الأطباء يحاولون طوال سِتِّ سَاعَاتٍ لإنقاذه إلى أنه لفظ أنفاسه الأخيرة، ونجح السائق، وأمين الشرطة الذى تواجد بالمكان فى القبض على الجناة، وتبين أن الجريمة جاءت بفتوى من شيوخ (جماعة الجهاد) وعلى رأسهم الشيخ (حسين الغزالى) المسجون حاليًا فى روما، وفى شهادة الشيخ (محمد الغزالى) فى أثناء محاكمة القاتل وصف الغزالى فودة، بأنه مُرْتَدٌّ وجب قتله، وأفتى بجواز أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها، وإن كان هذا افتياتًا على السلطة، ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعنى أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة حسب تعبيره، وفى أثناء المحاكمة سُئِلَ قاتل فرج فودة:

لماذا اغتلت فرج فودة؟

القاتل: لأنه كافر.

وَمِنْ أَيِّ مِنْ كُتُبِهِ عَرَفْتَ أَنَّهُ كَافِرٌ؟

القاتل: أنا لم أقرأ كتبه.

كيف؟

القاتل: أنا لا أقرأ ولا أكتب.

وبعد ثورة ٢٥ يناير فى مصر أُطلق سراح (أبو العلا محمد عبد ربه) أحد الضالعين فى جريمة الاغتيال والذى أُفْرِجَ عنه بعَفْوٍ بعد قرار الرئيس (محمد مرسى) بالإفراج عن عدد من أعضاء الجماعة الإسلامية. (١)

اغْتِيَالُ الدكتور نصر حامد أبو زيد مَعْنَوِيًّا:

لقد تقدم عدد من الباحثين بعريضة دعوى عام ١٩٩٣ للتفريق بين أبى زيد وزوجته الدكتورة (ابتهال يونس)، وهذا لأنهم يَرَوْنَ أن أبا زيد كافر وخرج عن دين الإسلام، لماذا؟ لأنه كتب كتابًا عنوانه (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) وفيه، كما يَرَوْنَ – خروج كبير عن ما هو إيمانى، ويرى أحد الباحثين أن الدكتور (نصر) فى هذا الكتاب يتلخص فى نقطتين:

الأولى: العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسُّنة والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به.

الثانية: الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى.

فمن أجل ذلك: ظلت الملاحقات الرجعية والقمعية تدفع بحججها الظالمة لتكفير الدكتور نصر، وخاصة من الدكتور عبدالصابور شاهين، والذى كتب كتابًا كبيرًا تحت عنوان: (قصة أبى زيد وانحسار العلمانية فى جامعة القاهرة) وأعاد فيه كافة الاتهامات السالفة الذكر، وأضاف عليها افتراءات أخرى، وكان يحرضُ عليه: وَيُؤَلِّبُ الناسُ جميعًا على القتل الْأَدَبِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ بإشاعة تهمة الكفر والإلحاد عن الدكتور أبى زيد، وكل ما ارتكبه أبو زيد من جرائم أنه حاول إِعْمَالُ العقل وتحريك الثوابت، وإعادة قراءة المفاهيم الثابتة، كما فعل من قبل طه حسين، وعلى عبدالرازق، وخالد محمد خالد، وآخرون، وما كان من عبدالصبور وصحبه إلا الافتراءات والتأويلات غير الصحيحة، وقراءة ما يريدون قراءته من أجل الوصول إلى غاية مفادها إسكات العقل، فتم الترصد بنصر

(١) شبكة الانترنت ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وتحميله باتهامات لم يرتكبها مثلما ترصد شاهين لأبى زيد فى مقال نشره الأخير فى مجلة الهلال عن المسكوت عنه عند ابن عربى، فلم يخرج منه عبدالصبور إلا بأن أبا زيد ينكر إعجاز القرآن الكريم، وأنه يرى: (إعجاز القرآن ليس إلا فى تغلبه على الشعر، ولكنه ليس معجزًا) وهنا نلاحظ أن عبدالصبور، كصحبه يجتزأ ويقص ويبتسر من نصوص نصر أبو زيد حتى يصل إلى غايته وهى تكفيره، وَوَصْفَهُ بالملحد، ورغم هذه الهجمة الشرسة التى قام بها التيار المتطرف فى الجامعة، قد نجحوا فى استصدار حكم من المحكمة بالتفريق بين نصر وزوجته، إلا أن التيار المستنير قام بدوره فى الدفاع عن نصر أبى زيد وعن حرية العقل والتعبير والقول، وأصدر المثقفون المصريون بيانًا جاء فيه: إن المثقفين المصريين من أدباء وفنانين وباحثين وأساتذة جامعيين قَدْ هُالَهُمْ الحكم الذى أصدرته إحدى دوائر محكمة استئناف القاهرة بالتفريق بين الدكتور نصر حامد أبو زيد، والسيدة زوجته يعلنون مؤازرتهم لهما فى معركة الدفاع عن حرية الاعتقاد والتعبير والبحث العلمى وحرية الحياة الشخصية، وإن المثقفين المصريين يَرَوْنَ أن هذا الحكم تشوبه مطاعن ومخالفات للحقوق الأساسية للإنسان ويرصد البيان كافة هذه المطاعن والخلافات والتى جاء على رأسها: إن هذا الحكم لا يستند على أساس من الدستور، أو القانون وأنه يأتى بمخالافات جسيمة وصريحة للاتفاقات وللعهود والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التى صَدَّقَتْ عليها مصر والتى تُعْتَبَرُ جُزْءًا من التشريع المصرى الملزم لكل مؤسسات الدولة والمجتمع وعلى رأسها المؤسسة القضائية واستطرد البيان فى إيضاح المخالفات الصريحة والجسيمة والفادحة التى ارتكبتها المؤسسة القضائية استجابةً للمذكرة العمياء التى تقدم بها أفراد متطرفون ومعادون لحرية الفكر والاعتقاد والتى أَقَرَّتْ بها كَافَّةُ الدساتير الديمقراطية فى العالم أجمع ولكن لأن الآفة الرجعية كانت تنخر فى جسد المجتمع، وجسد المؤسسات عُمومًا آنذاك ترصدت بهذا المفكر وحكمت بالتفريق بينه وبين زوجته ونجحت بالفعل فى إبعاده عن مصر، لتستقبله أكبر الجامعات

فى أوروبا ليعمل هناك، وبالفعل هاجر الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى هولندا قبل أن تناله يد الإرهاب الأسود لتريق دمه كما أراقت دم أخيه على الدرب دكتور فرج فوده.[1].

وكان من بين ما قاله الدكتور فرج فودة، بأنه كان يسترشد بجملة تراثية مهمة تقول: (اجتمع متكلمان فدعا أحدهما الآخر للمناظرة: فقال: على شرائط: لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، وَلاَ تُجَوِّزْ لنفسك تأويلَ آيةً على مَذْهَبِكَ، إلاَّ جَوَّزْتَ لى تأويل مِثْلِهَا على مَذْهَبِى، وعلى أَنْ تُؤْثِرَ التصادق وَتَنْقَادَ للتعارف، وعلى أن كلامنا ينبغى مناظرته على أَنَّ الْحَقَّ ضَالَّتُهُ وَالرُّشْدَ غَايَتُهُ) ومما قاله فى كتابه (قبل السقوط) الصادر عام ١٩٨٥ قائلاً: (لاَ أُبَالِى إذا كنت فى جانبٍ والجميع فى جانبٍ آخر، ولا أحزن إن ارتفعت أصواتهم، أو لمعت سيوفهم، ولا أجزع إن خزلنى من يُؤْمِنُ بما أقول، ولا أفزع إن هاجمنى من يفزع لما أقول وإنما يؤرقنى أشدَّ الأرق، أَنْ لا تصلُ هذه الرسالة إلى من قصدت، فأنا أخاطب أصحاب الرأى، لا أرباب المصالح، وأنصار المبدأ، لامُحْتَرِفِى المزايدة، وَقُصَّادَ الْحَقِّ لا طالبى السلطان، وأنصار الحكمة، لاَ مُحِبِّى الْحُكْمِ، وأتوجهُ إلى المستقبل قبل الحاضر، وألتصق بوجدان مِصْرَ لا بأعصابها، ولا أَلزم برأيى صديقًا يرتبط بى، أو حزبًا أشارك فى تأسيسه، وَحَسْبِى إيمانى بما أكتب، ويحظر أن لا أكتب ما أكتب، والله، ثم الوطن من وراء القصد[2].

تَبْرِيرُ الْجَمَاعَةِ بِأَحَقِّيَّةِ سَرِقَةِ الْقَبَطِ:

الجماعة الإسلامية تقوم فى فَتْوَاهَا بِلَىِّ النصوص لاستخدامها فى أغراضهم الشخصية، فإنه لا يستوى أبدًا حَقٌّ مَعَ بَاطِلٍ، ولا يستوى أبدًا حَلاَلٌ مَعَ حَرَامٌ، فعندما لجأ التنظيم الجديد لاستمرارية نشاطه لجأ إلى كسب الأعضاء الجدد، كما لجأ إلى طرقٍ مختلفةٍ أخرى للتمويل مثل إقامة أسواقٍ خيريةٍ لبيع السلع، وبيع الكتب الدراسية والدينية

(١) مجلة الهلال نوفمبر ٢٠١٣.

(٢) المصدر السابق (ص: ١٠٨).

وَالزِّيِّ الإسلاميِّ للطالبات، فتطورت الحاجة إلى التمويل، وبناءً على فتاوى استحلال أموال النصارى المحاربين، وكانت أولى العمليات القتالية للتنظيم هى الاستيلاء على المشغولات الذهبية ببعض مَحَالِّ بيع الذهب التى يمتلكها نصارى بمدينة (نجع حمادى) فى صعيد مصر والاستيلاء أيضًا على إيراداتها المالية وقاد تلك العملية (على الشريف) حيث جرى اقتحام مَحَلَّيْنِ للذهب يوم الجمعة من العام ١٩٨٠، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَنَجَا مَنْ نَجَا وكانت أول غنيمةٍ غنمتها الجماعة أربعة آلاف جنيه مصرى وخمسة كيلوات ونصف كيلو من الذهب، وقاد (نبيل المغربى) صاحب الفكر الجهادى المشهور وأحد أفراد وجه بحرى عملية مماثلة فى اقتحام مَحَلِّ ذَهَبٍ لمالك نصرانى فى منطقة شبرا الخيمة [1].

فَانْظُرْ معى أخى الحبيب اللبيب النجيب عند فتوى الجماعة باستحلال سرقة أموال النصارى، وكيف يتصور العقل أن الله يقبلُ مَا حَرَّمَهُ الله عليك وعلى غيرك، لأن اللهَ طَيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طَيِّبًا، وكيف يَتَصَوَّرُ عَاقِلٌ أَنَّ مَا سُرِقَ، وَنُهِبَ، وَاغْتُصِبَ يُؤْخَذُ، لِيَتَصَدَّقَ به على فقراء المدنية؟ فإذا قِيلَ أن هذا أَمْرٌ اضطراريٌّ، فَنَقُولُ: أَنَّ الْأَمْرَ الاضطراريَّ له ضَوَابِطُ، وهو أن تعمل جمعيات، أو لجان زكاة بضوابط شرعية، لمساعدة الفقراء وَالْمعْوَذِينْ، أو تطلب مساعدة هؤلاء من أغنياء المدينة، فإذا لم يَتَيَسَّرُ ذلك، فاللهُ يَتَوَلاَّهُمْ، لأنه أعلم بحالهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، وأرحم بهم من الوالدة على الوليد، وأما التَّعَدِّى على مواشى القبط، فقد قال كاهن كنيسة العديسيات جنوب الأقصر (القسى صربا مون الشايب): (أن عضو مجلس الشورى هو المسئول عن الأحداث الدَّامِيَة، لأن أبوهُ هو الذى أزال الكنيسة السابقة عام ١٩٦٨، وهو الذى فَجَّرَ الأحداث فى تلك القرية وقام بتَهْيِيج الإخوان المسلمين يوم الأربعاء ١٨/ ١/ ٢٠٠٦، فقاموا بسرقة الأغنام المملوكة للأقباط، كما قاموا أيضًا بتكسير أَرْجُلِ البقر والجاموس المملوكة لهم أيضًا، وحرقوا حقول القصب، وقطعت الكهرباء عن القرية، وعملوا دائرة من النار حول القرية لإرهاب المسيحيين وإجبارهم التخلى عن الصلاة [2]

(١) الخروج من بوابات الجحيم للأستاذ ماهر فرغلى (ص: ٥٠).

(٢) شبكة الانترنت.

فالراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله، فاللفظ هنا للعموم، والرحمة هنا لكل الناس، وليست لرحمة المسلم للمسلم فقط، ولكن الرحمة تَعُمُّ المسلم والقبطيَّ واليهوديَّ وجميع الملل على السواء، فقد جاء فى مسند الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذى، والحاكم من حديث ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ)(١).

فأقرب الناس من رحمة الله، أرحمهم لخلقه، وَخَلْقُ الله لَيْسُوا هُمُ الْبَشَرُ وَفَقَطْ، ولكن جميع خلق الله الذين يَدِبُّونَ على الأرض وَجَبَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّى لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّى لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا، فَقَالَ ﷺ: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ الله)(٢). فهذه وصايا رسول الله ﷺ عَنِ الرَّحمة بالشَّاة فى ذَبْحِهَا، فَمَا بَالُنَا بتَقطيعَ أَرْجُلِهَا، ثم يَخُصُّ رسول الله ﷺ من هو أصغر من ذلك بكثير وَهُوَ مَأْكُولٌ يذْبَحُ كالعصفور، أَلاَّ وَجَبَ رَحْمَةَ مَا فَوْقَهُ، فقد جاء فى الحديث الصحيح من حديث القاسم بن عبدالرحمن عن أبى أمامة مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَحِمَ، وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ - رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٣).

بَادِرْ إِلَى الْخَيْرِ يَاذَا اللُّبِّ مُغْتَنِمًا ... وَلاَ تَكُنْ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ مُحْتَشِمَا
وَاشْكُرْ لِمَوْلاَكَ مَا أَوْلاَكَ مِنْ نِعَمٍ ... فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الإِفْضَالَ وَالْكَرَمَا
وَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللهِ وَارْعَهُمُ ... فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

(١) الحديث صحيح: السلسلة الصحيحة برقم: (٩٢٥)، وصحيح الجامع برقم: (٣٥٢٢).

(٢) رواه البخارى فى (الأدب المفرد) رقم: (٣٧٣)، والطبرانى فى (المعجم الصغير) (ص: ٦٠)، وفى (الأوسط) (١/ ١٢/ ١- من زوائده)، و(الكبير) (١٩/ ٢٢)، وكذا أحمد (٣/ ٤٣٦ و٥/ ٣٤)، والحاكم (٣/ ٥٨٦)، وابن عدى فى (الكامل) (ق ٢٥٩/ ٢) وأبو نُعيم فى (الحلية) (٢/ ٣٠٢ و ٦/ ٣٤٣)، وابن عساكر (٦/ ٢٥٧/ ١)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٦).

(٣) رواه البخارى فى (الأدب المفرد) (رقم ٣٧١)، وفى (الفوائد) (ق ١٩٤/ ١)، والبيهقى فى (الشعب) (٣/ ٣/ ١٤٥/ ١)، ورواه الطبرانى فى (الكبير) (٣/ ٧٩ و ٧٩١٥)، ورجاله ثقات، وَحَسَّنَهُ الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم: (٢٧)، وصحيح لجامع برقم: (٦٢٦١).

تَدَاعِيَاتُ حَرْبِ الْكَنَائِسِ فِى مِصْرَ:

لقد تجمعت الآراء والدراسات على أَنَّ فترة حكم السادات قد شهدت قمة التطرف الدينىِّ وَتَأَجُّجِ المشكلة الطائفية، وترجع هذه الحقيقة إلى سياسة الانفتاح الاقتصادى، وإلى الأيديولوجية اللاعقلانية التى صاحبتها وبررت لها، وإلى استخدام السادات للجماعات الدينية، وتسابق الصراع الطبقى وضرب قوى اليسار، وإلى خلق السلطة الحاكمة للمناخ الثقافى والفكرى الهابط والذى أَدَّى إلى تفاقم المشكلة الطائفية والذى ما زال الوطن يُعَانِى منه إلى الآن، وتذهب الدراسات إلى أن من شأن غَيْبَةِ المشروع القومى وجود الفراغ الذى دفع إلى التَّحَزُّبِ الدِّينِىِّ والصراع بين المسجد والكنيسة، مِمَّا أَدَّى إلى نُمُوِّ الجماعاتِ الدينيةِ، وَتَفَرُّقِ هذه الدراساتِ تَفْرِيقًا حَادًّا بين الفترة الناصرية التى تَوَفَّرَ لها مشروعها القومى للتحرر والتنمية مُوَحِّدًا بين عُنْصَرَىْ الْأُمَّةِ، وفترة حكم السادات بما سادها من انحطاطٍ اقتصادىٍّ وثقافىٍّ لا عقلانى، مما أدى إلى تفاقم المشكلة وازدياد الصراع بين المسجد والكنيسة، وكان من نتيجة ذلك مَا نَعْرِضُ له جزءًا منه حتى لا نطيل: حرق كنيسة العديسيات، وكنيسة المعمورة، وتعويق المشروعات الكنسية، وتعويق ترميم الكنائس، وهدم منازل الأقباط، وهدم مبانى الخدمات، وهدم سور كنيسة إنجيلية، وموجة الإرهاب بالفيوم، وأرض الكنيسة بمارينا، وكنيسة العذراء بمحافظة المنيا، وكنيسة مار جرجس بكوم حمادة، وهدم سور كنيسة بسيناء، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٤، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٥، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٦، واضطهادات بسبب الكنائس ٢٠٠٧، وفى يوم الأربعاء ١٨/ ١/ ٢٠٠٦ تسببت أعمال التعصب الدينى وهجوم جماعة من الإخوان بمحاصرة كنيسة قبطية إلى سقوط ١٤ من الأقباط المسيحيين ما بين قتيل وجريح فى قرية العديسيات بمحافظة الأقصر السياحية، ولما خاف المسيخيون من الخروج أشعلواً النار فى المبنى حتى يموت المسيحيون بداخلها خَنْقًا بالنيران، واضطروا للخروج فهاجموهم بِالْعِصِىِّ والجنازير مما أدى إلى وقوع القتلى والجرحى كما ذُكِرْ [1].

(١) شبكة الانترنت، والذى كان متصدر الخبر آنذاك جريدة الأهالى الأربعاء ٢٥ يناير ٢٠٠٦م.

فأين المبادئ العقدية الدينية التى استلهمناها من فم رسول الله ﷺ، وأخذها وطبقها بعده صَاحِبَيْهِ أبى بكر، وَعُمَرَ - رضي الله عنهما -، ثم سار على نهجهما بقية الصحابة الكرام، وقد كان أبو بكر يُوصى أسامة بن زيد قبل تحركه بجيشه فيقول: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأةً، ولا شيخًا كبيرًا، ولا طفلاً، ولا تقطعوا شجرةً مُثْمِرَةً، ولا تقلعوا نخلاً، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرةً، ولا بعيرًا إلاَّ لِمَأْكَلِه، وسار من بعده على هذا النهج وهذه الصفة خلفه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقد حَرِصَ على حماية الحرية الدينية وسار على هَدْيِ النبى ﷺ، والخليفة الراشد أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -، فقد أَقَرَّ أهل الكتاب على دينهم، وَأَخذَ منهم الجزية، وعقد المعاهدات، وقد أورد الطبرى فى العهد الذى كتبه عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (القدس) ونص فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم [1].

وكتب والى عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهدًا جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، وَمِلَّتِهِمْ، وأموالهم، وكنائسهم، وَصُلْبِهِمْ، وَبَرِّهِمْ، وَبَحْرِهِمْ، وأكد ذلك العهد بقوله: على ما مضى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وَذِمَمَ المؤمنينَ) [2].

وقد اتفق الفقهاء على أن لأهل الذِّمَّةِ لهم ممارسة شعائرهم الدينية، وأنهم لاَ يُمْنَعُونَ من ذلك ما لم يظهروا؛ فإن أرادوا ممارسة شعائرهم إِعْلاَنًا وَجَهْرًا، كإخراجهم الصلبان يَرَوْنَ منعهم من ذلك فى أمصار المسلمين، وعدم منعهم فى بلدانهم وقراهم، يقول الشيخ الغزالى فى كفالة الإسلام لحرية المعتقد: (إن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظيرٌ فى القارات الخمس، ولم يحدث أَنِ انْفَرَدَ دِينٌ بالسلطة، ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء، والازدهار، مثل ما صنع الإسلام) [3].

(١) تاريخ الطبرى: (٤/١٥٨).

(٢) البداية والنهاية: (٧/٩٨).

(٣) عمر بن الخطاب شخصيته وعصره. على محمد محمد الصلابى: (ص: ١٣٨).

وَكُنَّا قد تعرضنا لذلك فى الصفحات السابقة، بل وزدنا على ذلك تفصيلاً فى حرية المعتقد الدينىِّ لأهل الكتاب مع الصحابة والسلف، وحسن جوارهم، فَهَلاَّ تَأَسَّيْنَا بِهَؤُلاَءِ الْأَفْذَاذْ.

التَّرَاجُعَاتُ لِلْجَمَاعَةِ الْإِسْلاَمِيَّةِ

اعترف بعض الجماعة فى سجن (الوادى الجديد) بأخطائهم، ومنهم الشيخ (كرم زهدى) والذى قال كلماته أمام المسجونين من الجماعة الإسلامية، فتبادر قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أقسم باللهِ العلىِّ العظيم أنى أقول هذا الكلام ليس رهبةً، ولا خوفًا من هؤلاء) وأشار إلى الضباط، واستطرد قائلاً: (لكنهُ اتِّقَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ سبحانهُ... إنَّ مَا فعَلْنَاهُ، كَانَ خَطَأٌ وَمَا حَدَثَ كَانَ فِتْنَةٌ) ثم رفع الشيخ كرم يَدَهُ وَعَرَّفَ الْوَاقِفِينَ بِاسْمِهِ وَقَالَ: أخوكم (كرم زهدى)، فَصَاحَ الْعَنْبَرُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثم أشار إلى المشايخ لِيُعَرِّفَ الْوَاقِفِينَ بأسمائهم، فأغلبُ المعتقلينَ لم يقابلوا المعتقلين يَوْمًا مَا، ولكنهم كانوا يسمعون عنهم وَيُجِلُّونَهُمْ حتى وصل ذلك عند البعض إلى حَدِّ القداسة لأنهم كُتَّابَ أبحاث الجماعة وهم الذين يحركون الأحداث من حولهم!! وقام الجميع بالتسليم بحرارةٍ شديدة، والشيخ (كرم زهدى) يُشِيرُ إلى أحدهم ويقول: هذا هو الشيخ (فلان)، وَمَرَّ بَعْضَ الْأُخْوَةِ بالمشايخ، فاحتضنوهم، ومنهم من قَبَّلَ رؤوسهم وأيديهم ....، ومنهم مَنْ هَوَى على قدمِ الشيخ (ناجح إبراهيم) لِيُقَبِّلُهَا، فصرخ المأمور: (إيه اللى بيحصل دا ... يا ناس حرام عليكم هو دا اللى ضيعكم)[1].

- ثم أردف الشيخ (كرم زهدى) قائلاً:

(لقد جئنا إليكم يسبقنا الشوق إلى لقائكم، وكم هذه اللحظات جميلة ومؤثرة أن التقيناكم ونحن نعرف أننا لسنا فى نزهةٍ خلويةٍ، لنتسامر معًا، ولكننا جئنا هنا لنصحح أوضاعًا كانت خاطئةً ... كان الأمر صعبًا علينا ونحن نعرف أنه صعبٌ عليكم، ولكن لابدَّ من خوضه، ولم يكن ثَمَّةَ خيار، ولكن لابد من إيصال الحق مهما كان مُرًّا، ونحن

(١) الخروج من بوابات الجحيم للأستاذ/ ماهر فرعلى: (ص: ٢٠).

نعرف أنكم ستقولون للحق سمعًا فِللَّهِ دَرُّكُمْ جَمِيعًا ... إننا جئنا إلى هنا لتعظيم حرمات الله، وإنهاء مسلسل البكاء والعويل ووقف نَزْفِ الدِّمَاءِ ... ما أردنا إلا الحق، فالحقُّ بُغْيَتَنَا وَمُرَادَنَا ولم تَعُدِ الدُّنيا تمثل شيئًا بعد أن قَضَيْنَا فى السجون اثنتين وعشرين عَامًا، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ).

ثم بادر الشيخ (ناجح إبراهيم) قَائِلاً:

(أطلقنا المبادرة حَقْنًا لدمائكم، والدماء عصومًا فى مصر ... أطلقناها حِفَاظًا على الأنفس أن تهلك فى غير ميدان، أو أن تقتل دون مصلحةٍ شرعيةٍ صحيحةٍ، أو هدفٍ شرعىٍّ ...

أطلقنا المبادرة صونا لحرمات البيوت أن تنتهك وحماية للبيوت المسلمة، والأسر المسلمة أن تهدم، ولوقف مسلسل الْيُتْم وَالتَّرَمُّلِ والطلاق، فالمبادرة جاءت من أجل مئات اليتامى من الفريقين، ومن أجل مئات الأرامل ... أطلقنا المبادرة، لأننا رأيناها الأقرب إلى الحق، وهى الأهدى سبيلاً، أطلقناها، لأننا عِشْنَا مع قول النبى ﷺ: (والذى نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) ونحن نقول لا يسألنا أحدًا طريقةً، أو سبيلاً، أو آليةً، تُحْقَنُ فيها الدماء، وَيُمْنَعُ بها اقتتال أبناء البلد الواحد، وَتُمْنَعُ المفاسد العظيمة التى لحقت بالإسلام وأهله فى مصر إلاَّ أَجَبْنَاهُ إليها دون قَيْدٍ، أَوْ شَرْطٍ، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨).

أَىْ خَيْرٌ للفريقين ... لكل الناس ... خَيْرٌ لِلْأَهَالِى ... خَيْرٌ لنا وللجميع، والصلحُ يحتاجُ إلى رجالٍ شُجْعَانٍ مثل (الْحَسَنِ بْنِ عَلِىْ)، وهؤلاء الأفذاذ هم الذين يتحملونَ لَوْمَ اللاَّئِمِينَ، ومزايدة الزائدين، لقد قال بعض الشيعة للحسن: (يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِيْنْ)، فكان يقول: (لست بمذل المؤمنين، ولكن جماجم العرب كانت بيدى، فكرهت أن أقتلكم على الملك) وكانوا يقولون له: (يا عار على المؤمنين، فكان يرد، ويقول: عَارٌ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ)، فَالصُّلْحُ أعظمُ آلِيَةً شَرَعَهَا الإسلامُ لِرَأْبِ الصَّدْعِ، وَلَمِّ الشَّمْلِ، وهو أعظم

الآليات لإنهاء الأزمات بين المسلمين، ولولا وجود هذه الآلِيَة، لكان أَيَّ نِزَاع مُسَلَّح بين طائفتين مسلمتين يَسْتَمِرُّ إلى النهاية، أو يستمر حتى يُفْنَى الفريقان، إِنَّ الصَّلْحَ بَابٌ عَظِيمٌ من أبوابِ الخير شرعه الله لِتُحْقَنَ به الدماء، وتُعصم به الأرواح ... إن هذه المبادرة التاريخية، وهذه المصالحة الوطنية هى واجبٌ يفرضُهُ علينا الشرع ويدعونا إليه الواقع، وتلزمنا به الحكمة، ويهدينا إليه العقل السليم، ونحن على استعدادٍ لِتَحَمُّلِ تَبِعَاتِ هذه المبادرة العظيمة، وهذه المصالحة المباركة نتحملها بالصبر الجميل والحلم الكبير، فكل صلح لا يحلُّ حرامًا، ولا يحرمُ حلالاً، بل يحقن الدماء، ويحمى بلادنا من التمزق هو واجبٌ شَرْعِىٌّ ينبغى لنا الالتزام به والعمل به وله).

وَأَكْمَلَ قَائِلاً: (إن هذه المصالحة الوطنية التى حدثت مع هذه المبادرة ليست بجائزة فحسب ولكنها واجبة، فهى التى تُوَحِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَتُنْهِىَ الْمَآسِىَ والأحزان، فكل صُلْحٍ حدث فى الأرض حتى فى مجال الأسرة، لابد له أن يكون فيه طَرَفٌ قَدْ هُضِمَ فيه حَقُّهُ وتنازل عن بعض حقوقه، ولولا ذلك مَا تَمَّ الصلح على أكمل وجه، وإننا نجد فى صلح (الحسن مع معاوية)، فقد تنازل الحسن عن معظم حقوقه ورغم هذا قال عنه النبى ﷺ: (إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [1].

وَإِكْمَالاً لمراجعات الجماعة الإسلامية بادروا بعملِ موقع على (النِّتّ) يشرح ميثاق العمل الإسلامى، والعلاقة بين ما هو قديمٌ وما هو جديدٌ، والدراسات الجديدة التى تكمل الأمور التى ظهر مسيس الحاجة إليها، وتصحيح الأشياء التى ساء فهمها، وأيضًا تصحيح المسارات التى كانت خاطئة مثل قتال الطائفة التى زاد لهيب نيرانها فى التسعينات من أحداث لم يكن قتال طائفة، لأن أصنافه ليست

(١) المصدر السابق (ص: ٢١-٢٢).

والحديث صحيح: جاء فى السنن الأربعة، إلا ابن ماجه، والبخارى، ومسند الإمام أحمد عن أبى بكر - رضي الله عنه -، وجاء فى الروض برقم: (٩٢٣)، والإرواء برقم: (١٥٩٧)، وصحيح الجامع برقم: (١٥٢٨).

من أصناف الطائفة، ولأن الهدف وقتئذٍ من القتال مع الحكومة كان لمنع الظلم، وكان القتال فى فترة التسعينات أقرب إلى القتل من القتال، وقتال الطائفة حُكْمٌ ثَابِتٌ مُجْمَعٌ عليه وفى مصر يوجد امتناع من الشريعة وهو أَمْرٌ وَاقِعٌ، أَمَّا كَوْنُ أَنَّ هُنَاكَ عُذْرًا، أم لا؟ فهذا فيه خلافٌ: وهذا يحتاج إلى توضيح وتكميل فى الأسباب الموجبة للقتال والموانع التى لاَبُدَّ أن تكون موجودة، ويالِيتنا ألحقنا ببحث الطائفة الموانع والشروط ... هذه الأشياء لاَبُدَّ أن توضح ولكن بشرط أَلاَّ نلغى الحكم، لأن الحكم مُجْمَعٌ عليه من العلماء.

وَالنُّمُوذَجُ الثَّانِى هو مشكلة الأقباط، وهذه المسألة كان فيها تَعَدٍّ وَظُلْم مُنْذُ التسعينات، ولم تكن هناك دراسة توضح هذه المسألة والأيام أثبتت أن مسألة النصارى أثبتت نفسها على الجميع سواء الحكومات: أم الجماعات [1].

ولهذا أصبح الاعتراف من خلال الجماعة الإسلامية وَاضِحٌ جَلِىٌّ، لأن الاعتراف بالحق، وعدم التمادى فى الباطل من شِيَم الكرام، ووجب على كل من اعترف بالذنب وَأَقَرَّ بالظلم التوبة على ما مضى، لأن التوبَةَ تَجُبُّ كل الذنوب الماضية وإن كانت مثل زبد البحر، ثُمَّ يَخْلُوا الْمَرْءُ بنفسه لِيُعْلِنَ عن ندمه، لأَنَّ الندمُ تَوْبَةٌ، كما جاء فى التاريخ للبخارى من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبى ﷺ قال: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)[2].

وفى رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ) [3].

---

(١) المصدر السابق: (ص: ٢٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، والتاريخ للبخارى من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - ورواه أيضًا الحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أنس - رضي الله عنه - وجاء فى الروض النضير برقم: (٦٤٢ و ١١٥٠) وصحيح الجامع برقم: (٦٨٠٢).

(٣) رواه الطبرانى فى (الكبير)، وجاء فى الحلية لأبى نُعَيْم من حديث أبى سعيد الأنصارى - رضي الله عنه - وَحَسَّنَهُ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٨٠٣).

المَبْحَثُ الثَّانِى

فِكْرُ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانْ

جَمَاعَةُ الْإِخْوَانِ: هى جماعة فاشية دينية، استخدمت الدين للوصول إلى الحكم، وذلك إذا استعرضنا مَا كُتِبَ منذ بدايتها سيتبين صدق ما نقول: لقد جاء فى الكتابِ الْقَيِّم للكاتب الراحل عبدالله إمام بعنوان (عبدالناصر والإخوان المسلمون) والذى يعرض فيه الأعمال الإرهابية التى ارتكبها (الجهاز الخاص) للإخوان المسلمين قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وفى هذا السياق يوضح الكاتب جوانب واسعة من العلاقات القديمة التى ربطت قيادة الثورة بجماعة الإخوان، مشيرًا إلى أن هذه العلاقات كانت معقدة وبدأت فى الأربعينات حين كان مشروع إعادة بناء الدولة الوطنية الحديثة مجرد فكرة تختمر فى عقول ونفوس عدد محدود من الضباط الوطنيين الذين تألموا لأوضاع البلاد وحاولوا تلمس طريق الخلاص من فساد الأحزاب السياسية، فلم يجدوا عندهم أَىَّ حَلٍّ للقضية الوطنية وللقضايا الاقتصادية والاجتماعية، ولم يعد أمام هؤلاء الضباط فى ضوء تلك الحالة المحبطة سوى الاعتماد على أنفسهم وَقُوَّتِهِمْ، والشروع فى تشكيل تنظيمٍ محدودٍ سرعان ما نما وتطور وأصبحت له خلايا وفروع داخل صفوف ضباط الجيش.

لم يكن تنظيم الضباط الأحرار مُوَحَّدِ الفكرِ والأهداف، لكنه كان يضم مجموعة متباينة من الضباط الوطنيين الذين التقوا حول عدد محدود من الأهداف وهى المبادئ الستة التى أعلنتها الثورة، بيَدِ أن ذلك التوحد لم يحل دون أن يكون لعدد منهم انتماؤه السياسى والفكرى، فكان بينهم الإخوان المسلمون، والماركسيون، والقوميون، وغيرهم، وقد بدأت العلاقات الاقتصادية بين الإخوان وقادة الثورة منذ الأيام الأولى للثورة حيث أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بحل الأحزاب، ولكنه استثنى جماعة الإخوان،

لأنها كانت تقدم نفسها كجمعية دينية دعوية، كان الإخوان منذ اليوم الأول لقيام الثورة حريصين على تحريض مجلس قيادة الثورة ضد الأحزاب وتكوين قناعة بضرورة حَلِّهَا، وعندما اقتنع قادة الثورة بعدم قدرة الأحزاب على تحقيق التغيير الذى يحتاجه الشعب بسب فسادها وَتَرَهُّلِهَا، طلبت وزارة الداخلية من الأحزاب أن تقدم إخطارات عن تكوينها، فقدم المرشد العام شخصيًا أثناء زيارة مكتب (سليمان حافظ) وزير الداخلية (إخطارًا رسميًّا) بأن الإخوان جمعية دينية دعوية، وإن أعضاءها وتكويناتها وأنصارها لا يعملون فى المجالِ السياسيِّ، ولا يسعون لتحقيق أهدافهم عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات، ونفى أن يكون ذلك من بين أهداف الجماعة، الأمر الذى جعل قانون حل الأحزاب الذى أصدره مجلس قيادة الثورة لا ينطبق على الإخوان، وأثناء اللقاء الذى عرض فيه الإخوان تصورهم لحجاب المرأة، وبعد أربعة أشهر على قيام الثورة، وبالتحديد فى صبيحة يوم صدور قانون حل الأحزاب فى يناير سنة ١٩٥٣ حضر إلى مكتب جمال عبدالناصر وَفْدٌ من الإخوان مكون من الصاغ الإخوانى صلاح شادى، والمحامى منير الد له، وقالا له: (الآن وبعد حل الأحزاب لم يبق من مؤيدٍ للثورة إلا جماعة الإخوان، ولهذا فإنه يجب أن يكونوا فى وَضْعٍ يليقُ بهم وبدورهم وبحاجة الثورة لهم) فقال لهما جمال عبدالناصر: (إن الثورة ليست فى أزمةٍ، أو محنةٍ، وإذا كان الإخوان يعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون) لكنه سألهما بعد ذلك: (حَسَنًا ما هو المطلوب لاستمرار تأييدكم للثورة؟).

فقالا له: (إننا نطالب بعرض كافة القوانين والقرارات التى سيتخذها مجلس قيادة الثورة قبل صدورها على مكتب الإرشاد لمراجعتها من ناحية مدى تطابقها مع شرع الله والموافقة عليها، وهذا هو سبيلنا لتأييدكم إذا أردتم التأييد) فقال لهما: (لقد قلت للمرشد فى وقت سابق إن الثورة لا تقبل أى وصايةَ من الكنيسة، أو ما شابهها، وإننى أكررها اليوم مرة أخرى، وبكل عزمٍ وحزمٍ) وبعد ذلك تم اللقاء بين جمال عبدالناصر،

والمرشد العام للإخوان حسن الهضيبى فى منزله بمنشية البكرى فى حى مصر الجديدة شمال مدينة القاهرة على أساس أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين (الثورة والإخوان) بعيدًا عن الوصايا الدينية، أو السياسية، لكنه فوجئ بأن الهضيبى تراجع عن الشروط السابقة، وكان من ضمنها ما يلى:

أولاً: (ألاَّ يصدر أَىَّ قانونٍ إلاَّ بعد أن يتم عرضه على مكتب الإرشاد للإخوان ويحصل على موافقته).

ثانيًا: (ألاَّ يصدر أىَّ قرارٍ إلاَّ بعد أن يَقِرَّهُ مكتب الإرشاد).

وقد رفض جمال عبدالناصر بكل حزم هذين الشرطين، لأن الإخوان أرادوا من خلالهما وغيرهما من الشروط الأخرى الحكمَ من خلف الستار وعدم تحمل تبعات الحكم الداخلية والخارجية، وقد حدث من جَرَّاءِ ذلك أن تَحَوَّلَ موقفهم من الثورة وحكومة الثورة، إذْ دَأَبَ (المرشد) بعد هذا التحول على إعطاء تصريحاتٍ صحفية مهاجماً فيها الثورة وحكومتها فى الصحافة الخارجية والداخلية، كما صدرت الأوامر والتعليمات إلى هيئات الإخوان بأن يظهروا دائمًا فى المهرجانات والمناسبات التى يحضرها وينظمها رجال الثورة بمظهر الخصم المتحدى!!

أما الشروط التى قدمها حسن الهضيبى بَدَلاً عنها وتتمثل فى مطالبة مجلس قيادة الثورة بإصدار مراسيم بالآتى:

* فرض الحجاب على النساء.
* إقفال دور السينما والمسارح.
* منع وتحريم الأغانى والموسيقى.
* تعميم الأناشيد الدينية.
* إصدار مرسوم يلزم القائمين على حفلات وقاعات الأفراح باستخدام أناشيد

مصحوبة بإيقاعات الصاجات (الدفوف) فقط.

* منع النساء من العمل.

* إزالة كافة التماثيل القديمة والحديثة من القاهرة وكل أنحاء مصر.

وكان رَدٌّ (عبدالناصر) على كل هذه المطالب كالآتى:

* لن نسمح بتحويل الشعب المصرى إلى شعب يعيش حياةً بدائيةً فى أدغال أفريقيا.

وبعدها قابل عبدالناصر مُوفَدَىْ عرضا عليه رسومًا قالوا إنها تقريبية لثلاثة نماذج من الحجاب يمكن تطبيقها على مراحل بصورة تدريجية، وفور مشاهدة عبدالناصر لهذه الرسوم التقريبية ضحك سَاخِرًا، ثم قال: (أنا مش عارف سبب اهتمامكم باستهداف الستات!!)، ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى (محمد حامد أبو النصر) الذى أصبح مرشدًا للإخوان فى وقت لاحق من الثمانينات متسائلاً: (طيب ليه بناتك سافرت يا أستاذ حامد، وليه متلزمهمش بواحد من الحجاب ده اللى عايزين من مجلس قيادة الثورة فرضه على الستات بمراسيم!!؟)

وعندما أقرت الثورة تشكيل حكومة برئاسة محمد نجيب بالإضافة إلى منصبه كرئيس لمجلس قيادة الثورة على أن يكون للإخوان حقائب وزارية منها وزيران، أو ثلاثة، وقد اتصل المشير عبدالحكيم عامر ظهر يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢م، بالمرشد العام الذى رشح وزيرين من الجماعة هما الشيخ: أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الإرشاد، والأستاذ أحمد حسنى، وبعدها ببضعة ساعات حضر إلى مبنى القيادة بكوبرى القبة الأستاذان حسن العشماوى ومنير الدولة وقابلا عبدالناصر وقالا إنهما قادمان ليدخلا الوزارة وموفدان من المرشد العام فردَّ عليهما جمال عبدالناصر بقوله: إنه أبلغ الشيخ الباقورى وأحمد حسنى بالترشيح وسوف يحضران بعد ساعة من الآن ليحلفا اليمين، ثم اتصل عبدالناصر بالمرشد العام فورًا ليستوضح منه سبب تغيير أسماء المرشحين بعد أن تم إبلاغ الباقورى وحسنى، فرد المرشد العام بأنه سيدعو مكتب الإرشاد للاجتماع بعد

قليل وسوف يَرُدَّ بعد ذلك على عبدالناصر، ولكنه لم يرد، فعاود عبدالناصر الاتصال به، ففوجئ بِرَدِّ المرشد العام الذى أفاده بأن مكتب الإرشاد قَرَّرَ عدم الاشتراك فى الحكومة الجديدة، وعندما قال له عبدالناصر إن مجلس قيادة الثورة أبلغ الشيخ الباقورى وأحمد حسنى وأنهما سيحضران بعد قليل لأداء اليمين رَدَّ عليه المرشد قائلاً: (نحن رشحنا صديقين للإخوان ولا نوافق على اشتراك الإخوان فى الوزارة).

وفى اليوم التالى نشرت الصحف المصرية تشكيل الوزارة الجديدة بعد أداء اليمين وكان ضمن أعضائها الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الإرشاد وزيرًا للأوقاف، فاجتمع مكتب الإرشاد وَقَرَّرَ فصل الشيخ الباقورى من جماعة الإخوان واستدعى عبدالناصر الأستاذ حسن عشماوى وعاتبه على هذا التصرف وَهَدَّدَ بنشر جميع التفاصيل التى لازمت تشكيل الوزارة لكن العشماوى رجاهُ عدم النشر حتى لا تحدث مشكلة بين صفوف الإخوان تُسِئُ إلى موقف المرشد العام، وَيُورِدُ الكتاب جزءًا من مذكرات محمد نجيب تتعلق بالإخوان قال فيه: (حاول الإخوان الاتصال بى فى ديسمبر ١٩٥٣م عن طريق محمد رياض الذى اتصل به حسن العشماوى ومنير الدولة وطلبوا أن تتم مقابلة سريةٌ بينى وبينهم، واقترحوا مكانًا للمقابلة منزل الدكتور اللواء أحمد الناقة الضابط بالقسم الطبى فى الجيش، وكانت هذه مفاجأة، لأننى عرفت لأول مرة أن الدكتور أحمد الناقة له ارتباطًا بالإخوان، ورفضت فكرة الاجتماع السرى بهم وأبلغتهم بواسطة محمد رياض أننى مستعد لمقابلتهم فى منزلى، أو فى مكتبى، لكنهم اعتذروا عن ذلك وطلبوا أن أُفَوِّضَ مندوبًا عنى للتباحث معهم فوافقت وعينت محمد رياض ممثلاً عنى للاجتماع معهم بعد أن زودته بتعليماتى واجتمع محمد رياض بممثلى الإخوان حسن عشماوى ومنير الدولة عدة مرات).

وبحسب المذكرات أوضح محمد رياض لممثلى الإخوان رأى محمد نجيب فى إنهاء الحكم العسكرى الحالى وعودة الجيش إلى ثكناته وإقامة الحياة الديمقراطية البرلمانية وعودة الأحزاب وإلغاء الرقابة على الصحف، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، بل طالبوا ببقاء الحكم العسكرى الحالى،

وعارضوا إلغاء الأحكام العرفية وطالبوا باستمرار الأوضاع كما هى، وكانت المطالب كالآتى:

* أن ينفرد محمد نجيب بالحكم، وإقصاء جمال عبدالناصر، وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة.

* يتم تشكيل حكومة مدنية لا يشترك فيها الإخوان، ولكن يتم تأليفها بموافقتهم.

* طالب الإخوان تعيين (رشاد مهنا) وهو (إخوانى) قائدًا عَامًّا للقوات المسلحة.

* تشكيل لجنة سرية استشارية يشترك فيها بعض العسكريين الموالين لمحمد نجيب.

* يتم تشكيل عدد مُسَاوٍ لهم من الإخوان بحيث يتم عرض القوانين على هذه اللجنة قبل إقرارها.

* يتم العرض على هذه اللجنة الاستشارية السرية سياسة الدولة العامة وأسماء المرشحين للمناصب الكبرى.

ويضيف (محمد نجيب) فى مذكراته التى أوردها الكتاب: (كان الإخوان يريدون بذلك السيطرة الخفية على الحكم دون أن يتحملوا المسؤولية) ثم يمضى قائلاً: (رفضت جميع هذه الاقتراحات وانتهت المفاوضات السرية التى جرت بين محمد رياض، وموفدى الإخوان، وقد تعرض محمد رياض للمتاعب فى وقتٍ لاحقٍ بعد أن اعترف الصاغ حسن حمودة، وكان من الإخوان - أمام المحكمة فى شهر نوفمبر ١٩٥٤م، بأن اتصالاً سِرِّيًّا تم بينى وبين الإخوان بواسطة محمد رياض وذكر أمام المحكمة آرائى التى نقلها محمد رياض إلى حسن عشماوى ومنير الدولة، وصدر الأمر بالقبض على محمد رياض بتهمة التخطيط للانقلاب على مجلس قيادة الثورة بالتعاون مع الإخوان، ولكنه استطاع الهرب إلى المملكة العربية السعودية بالطائرة) [1].

ولأننا تعرضنا إلى الفاشية الدينية، فلابد لنا أن نتعرض لمعناها، ومبادئها، وخصائصها.

(١) شبكة الانترنت.

الفاشية الدينية : هى مصادرة حق النقد

فكل بلد يتم فيه مصادرة حق النقد ويطبق على القاصى والدانى، ويتم التضييق على الحريات لا يمكن تحت أى ظرفٍ من الظروف أن تتحسن هذه الدولة، ولا يمكن لها أن تتماشى فى ركاب الدول المتحضرة مهما أن طال بها الزمن وهى على تلك الحالة، فإنه لا يمكن أن تتحسن وتتطور المجتمعات الإنسانية بدون ممارسة النقد على نطاقٍ واسعٍ، فالبلد التى تحاصرها الفاشية الثقافية، لا يمكن لها أن تأخذ بأسباب المناهج العلمية المتطورة، ولا بأساليب البحث العلمى الحديث، ولا بأدوات التقدم، ولا بمنتجات الحداثة، ولا بمظاهر العولمة، ولا بمتطلبات الديمقراطية الحديثة، ولا بمستلزمات السياحة العصرية، ولا بمناخ الاستثمار الجذاب، ولا بالاستقرار السياسىّ القائم على الحكم الرشيد، ولا بالإعلام المتوازن الموضوعىّ المهنىّ ...، وباختصار، فإن البلد الذى تحاصره الفاشية الدينية، والثقافية يخرج سريعًا من التاريخ.

مبادئ الفاشية وخصائصها :

(١) إلغاء الحريات الفردية، مثل: حق الحياة – حق الكرامة – الخصوصية.

(٢) تريد الفاشية أن تكون قويةً على حساب الآخرين.

(٣) تَشُكُّ الفاشيةُ، بأن يُصْبِحَ سلامٌ دائمٌ بين جميع دول العالم.

(٤) تقييد حريات الفرد، مثل حرية الصحافة، وحرية الاجتماع.

(٥) سيطرة جهاز الحكم على وسائل الإعلام واستخدامها للتأثير على الرأى العام[1].

وهذا ينطبق تمامًا على (جماعة الإخوان) وما ظهر فى حكمهم من خلال عام حكموه

(١) شبكة الانترنت. الموقع الرئيسى لمؤسسة الحوار المتمدن.

لمصر، ولكى نقترب من هذا المشهد، وجب علينا أن نقترب من دهاليزهم وأنفاقهم حتى نصل إلى الحقيقة عن طريق معرفة عدة نقاطٍ وأهمها:

أولاً : من هم؟

ثانياً: شعاراتهم وما تحمل من دلائل.

ثالثًا: ما فكرهم؟

رابعًا: من أين جاءوا بهذا الفكر؟

خامسًا: ما حكمهم على المجتمع؟

سادسًا: موالاتهم لأعداء الإسلام.

سابعًا: التمكن والتمكين للقفز عى سلم المجد باستلام السلطة.

أولاً : من هم ؟

لجماعة الإخوان رؤوس تُديرها، أو محركٌ يحركها فى أكثر من ثمانين دولة على مستوى العالم وهم كالآتى: (مرشدى جماعة الإخوان فى مصر)

(١) حسن البنا – المرشد الأول؛ ومؤسس الجماعة فى الفترة من (١٩٢٨ : ١٩٤٩).

(٢) حسن الهضيبى – المرشد الثانى للجماعة فى الفترة من (١٩٤٩ : ١٩٧٣).

(٣) عمر التلمسانى – المرشد الثالث فى الفترة من (١٩٧٣ : ١٩٨٦).

(٤) محمد حامد أبو النصر – المرشد الرابع فى الفترة من (١٩٨٦ : ١٩٩٦).

(٥) مصطفى مشهور – المرشد الخامس فى الفترة من (١٩٩٦ : ٢٠٠٢).

(٦) مأمون الهضيبى – المرشد السادس فى الفترة من (٢٠٠٢ : ٢٠٠٤).

(٧) محمد مهدى عاكف – المرشد السابع فى الفترة من (يناير ٢٠٠٤ : ١٦ يناير ٢٠١٠).

(٨) محمد بديع – المرشد العام الثامن فى الفترة من (١٦ يناير ٢٠١٠ : ٣٠ يونيو ٢٠١٣، والتى أسقطها الشعب المصرى).

أعضاء مكتب الإرشاد العالمى وهم كالآتى:

(١) محمد بديع – المرشد العام للجماعة، وعضو مكتب الإرشاد العالمى من ٢٠٠٧م.

(٢) محمد مهدى عاكف – المرشد السابق للجماعة.

(٣) راشد الغنوشى – هو السياسى، والمفكر الإسلامى فى تونس، وزعيم حركة النهضة، والذى تولى مقاليد الأمور فى تونس من بعد ما يُقال عنها ثورات الربيع العربى، أى: أصبح رئيسًا للدولة بعد ثورة تونس.

(٤) إبراهيم منير – مصرى مقيم فى لندن، والمتحدث باسم الإخوان بأوروبا.

(٥) عبدالمجيد ذنيبات – المراقب العام السابق للإخوان فى الأردن.

مراحل تجنيد (الإخوانى): (المَرْحَلَةُ الأُولَى)

البحث عن (الإبل النجيبة) والأولوية (لأبناء الأغنياء) فى كُتَيِّب مُعنون بـ(الدعوة الفردية) يُوزع على أعضاء الجماعة يُطلب من الأخ البحث فى الدوائر المحيطة به عن العناصر المستهدفة بالتجنيد فى الجماعة، ثم وضعها فى قائمة يُلخص فيها معلومات تتعلق بهم وما تنطوى عليه شخصياتهم من مميزاتٍ وعيوبٍ، وبعد ذلك يُكلف بالحديث مع النقيب (المسؤول) فى صفات هذا الشخص المستهدف، ولكن هذا التكليف تضع له الجماعة بعض الضوابط والشروط، فتكون حريصة فى توجيه (الأخ المجند) على نوعية من يختار للدعوة الفردية، فتشترط عليه أن يختار الأقرب لدائرته حتى يكون التواصل معه أيسر، ويكون إضافةً حقيقية للجماعة وليس خصمًا من رصيدها، وتضرب الجماعة مثالاً شهيرًا يسود فى أدبيات الجماعة تُوصى به أعضاءها وهو: (لا تتعامل مع الجماعة على أنها مستشفى يقدم العلاج للمرضى، بل كما يتعالم الجواهرجى الذى يتعامل مع اللآلئ)

وتتمثل بمقولة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (الناس كالإبل مائة لا تجد فيها راحلة) بمعنى: أن على (الأخ) أن يبحث عن (الرواحل) النجيبة التى تتحمل السفر الطويل والأثقال، فإذا كان (المستهدف) طالبًا، فمن الأفضل أن يكون نجيبًا، كما يفضل الموسر ماديًا، لأن المطلوب هو أن ينفق على الدعوة، وكلما كان من أسرة غنية أفضل من أن يكون من أسرة فقيرة، عند هذه النقطة نتوقف مع (أحمد بان) الباحث فى شئون الجماعات الإسلامية، ليحدثنا عن النوعية التى تفضل جماعة الإخوان أن تجندها فى صفوفها، قائلاً: (إن حسن البنا كان إذا نزل قرية، بحث فيها عن وُجهاء القوم ليضمهم لجماعته، وعند تكوين شعبة فى هذه القرية يسند مسئوليتها لِعِلْيَةِ القوم فيها، وكان هذا أَمْرًا مُتعارفًا عليه فى الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضى).

ويقول (متولى) وهو أحد نقباء الأسر (الإخوانية): يخضع هذا الأخ لمنهج الدعوة الفردية الذى يبدأ بمرحلة التعارف، كما تحتوى العملية طُرُقًا محددة تُعتبر مداخل مدروسة ومجربة للوصول للشخص المستهدف بالدعوة) ويصف (أحمد بان) المناهج التجنيدية بقوله: (إنها أقرب للعلوم النفسية منها للعلوم الشرعية، لأن الـمُجنِّدِينَ، يُعتبرون أنفسهم يتعاملون مع نفوس بهدف ترويضها، والولوج فيها للسيطرة الكاملة عليها لتجنيدها، فالأخ يجند هؤلاء الأفراد لكى يكونوا جنودًا عند هذا التنظيم) ويقول (متولى): (يبدأ الاتصال بالفرد بعد مرحلة التعارف، فنسعى لصداقته، والاقتراب منه جدًّا، لنقترب من عالمه النفسىّ، فنعرف مَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ) ويستشهد المتحدث (بحسن البنا) فيقول: (كان كلما يريد أن يدعو شخصًا يعرف ما يحب هذا الشخص وما يكره، فإذا كان محبًا للكلاب يذهب البنا ليقرأ عن الكلاب لكى يشاركه اهتمامه ويقترب منه أكثر، ويكون ذلك مدخله له) ويضرب (أحمد بان) مثالاً توضيحيًّا آخر يرددهُ الإخوان كثيرًا لأفرادهم المنوط بهم (التجنيد) قائلاً: (لو كان المستهدف يعشق الطوابع، فالمفترض أن تكون خبيرًا

فى جمع الطوابع، وإذا كان من هواة كرة القدم، فمن المفترض أن تكون خبيرًا فى ذلك، فهذا هو مدخلك لكى تقترب من عالمه النفسى) وبعد مضى مدة، يُحاول (المجند) التقرب من (المستهدف) أكثر، فيتعرف على محيطه الاجتماعى، فمن الممكن أن يكون لهذا الشخص شقيقٌ، أو قريبٌ ينتمى لأحد الأجهزة الأمنية، أو الحساسة، التى لها وضعيةً خاصةً لدى التنظيم، وبعد مرحلة التعرف على المحيط الاجتماعى، يذهب الداعية المجند إلى النقيب المسئول لكى يجيب عن عدة أسئلة تتعلق بالعنصر المستهدف، وغالبًا ما يُقدم تقريرًا عنه يتناول سيرته الشخصية ومحيطهُ الأسرىُّ، وهواياته، وتحليلاً لشخصيته، وما إذا كان مُجادِلاً من عدمه، وَدَرَجَةِ تَدَيُّنِه، ومشاكله الجنسية، وعلاقاته العاطفية، أما الصفات التى يمكن أن يستبعد من أجلها (المستهدف بالتجنيد) من قبل (النقيب المسئول) فهى أن يوصفُ بأنه (غير كتوم) وَلاَ يُؤْتَمَنُ على الأسرار، وأن يكون ثِرْثَارًا، لأن السِّرِّيَةَ منهجٌ عند الجماعة، ويضيف (بان) أما عن المجادل، فيمكن أن يقبل فى البداية، لكن إن وُجِدَ أن الجدال خلقٌ أصيلٌ فيه، فيمكن الاستمرار فى ضمه على أن يبقى جزءًا من دوائر التنظيم العامة، وهو ما يُطلق عليه (الربط العام) ويُوصى (النقيب المسئول) عن صرف (المجند المستهدف) أن يبتعد عن مناطق الخلاف الفقهية، فالتنظيم ليس له مذهب فقهى بعينه، ويكتفى فقط بنصحه بقراءة كتاب (فقه السنة) للشيخ (السيد سابق) لأنهُ مَبْنِىٌّ على تجميع كل المذاهب الفقهية، ولا يكون ابن مذهب فقهىٌّ بعينه، ويحظر على (النقيب) أن يفتح عالمه النفسى للشخص المجند، فلا يعطيه إلّا ما يجعله يحبه، وينبهر به أكثر، وَيُقَدِّرُهُ أكثر، فهذا الداعية يجب أن يتمكن من نفس المدعو بحيث يُصبح هذا الداعية مرجعًا له فى كل شىء فى حياته، يرجع له فى كل أحواله، وتصرفاته الكبير منها والصغير على السواء، وحتى هذا الوقت لا يحدثُ الأخ الشخص المجند، أى: العنصر المستهدف فى الإسلام، أو الدعوة إلا بقدر ما يُسمح به الحوار العادى على حد قول (بان)، وعندما تتحول العلاقة إلى (علاقة معلقة) ينتقل معه المجند إلى المرحلة الثانية من (التجنيد).

(المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ) السيطرة على (المستهدف) بنظرية (المؤامرة على الإسلام)

بعد انتهاء المرحلة الأولى وهى ما تسمى بمرحلة (التعارف) ينتقل المجند المستهدف إلى مرحلةٍ جديدةٍ وهى ما تُسمى بـ(إيقاظ الإيمان) فيقول (المجند) (أنت مؤمن، لكن هذا الإيمانُ مُخَدَّرٌ بداخلك، وأن هذا الدين هو دينٌ مستهدفٌ بالمؤامرات على مدار التاريخ)، ثم يستحضر له كل المشاهد قديماً وحديثًا بِدْءًا من (خُبيب بن عدىْ، حتى سيد قطب، وعلاء الزهيرى) وكل شخص أُوذى من أجل دينه، وبهذا المعنى، تُصبح مسيرة الجماعة هى مسيرة هذا (الإسلام المضطهد)، وحيث تُصبح الجماعة هى الامتداد الطبيعى لمسيرة الإسلام على الأرض، لا لمسيرة فصيلٍ معين، فهؤلاء هم (الإسلام) بطريقة ما، فى استكمالِ لهذا المدخل العاطفىُّ الْجَذَّابْ ويتذكر (أحمد سعيد)، وهو (إخوانى) بدرجة منتظم، كيف وأن أول تأثرٍ له بالإخوان كان وقتها طفلاً يبلغ من العمر ١٠ سنوات، حيث جمع الإخوان عددًا كبيرًا من أبناء القرية فى بيت أحد الأخوة وعرضوا عليهم شريط فيديو يُسمى (الوعد) يحكى عن مَآسٍ تعرض لها الفلسطينيون على يد قوات الاحتلال الصهيونى، ودور حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى صَدِّ هذا العدوان، فضلاً عن مشاهد من (انتفاضة الحجارة) وكانت الصورةُ مصحوبةٌ بأصواتٍ منشدينَ شامِيِّينَ ويقول (أحمد) تأثرنا جميعًا وبكينا، وزاد حُبُّنَا بهذا الدين وارتباطنا بالجماعة، وَكَوْنُهَا هى الأمل الوحيد فى عودة الإسلام: ورفع رايته خَفَّاقَةً فوق المسجد الأقصى، الأمر الذى كان يحدث بعد ذلك فى حرب (البوسنة والهرسك) وقبلها فى حروب أفغانستان، (والشيشان، وكوسوفو) وتشكل عقلية العنصر (المستهدف) تركيبًا عاطفيًا بحتًا يُحاول فيه (المجند) شحذ وجدان (المستهدف) ويلهمه حتى يزرع فيه حب (التنظيم)، لكى يُؤمن به على أساس أنه يُمثل (دِرْعَ الْأُمَّةِ) والسبيلُ الوحيدُ إلى نصرتها بعد ما تقف على أرجلها من جديد.

ويقول (علاء محمد) وهو باحث منشق عن (جماعة الإخوان) (إن الأكثرية تنتمى إلى الجماعة انتماءً عاطفيًا فقط) وهذا المعنى هو نفس ما قاله الدكتور (عصام العريان) القيادىٌ الإخوانىٌ حيث قال: (مِنْ أَنَّ مَنْ معنا فى التنظيم أُنَاسٌ عاطفيون فقط، ولا يفهمون إلى أين هم ذاهبون) ويقول الباحث (أحمد بان): (هذا أمرٌ دقيقٌ ١٠ فى المائة فقط، فهى مادة العمل داخل الصف الإخوانى، ٢ فى المائة يخرجون عن طاعة التنظيم، ٨ فى المائة يظلون قانعين بأن يخوضوا معركتهم داخل الصف من الإخوان، ٩٠ فى المائة تُسلم قيادها إلى قيادات التنظيم، وتثق فيها ثقة عمياء، من منطلق أنها تُدبر لنصرة هذا الدين، ولنصرة هذا المشروع، ولقد منحتها الثقة بموجب بيعة شرعية، ويضيف (بان) أن التنظيم لا يحاول أن يزرع فى وجدان وعقل الأعضاء سوى رُكْنَىْ الطاعة والثقة فى القيادة، مع أن (حسن البنا) كان يلجأ إلى الشورى، ويغض التنظيم الطَّرْفَ عن باقى الأركان، ومنها الفهم والتجرد، فهو لا يستدعى سوى مفردات (الثقة والطاعة) مع أنه لا ثقة ولا طاعة دون فهم، ومن خلال زرع الثقة فى نفسية (المستهدف) عِبْرَ مَنْهَج فِكْرِىٍّ معين يُصبح مُهَيَّأً لفكرة (تفويض القائد) لاتخاذ القرار، وفى التدبير لأمور الجماعة) ويتابع الباحث: (وتسود هنا مَقُولات من نوع) (لَدَىَّ ثِقَةٌ أن لديه من المعطياتِ مَا لَيْسَ لَدَىَّ) أو (الرؤية لدى القائد أدق، وقراره صائب) ومن موجبات هذا العمل الجماعى أن يكون هناك قيادة، ومن موجبات هذه القيادة أن تحظى بالثقة على أساس أن هذا العمل سَيُهْدم لو كل فرد يفكرُ ويدبرُ ويقررُ لنفسه بمعزل عن الجماعة، ونحن فى مواجهة التدبير الجماعىٌ للحرب ضد الدين فى حاجة إلى تدبير جماعة فى مواجهة هذه الحرب).

ويتم تسويق مقولات دينية فى هذا الصدد حسبَ ما صَرَّحَ به الباحث مثل مقولة: (لا إسلام إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بالطاعة، ولا طاعة إلا بجماعة) فضلاً عن الآية الكريمة والتى تقول: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) إضافةً إلى حَشْدٍ من الآيات تَحُضُّ على العمل مع الجماعة، ويتسع نطاق النص ليتم تطويره فى المساحة التى

يريدها التنظيم لخدمته، وهو أمرٌ حاضرٌ فى الجماعة على امتداد تاريخها، فعندما نقرأ فى نصوص (البنا) تجد استشهادات قرآنية فى غير موضعها، ويتسع مفهوم النص لكى يلائم ما ذهب إليه من مفهوم، وشيئًا فشيئًا تتحول الأمور فى التبعية فى الإسلام إلى التبعية للتنظيم باعتبارها (وَلَاءٌ لِلّٰهِ) مع العلم أن أداة فكرة التمكين للدين والدولة مجرد وعاءٌ لهذا التمكين، فيمضى (المستهدف) مع هذا التنظيم منذ بداية إدراكه، بأن هذا الدين هو المستهدف، وثبتت الأفكار الجذرية التى توضح فى ذهن الشخص تشكل أفكاره ووجدانه أن الإخوان هى جماعة المسلمين) وهذا هو مَا يَسْتَنْبِطُهُ الضميرُ (الْإِخْوَانِيُّ) وَإِنِ ادَّعَى أنه يقول عكس ذلك. وهذا يُلَقِّنُ المستهدف خلاصة ما تقوده إلى أن (الإخوان) هم من يفهمون الإسلام على حقيقته، وأنهم الممثلون الحريصون لدين الله فى الأرض، وأنه ما من أحد يعمل لهذا الدين سواهم كما يعملون له، وأنهم أدق الناس فهمًا لمعانى الإسلام ومراميه، وهناك جذران ينهض بهما (الأخ) لفهم الدعوة الإسلامية هما كتابا (الطريق لجماعة المسلمين) و(ماذا يعنى انتمائى للإسلام؟ وهذا هو الأساس الذى يخضع له تكوين (الأخ) المستهدف تجنيده منذ أن يَلِجَ أولى عتبات هذا التنظيم المغلق، وَيَبْدَءِ دخوله فى التكوين الفكرىِّ تنتهى مرحلة التعارف ومرحلة إيقاظ (الإيمان المخدر) فى الصدور من خلال تعويده على مجموعة من العبادات، ثم إدراكه أن هناك مؤامرة على هذا الدين، وأن هذه المؤامرة تستلزم كيدًا جماعيًا، وبالتالى يجب أن يكون عمله عملاً جماعيًا، وهناك جماعات كثيرة تعمل على الساحة، فأى جماعة سيكون إليها ولاءه؟ فى هذه المرحلة تُشْرَحُ له طرائق العمل الجماعى التى تدعى الصلة بالمنهج الإسلامى، فَيُقَالُ له: إن هناك (سلفيين) يهتمون بالعبادات والطقوس والإشارات: والمظاهر على حساب الجوهر، وهناك (الصوفيون) وهؤلاء منسحبون من العالم، وهناك (الجهاديون) الذين يحملون مهمة الجهاد بالسلاح، ولكن (الإخوان) هم الذين يجمعون كل هذه الأمور، فهى (الجماعة الشاملة).

(المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ) أهلاً بكم فى (دولة الإخوان)

تبدأ مرحلة التأهيل الفكرى والتربوى بدءًا من المرحلة الثالثة، وتعتمد هذه المرحلة على غرس قيم مجتمعية وأخلاقية ودينية داخل الفرد، من خلال إطار تنظيمى ضيق يُسمى فى العرف الإخوانى بـ(الجلسات التربوية) ولا تتمتع هذه الجلسات بالصرامة التنظيمية والانضباط الكامل فى ظل رغبة الجماعة، فى هذه المرحلة التَّوَدُّدِ إلى (المدعو) أكثر من توجيه الأوامر له بشكل يدفعه إلى الهروب، أو الشعور بِالْغُرْبَةِ سريعًا من التنظيم.

وتعتمد مرحلة (الجلسات التربوية) على مقوماتٍ مهمةٍ أهمها (المحتوى التربوى) الذى يتم تدريبه للمدعو، ويتضمن كافة القيم الأخلاقية والمجتمعية التى تنوى الجماعة زرعها داخله، وهذه المحتويات الفكرية والثقافية تقوم الجماعة بإسناد وضعها إلى قسم التربية فى التنظيم، ويتم تكليف المسئول (النقيب) بتدريسها للمدعو ويهدف التنظيم فى هذه المرحلة إلى ترسيخ فلسفة الاستيعاب النفسى للشخص لكى يشعر بقيمة المجتمع الجديد الذى يبدأ فيه أولى خطوات حياته الجديدة، وتقوم فلسفة الاستيعاب النفسى على ما يُسمى بـ(الإحاطة الاجتماعية) وأولها أن يشعر بأن حوله حفنة من الجمهور الملتزم أصحاب الأيادى المتوضئةِ والوجوهِ النَّيِّرَةِ وأصحاب الحيثية المجتمعية، لِتُضْفِى عليه (قِيمَةً مَا) فيشعر بدوره فى المجتمع وحاجة هذا المجتمع له، ومن هنا يشعر وكأنه أحد الأعمدة المهمة فى المجتمع دَعَوِيًّا، وَسِيَاسِيًّا، وَتَتَوَلَّدُ لَدَيْهِ أهمية الانتماء إلى تنظيم دِينِىٍّ، ثم الرغبة فى الولاء التام والتبعية لهذا التنظيم.

وأما النقطة الثانية، وهو ما يحدث بها يُسَمَّى بـ(التآلف المادى) حيث تتبنى الجماعة الكثير من شئونه المالية، خاصة إن كان من أبناء الطبقة المتوسطة، أو الفقيرة لكى يترسخ فى داخله ولاءهُ، وتبعيتهُ المطلقة، بجانب إيمانه الراسخ بأن (الإخوان) هو التنظيم البديل عن الدولة، وأنه القادر على خلق كافة الحلول التى يحتاج إليها بما فيها الحلول المالية، ويتبع

كل ذلك الإطار الفكرى الذى يُعتبر كالحبل المتين من خلال استجلاب بعض الكتب التى تُؤَصِّلُ لقدسية التنظيم، مثل كتاب (الطريق إلى جماعة المسلمين) للكاتب (حسين جابر) وهو أحد قيادات التنظيم بالسعودية، والذى يُؤصل لأهمية العمل للإسلام من خلال الجماعة، ويُحاول الكتاب إسقاط النصوص الدينية والشرعية على اعتبار أنها (جماعة المسلمين) وليست جماعة من المسلمين، وأن شرف الانضواء تحت رايتها لا يضاهيه شرف، وتعتمد مرحلة الإطار الفكرى على ما يُسمى (بذبح الآخر) حيث يسعى النقيب إلى تشويه صورة التيارات الإسلامية الأخرى، بدعوى نقص، أو عدم اكتمال الفهم الكامل للإسلام لديها، وأن (الإخوان) هى الجماعة الوحيدة التى تفهم الإسلام بشموليته، وهذا موجودٌ فى كتاب (حسن البنا) (إسلام الإخوان المسلمين)، ويعمدُ النقيب فى علاج الشبهات الفكرية إلى بعض النصوص الشرعية لعلاج أقوى ما يمكن مواجهته من جانب المدعو، وهى الشبهات الفكرة التى يلوكها المدعو على أذن الداعية (الإخوانى)، وربما يكون قد سمعها من جانب بعض التيارات الإسلامية الأخرى لمداراة عجزه فى تقديم ردودٍ فكريةٍ وثقافيةٍ وعقلانيةٍ للمدعو، ويتم توجيه أوامر بعدم الخوض فى أىِّ نقاشاتٍ جانبيةٍ مع التيارات الأخرى، واستخدام حديث النبى ﷺ: (إنى زعيم ببيت بربوة فى الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا) إذْ يعتبر الجدل من الأمور المنهى عنها داخل التنظيم، ودائمًا ما يقول (النقيب) (خلينا عمليين أحسن) فتزيد مساحة الحركة على الفكرة، لأن النقيب يُريدُ من العضو أن يكون حركيًا أكثر منه مفكرًا، ولذا تبدأ مرحلة تغييب العقل الإخوانىِّ من مرحلة الدعوة الفردية، ليتم تطويعه بعد ذلك من خلال الثقة فى القيادة، وطاعة القيادات دون مناقشة ولا جدال، وفى حالة الفشل التَّامِّ فى مواجهة الشبهات ينتقل سريعًا إلى مرحلة الدفاع من خلال اتهام المدعو بالتقصير فى طاعته لله، ومن ثم يقول له: (راجع موقفك من الله، ومستوى علاقاتك مع الله) [1].

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرى ١٤٣٤هـ - ١٥ أبريل ٢٠١٣م، السنة الأولى العدد ٢٥١.

لِذَا نستخلصُ مما سبقَ ذكرهُ أَنَّ جماعةَ الإخوانِ يتنازعها من الداخل تياران متعارضان فى فهمها والفارق بينهما بَوْعٌ شَاسِعٌ ومسافةٌ كبيرةٌ، كما بين السماء والأرض، فالتيار الأول: هو الذى يؤمن بالدعوة إلى الله خالصة، ويؤمن بما جاء فى كتابه تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥) أى: اجعل الدعوة لله خالصةً، لا من أجل تنظيم، ولا من أجل جماعةٍ، ويكون قدوتك فيها محمد ﷺ، وصحابته الكرام، وأن يكون كلامك مشفوعٌ بالدليل الساطع الموضح للحق، والعبر اللطيفة التى تنزل على القلوب، لتكون بلسماً يشفى قلوب الحيارى الملهوفين، وأملاً يحيى قلوب الشاردين المجروحين، وأمثال ذلك كُثُرْ قد خرجوا من الجماعة عندما علموا بالتنظيم السرى وعلموا حقيقته، فأيقنوا أن كل ما سمعوه فى الجماعة كان وهمًا وسرابًا، بل كان كذبًا، وأما التيار الثانى، وهو التيار الذى اتخذ العنف منهجهُ وطريقهُ، وهو التيارُ التكفيريُّ الذى أخذ منهجه من التكفيريين أمثال حسن البنا، وسيد قطب، وسيد أبو الأعلى المودودى، لأنهم كَفَّرُوا السلطة الحاكمة، بل خر جوا عليها بالقتل، وتفجير المنشآت، وكذلك طوائف الشعب المخالفين لهم، فاستدلوا استدلالاً فاسدًا بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٣) فياليتهم قاتلوا أعداء الله، بل إنهم يقاتلون أبناء جلدتهم، وإخوانهم فى الدين، واستدلوا استدلالاً فاسدًا أيضًا بالحديث الذى رواه الإمام أحمد، ومسلم، والأربعة من حديث أبى سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) [1].

فالتغيير لا يتم إلا بأولى الأمر العقلانيين، أو العلماء الربانيين، أو رجال الأزهر الوسطيين فى أحكامهم، وإلا لَوْ تُرِكَ الأمر كما يتصورون باستدلالاتهم الفاسدة لأصبح

(١) الحديث صحيح: جاء فى تخريج مشكلة الفقر برقم: (٦٦)، وصحيح أبى داود برقم: (١٠٣٤)، ومختصر مسلم برقم: (٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٥٠).

المجتمع يعيش حياة الغاب القوى يأكل الضعيف، والمتسلح بسلاح البنادق الآلية، والأحزمة الناسفة والعربات المفخخة يحصد الآمنين حصدًا.

الزَّوَاجُ البيئيُّ

الإخوان يستفيدون من حالات الزواج البيئى، حيث يتزوجون من بعضهم البعض، فتتسم الاتصالات فيما بينهم، بأن لها غطاءً مهمًا جدًّا، وهو غطاءُ النسبِ والقرابةِ، ومن جانبٍ آخر هو تضليل رجال الأمن، أما باقى أفراد المناطق يتم الاتصال بهم فُرادى، أو تزورهم مجموعة المسئولين فى كل منطقة كل واحدٍ منهم على حِلَقٍ، ويوزعون عليهم البرامج فُرادى وأما فى الريف فينتهزون الفرصة من آن لآخر فى المناسبات السعيدة، أو المناسبات الدينية، أو توزيع الجوائز على الأشبال الصغيرة من حفظة القرآن الكريم، فينعقد الاجتماع فى المسجد واستحضار أحد دعاة الإخوان، وغالبًا ما يكون من القرية، أو ما يجاورها، لإلقاء كلمة بعد توزيع الجوائز، ثم يتم تلقى الأوامر من القيادة العليا بالقاهرة عن طريق بعض الأشخاص بقادة المناطق، وهم بدورهم يقومون بإبلاغها إلى المستويات الأدنى حتى تصل إلى جميع الأفراد بيسرٍ وأمانٍ.

ثُمَّ يُطِلُّ علينا الأستاذ (صبحى صالح) فى إحدى القنوات الفضائية بتغريداته الجميلة، وابتساماته الساخرة مطالبًا بألا يتزوج الإخوانى من غير الإخوانية، فقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١) وبعد البرنامج وصلت ردود أفعال كثيرة وصلت إلى تقديم بلاغات تتهمه بقذف المحصنات، فعلق قائلاً: أنا كنت أعرض فكرى، وكنت أتحدث عن الإخوان، وعن منهج الإخوان فى إحداث تغيير مجتمعى أخلاقى سلمى متدرج، والإمام (البنا) شرحه فى سبع مراحل فى رسالة التعليم، وفيها منهج لا يوجد به عنف، ولا ثورة، ولا استعمال قوة، من خلال بناء فردٍ، ثم بيتٍ، ثم مجتمعٍ، ثم إصلاح الحكومة، فتحكيم الأقطار الإسلامية، فإعادة البناء

الدولى، وأوضح فى المقطع أن الفرد فى الجماعة يتصف بِعَشْرِ خِصَالٍ وهم أنه متين الخلق – قوى الجسم – مثقف الفكر – سليم العقيدة – صحيح العبادة – مجاهد لنفسه – قادر على الكسب – منظم فى شؤونه – نافع لغيره – محافظ على أخته، ثم يستطرد قائلاً: (إن الأخ، أو الأخت الذين استوفوا عشرة أركان، فيتزوجوا، فيكون قد تم بناء بيت، وبعدها يتم تكوين المجتمع، لذا ينبغى أن يكون الأخ صريح، والفتاة التى أصبحت بالفعل من الإخوان متينة الخلق صحيحة العقيدة، واستوفت المقومات (إحنا كنا هانربيها ليه؟)، أنا أرضى أجوز بنتى اللى متربية على المقومات العشرة، لواحد متربى على أربع مقومات؟ المتدين يسيب كاملة السلوك، وكاملة التدين علشان واحدة حبها من على الرصيف؟) وأضاف، قال رسول الله ﷺ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) (١).

ثم يختم تعليقه فيقول: وأنا هنا أتحدث عن بنات الإخوان اللاتى قمنا بتربيتهن، وأؤكد أننا لسنا أحسن من الناس، لكن البنت التى تربت على القيم لا يستحقها إلا مثلها.

أقول معلقًا على تصريحات محامى الإخوان (صبحى صالح) وحثه للإخوان على الزواج من الإخوانيات حتى يعطى الفرصة للقاءات والاجتماعات وتضليل رجال الأمن، وحتى إذا رأى الناظر هذه الاجتماعات يحجم عن الكلام بسبب المصاهرة، وأما الجانب الآخر، ألا وهو الشوفونية أى: أنه يرى نفسه وغيره من الإخوان، أنهم هم الأزهد فى الدين، وهم الأطهر، وهم الأنقى، ألم يَقُلْ: (إن الإخوان أنقى من ماء المطر، لو لم أكن إخوانيًا، لوددت أن أكون إخوانيًا، وبدلاً من أن يقول: اللهم أمتنى على الإسلام، قال وبقصد: اللهم أمتنى على الإخوان).

(١) الحديث: رُوِىَ فى الصحيحين، وأبى داود، والنسائى، وابن ماجه عن أبى هريرة – رضي الله عنه –، وجاء فى المشكاة برقم: (٣٠٨٢)، ومختصر مسلم برقم: (٧٩٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٠٠٣).

الشَّبَكَةُ الإِخْوَانِيَّةُ، وَالْمَصَالِحُ الْعَائِلِيَّةُ

حقيقة ابن آدم أنه ينظر دائمًا إلى الدنيا ويتمناها، بل ويشتهيها، كما يشتهى الفقير المعدم الطعام الشهى، فإذا جاءهُ وتحقق منه، ورأى بناظريْهِ أنه بين يديه وذاق طعمه جَنَّ جنونه وتملكته الرغبة الجامحة فى المزيد ولو على حساب أشياء كثيرة خطيرة تجول فى خاطره ولو كانت مستحيلة، وهكذا الدنيا بمظاهرها الخداعة، وأزيائها وزخارفها البراقة عندما يمتلكها الإنسان ويمتلك نعيمها الزائل، كما يقول المثل الدارج: (شَبَعْ بَعْدَ جُوعْ)، أو (شَبْعَه بَعْدَ جُوعَهْ)، فيصر عى الاستحواذ على هذا النعيم ولو على حساب القضاء على الآخرين، كالأسد المفترس الذى يفترس الفريسة بعد جوعٍ شديدٍ، فإذا اقترب أقرانه منه فى تلك اللحظة افترسهم، كذلك مَنْ فى السلطة يفعلون ذلك، فإذا كانوا خارجها انتقضوا مَنْ فى السلطة وَجَرَّحوا مَنْ فيها، بل وَعَرُّوهُمْ حتى يُسقطوهم ويُسقطوا أقنعتهم، فإذا امتلكوا السلطة مكانهم لا يعتبرون، ولا يتعظون بسنن الله الكونية، فيظلون يتمادون فى غِيِّهِمْ حتى يلتف حبل قضاء الدنيا حول رقابهم، وفى ذلك السياق سنضرب مثلاً بمنظومة الحكم عند نظام (مبارك) و(الحزب الوطنى)، ونظام الرئيس المعزول (محمد مرسى) و(حزب الحرية والعدالة للإخوان): وإليك المقارنة:

كانت منظومة الحكم عند نظام (مبارك)، ولدى الحزب الوطنى، اعتمدت على شبكة من النسب والمصاهرات والعلاقات والتربيطات، وهذا هو الميثاق السرى الذى يقوم عليه الحكم الاستبدادى، فالحكم المستبد لا يبحث عن الكفاءة ولكنه يبحث عن الولاء، وعن حاملي الطبول، ولا يبحث عن العقول المستنيرة التي تخدم الوطن والمواطنين وهم كُثُرٌ، لذلك فإننا لو بحثنا فى أسماء الوزراء والمسؤولين فى عهد مبارك المستبد فسنجد أنهم كَوَّنُوا فى ما بينهم شبكة متكاملة تعتمد على المصاهرة، والقرابة، والمصالح، والشراكة، ولكن اللافت للذكر أن هذه الشبكة لم تتشكل أركانها إلا فى السنوات الأخيرة من حكم

مبارك، بمعنى أن مبارك لم يصل إلى درجة إنشاء شبكة حكم تتواصل فى ما بينها فى خلال المصاهرة والقرابة والعلاقات التجارية إلا بعد عشرين عامًا من حكمه، ولم يفعل ذلك إلا عندما استشعر ضعف نظامه، وأنه لكى يبقى ويصلح فيه الإرث والتوارث يجب أن يعتمد على أصحاب الولاء، ومن غير الأصهار وشركاء المال، يتوافر فيهم الولاء الكامل، فالمركب الذى يُقِلُّ الجميع إذا غرق فسيغرق بالجميع، ومن شأن الأقارب وأصحاب المصالح الذين ركبوا سفينة الحكم أن يتعاضدوا فى ما بينهم من أجل الاستمرار، ومع ذلك لم تفلح جهودهم فى الاستمرار، وعند الغرق فَرَّتْ فئرانهم من السفينة المعطوبة، لقد عتبت جماعة الإخوان كثيرًا على النظام المصرى السابق إذا أقدم أحد أفراده على الاستعانة بنجله، أو شقيقه، أو أحد أقاربه فى العمل السياسى العام إلى أن حدثت ثورة الشباب واستجاب هذا النظام وتنازل مُكْرَهًا عن مَلَفِّ التوريث، مع العلم أن ما يعيبه جماعة الإخوان على النظام المصرى السابق هو ما تقع هى فيه من الداخل حيث تُوَرِّثُ العمل لأفرادها بعضهم البعض، هذا بفرض أنه توريث، والبديهى أن تتذرع الجماعة بأن العائلات التى أنجبت أكثر من قيادىٍّ فى العمل الإخوانى، أفرادها لم يَصِلُوا إلى هذه المكانة بالتوريث، ولكن بالجهد والعمل، وهنا يكون الرَّدُّ، أنه كما ترى الجماعة (أن الجد والعمل هما المعيار، وليس التوريث)، ولا أظن مثلاً أن ما ينطبق فى الدنيا على جماعة الإخوان مثل المثل القائل: (أن تسمع بالمعيدى خَيْرٌ من أن تراه) ولكن شاءت الأقدار أن ينزل (المعيدى) صاحب المثل الوارد إلى أرض الميدان، ثم إذا به يقفز على حكم البلاد قفزةً حطمت كل القيود، فأصبحنا نراهُ برلمانًا، فوزارةً، فرئيسًا، بعد أن كنا نسمع عنه كشبح مختبئ فى الكواليس، فإذا به شديد الشبه بالمثل العربى القائل: (شِهَابُ الدِّينِ أَضْرَطُ مِنْ أَخِيهِ)، ولعلك أدركت عزيزى القارئ أن شهاب الدين هو جماعة الإخوان، وأن أخاه هو الحزب الوطنى، هذا مثل ذاك لا فارق بينهما إلا فى الاسم، أما الفعل والمحتوى فهو هو، ولكن شهاب الدين، ونقصد به الإخوان، وهذا ما فعلته فى الشهور

الأولى من جلوسها على كرسيِّ الحكم، وهو ما فعله مبارك فى أواخر سنواته، حيث أنشأت منظومة حكم تعتمد فى المقام الأول، وأيضًا المقام الأخير على شبكة المصاهرات والقرابة والشراكات المالية، وليصبح الحكم لإخوانى قائمًا على بزنس العائلات، وبزنس المال، ونحن هنا نطرح الفكرة بموضوعية حتى لو انتفت شبهة التوريث أصلاً داخل الجماعة، فلا ندرى أى مسمى نطلق على ما بين أيدينا، فالمرشد السابق (محمد مهدى عاكف) يتولى ابن شقيقه (مصطفى عاكف) مسئولية شعبة مساكن شيراتون وهو من القيادات الوسيطة داخل جماعة الإخوان ويجرى إعداده لأحد المناصب العليا، كما أنه أحد المسئولين الرئيسيين بقسم الطلبة، كما أن (محمد مهدى عاكف) متزوج من شقيقة الدكتور (محمود عزت) القيادى البارز فى الجماعة والذى يتحكم بأكبر الملفات وأكثرها سخونةً وأهميةً بالجماعة، ألا وهو التنظيم السرى بالجماعة، أما (خيرت الشاطر) نائب المرشد العام، (فبهاء الشاطر) شقيقه كان مدير معارض السلع المعمرة بنقابة المهندسين، والمسئول الأول عن الملف الاقتصادى داخل الإخوان، و(أيمن عبدالغنى) أيضًا صهر خيرت الشاطر، وهو أحد المسئولين الرئيسيين بقسم الطلبة بالجماعة والمسئول الأول عن النشاط فى جماعة الأزهر، أما (حسن عز الدين مالك) فهو نجل عز الدين مالك أحد القيادات التاريخية للإخوان، ورفيق درب (حسن البنا، ومصطفى مشهور)، لذلك أصبح ابنه حسن عز الدين مالك أحد المسئولين عن الملف الاقتصادى للإخوان وصاحب كلمة نافذة داخل الجماعة، ومن أشهر العائلات الإخوانية التى ورثت العمل داخل الجماعة وورثته لأبنائها: (عائلة البنا) نسبة إلى مؤسس الجماعة (حسن البنا)، حيث يأتى ابنه (أحمد سيف الإسلام حسن البنا) الذى كان فى وقت من الأوقات من كبار قيادات الإخوان، وعضوًا بمكتب الإرشاد، وساندته الجماعة على مدار ثلاث دورات فى انتخابات نقابة المحامين كأمين عام، ثم ترك الجماعة وتفرغ للعمل النقابى، ومن عائلة البنا جاء أيضًا (عبدالحكيم عابدين) أحد أقارب الدرجة الأولى لمحافظ كفر الشيخ السابق،

ووزير التنمية المحلية (أحمد زكى عابدين)، وسكرتير عام الإخوان ومسئول القاهرة وعضو مكتب الإرشاد ومؤلف نشيد الجماعة، وأحد من طُرِحَتْ أسمائهم بقوة لتولى منصب المرشد العام بعد اغتيال حسن البنا، وعبدالحكيم عابدين هو زوج أخت حسن البنا الصغرى والتى كانت ذراع حسن البنا اليمنى فى العمل الدعوى النسوى، ومن نفس العائلة يأتى (سعيد رمضان) زوج ابنة حسن البنا، وسعيد رمضان أحد القيادات الإخوانية الكبيرة وأحد المسئولين فى قسم الطلبة فى بداية ١٩٥٤م، ولكنه ترك مصر هربًا من (عبدالناصر) حيثُ فَرَّ إلى السعودية، ثم إلى أوروبا وعاش بين السويد وألمانيا، وابنه (طارق سعيد رمضان) حفيد حسن البنا وهو أحد المسئولين الكبار فى التنظيم الدولى للإخوان، وهو المسئول عن المناظرات التى يقيمها الإخوان بينهم وبين العلمانيين، أما (استشهاد حسن البنا) بنت حسن البنا مؤسس الجماعة، فهى إحدى المسئولات فى قسم الأخوات ولها دَوْرٌ دَعِوىٌّ بَارِزٌ بين صفوف النساء، وبعد عائلة البنا تأتى عائلة (الهضيبى) التى أنجبت للجماعة اثنين من المرشدين هما (حسن الهضيبى) المرشد الثانى، و(مأمون الهضيبى) المرشد السادس، والجدير بالذكر أن عائلة الهضيبى لها مركز قوى جدًا داخل الجماعة، لذلك نجد أن (إسماعيل الهضيبى) أحد القيادات التاريخية ومحامى توظيف الأموال والذى انخرط فى العمل داخل الجماعة، وهناك أيضًا (عصام سلطان) زوج بنت أخت الهضيبى الذى كان قياديًا بارزًا قبل انشقاقه عنهم مع تأسيس حزب الوسط، ومن عائلة البنا والهضيبى إلى عائلة (عودة) ومنها (خالد عبدالقادرة عودة) ابن عبدالقادر عودة وكيل الجماعة فى عهد حسن الهضيبى والذى قام عبدالناصر بإعدامه بعد أحداث المنشية وكان مقدرًا له أن يُصبح مرشدًا للجماعة له مؤلفات عن القانون الجنائى الإسلامى، أما خالد عبدالقادر عودة، فهو أستاذ بكلية العلوم قسم الجيولوجيا، ورشحته الجماعة بمجلس الشعب بأسيوط وهو المسئول الأول عن الإخوان فى محافظة أسيوط، و(سعيد فتوح) شقيق الدكتور (عبدالمنعم أبو الفتوح) مسئول منطقة جنوب

القاهرة، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح هو الوحيد فى العائلة الذى دُوِّنَ (اسمه أبو الفتوح) فى شهادة الميلاد، وباقى إخوته مدونون تحت اسم فتوح، فملف التوريث داخل الجماعة يضم أيضًا (مختار نوح) الذى يمت بصلة قرابة إلى (أحمد السكرى) أول وكيل لجماعة الإخوان، ونوح اختلف مع البنا فى الأربعينات واستقال من الإخوان وانضم لحزب الوفد وكتب عدة مقالات وهاجم فيها البنا وجماعة الإخوان، والغريب أن مختار نوح دخل الجماعة على يد المرشد (عمر التلمسانى)، أما عائلة (قطب) فقد أمدت الجماعة بالشيخين (سيد قطب) و(محمد قطب) وكانا من القيادات الإخوانية البارزة القديمة، (فحميدة قطب) متزوجة من الإخوانى المتوفى (صالح شادى) أحد قيادات الجماعة والذى كان مسئولاً عن (التنظيم الخاص)، أما (عائلة مشهور) فملف التوريث مرتبط حاليًا بالدكتورة (وفاء مشهور) ابنة المرشد السابق (مصطفى مشهور) وهى إحدى المسئولات الكبار فى قسم الأخوات وابنها كان من ضمن من أُلْقِيَ القبض عليه فى أحداث مليشيات طلبة الأزهر الإخوانية، أو مَا عُرِفَ وقتها باستعراض القوة من قبل الجماعة ٢٠٠٧، أو فرق مليشيات الكاراتيه الإخوانية، وتم الإفراج عنه، أما الدكتورة (مكارم الديرى) واحد ثالث ثلاثة من أكبر الأخوات قيادة بالجماعة والتى رشحتها الجماعة فى مدينة نصر فهى زوجة (إبراهيم شرف) الذى كان سكرتير عام مكتب الإرشاد، إلى جانب أنها قيادية بارزة فى الجماعة، وهناك أيضًا الدكتور (سيد عبدالستار المليجى) نائب رئيس مجلس إدارة شركة الشريف، أو الفضيحة التى زلزلت جماعة الإخوان، فهو زوج بنت (أحمد حجازى) أحد القيادات التاريخية للإخوان.

أَيْنَ الْمَوْعِظَةُ يَا أُولِى الْأَلْبَابْ؟

لابد للمرء أن يتعظ بما سبق، ولا يدع ما سبق من عهود سابقات أن تمر عليه مرور الكرام، بل له أن يتدبر ويحكم العقل حتى يتجنب المخاطر له ولغيره، فحالة الاستبداد

الذى ظهرت عليه جماعة الإخوان حتى وهى مضطهدة وخارج دائرة الحكم هو الذى رفعها قطعًا لمزاولة خطيئة أى مستبدٍ جاهلٍ تَسَيَّدَ عليها وعلينا، حيث يتحول الذى عانى الاستبداد، بعد ما يحكم، إذْ بِهِ يُمارس نفس سلوك الحاكم الذى استبد به وقهره، فإذا ما وصل هذا المقهور إلى الحكم مارس نفس سلوك المستبدِّ وطبق أفكارهُ وَرُؤَاهُ، وقلدهُ فى كل شىء حتى فى إنشاء شبكة المصالح، لذلك على خُطى (الحزب الوطنى) تسير (جماعة الإخوان وذراعها السياسية، حزب الحرية والعدالة) بعد صعودها للسلطة، لتتحول المصاهرات وصلات الدم، والقرابة، والنسب، والشراكة التجارية، والبيزنس، والمصالح المشتركة إلى بوابة سحرية للترقى فى مؤسسات الدولة بعد سيطرتهم عليها، تمامًا كما كان الوضع داخل الجماعة والتنظيم الإخوانى، (المحافظون والوزراء، وأغلبية أعضاء الجمعية التأسيسية، ومجلس الشورى، وقيادات فى المؤسسات التنفيذية) تحقق إحكام السيطرة على مفاصل الدولة، وصولاً إلى (رئيس الجمهورية، محمد مرسى)، بفريق رئاسى، (وهيئة استشارية) تجمع بين الصفقات السياسية والاقتصادية والعائلية، التى تمتد جذورها إلى الشبكة الأضخم والأهم داخل الجماعة أما عائلة الدكتور (مرسى) فلها نصيب فى مقعدين فى السلطة بالرئيس محمد مرسى نفسه، وزوج شقيقته، وحما ابنته أيضًا الدكتور (أحمد فهمى) والذى تَحَوَّلَ بسرعة البرق إلى أحد نجوم الحياة السياسية بعد الثورة، بعد فوزه بترشيح الجماعة له على منصب رئيس مجلس الشورى بفضل صلة المصاهرة (المركَّبة) سكرتير الرئيس المهندس الكندى الجنسية (خالد القزاز) هو شريك (خيرت الشاطر) نائب المرشد العام، وأحد أهم كوادر حملته الانتخابية التى ورثها مرسى بعد ذلك، وأيضًا أحد أبرز مهندسي العلاقات الخارجية فى جماعة الإخوان، وحزب الحرية والعدالة، حيث تلقى تعليمه فى كندا، وأقام هناك لسنوات طويلة، ومنسق العلاقات الخارجية بحزب الحرية والعدالة!!، كما كان أحد أعضاء الوفد الإخوانى الشهير الذى سافر إلى واشنطن بالتزامن مع ترشيح الشاطر رئيسًا للجهورية، والتقى

بإعلاميين وسياسيين، وأكاديميين أمريكيين وعُقدت ندوات مفتوحة، واجتماعات مشتركة مع شخصيات، وجهات أمريكية منها مسؤولين كبار بمجلس الأمن القومى الأمريكى، والجدير بالذكر أن خالد القزاز، هو نجل المهندس (عدلى القزاز)، أو كلمة السر الجديدة فى وزارة التربية والتعليم، وكان عضو بمجلس إدارة جمعية أصحاب المدارس الخاصة، وهو صاحب (المقطم للغات) المدارس الإخوانية الأشهر والتى تلقى شهرة وإقبالاً واسعًا بين العائلات الإخوانية الكبرى، وكانت هذه المدرسة كلمة السر فى علاقته بالقزاز الابن والأب أيضًا، حيث كان نجل الشاطر ويدعى (حسن) تلميذًا فى المدرسة فى أثناء المحاكمة العسكرية الأخيرة لوالده وعدد من قيادات الإخوان، وعندما قررت المدرسة إعفاءه من المصاريف كاملة، وقد حفظ خيرت الشاطر الجميل لعدلى، وولده خالد فنقلهما نقلةً نوعيةً، ومن بعد شقة كانت الأسرة تسكنها أصبحت قصرًا مشيدًا على هضبة المقطم تتحاكى عنه الأساطير!!، وشخص آخر من عائلة القزاز هو الدكتور (حسين القزاز) الضلع الثالثة من (لوبى) عائلة القزاز داخل قصر الرئاسة، وأحد أبرز أعضاء الهيئة الاستشارية للرئيس محمد مرسى، والمستشار الاقتصادى لحزب الحرية والعدالة، وأحد أهم المؤسسين للجانب الاقتصادى فى (مشروع النهضة) كما رَوَّجَ له الشاطر، وكان العضو الاحتياطى (بتأسيسية الدستور) والأهم أنه مسؤول التنظيم الدولى للإخوان فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا ضابط الاتصال بين الإدارة الأمريكية وجماعة الإخوان، عبر عقود من الهجرة لسنوات طويلة إلى أمريكا فى (لوبى) عائلى ثلاثى الأضلاع، وكان مخترق الدولة وقتها، بمؤسساتها التنفيذية والتشريعية، بصلات دم ومصالح مشتركة بين قصر الرئاسة والهيئة الاستشارية وصولاً إلى (التأسيسية) و(التربية والتعليم)، فالحداد هو رجل الأعمال الإخوانى الشهير وصاحب المجموعة العربية للتنمية (إنتر بيلد) لتنظيم المعارض، ونائب جمعية تنمية الأعمال (ابدأ) التى يترأسها (حسن مالك)، وهو الصاعد أيضًا بسرعة الصاروخ فى الجماعة بمجرد

خروج خيرت الشاطر من السجن عقب الثورة، إذ قام الشاطر بإدخاله مكتب الإرشاد بالتعيين لا بالانتخاب فى الرابع من فبراير الماضى، بينما يتمتع الحداد الابن أيضًا بنفوذ عائلى خرافى داخل الجماعة بحكم مصاهرته لعضو مكتب إرشاد آخر هو الدكتور (محمود أبو زيد)، إذ تزوج (جهاد الحداد) ابنته، بينما كانت ابنته الثانية (فاطمة أبو زيد) عضوًا فى لجنة وضع الدستور الأولى، هذا ناهيك بصلة نسب أخرى بين (جهاد الحداد) وعضو مكتب إرشاد ثالث هو (محمد إبراهيم) زوج خالته، الأمر الذى وضع جهاد الحداد بشكل مباشر فى بؤرة الدائرة المقربة من خيرت الشاطر، بينما لم يتحدد بعد الوضع الجديد (لوليد الحداد) أحد الكوادر الشابة لحزب الحرية والعدالة الذى يجرى (تلميعه) إعلاميًا)، تمهيدًا لتصعيده سياسيًا فى أقرب وقت، فى القصر الرئاسى أيضًا يسكن ثلاثة من أهم كوادر التنظيم الدولى للإخوان، تربط بينهم المصلحة الواحدة والبيزنس المشترك والشراكة الوطيدة مع الشاطر، الرجل الحديدى فى الجماعة الأول: هو الدكتور (أحمد عبدالعاطى) مدير مكتب رئيس الجمهورية، والمنسق العام السابق للحملة الانتخابية، ثم لمحمد مرسى من بعده، وهو أحد كوادر التنظيم الدولى للإخوان، ومسؤول طلاب الإخوان تنظيميًا على مستوى العالم، والأمين العام السابق (للاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، وشريك الشاطر فى واحدة من أهم شركاته ألا وهى شركة (الحياة للأدوية) والتى كان يدير فرعها فى الجزائر ويستقبل الغمالة الإخوانية من المصريين للعمل فيها بتكليف من الشاطر وأما الثانى هو المهندس (أسعد الشيخة) نائب رئيس ديوان رئيس الجمهورية، ورجل الأعمال الإخوانى البارز الذى ظهر فى المشهد الشهير للرئيس فى ميدان التحرير، والذى ظل مُمسكًا بالميكروفون لمدة ١٠ دقائق فى أثناء إلقائه خطاب ميدان التحرير [١].

وفى حركة المحافظين الجديدة وقع الاختيار أيضًا على عضو مكتب الإرشاد المهندس

(١) http://youtube/oiR8-TEPgns

(محمد على بشر)، ليكون رأس حربة الجماعة محافظا للمنوفية، وذلك وفق حسابات الإخوان وخطتهم المحسوبة جيدًا لغزو المحافظات التى تلقوا منها الصفعة التصويتية فى انتخابات الرئاسة، لم يخرج بشر أيضًا من حسابات شبكة المصالح العائلية بحكم صلة النسب مع واحد من أهم وأبرز أعضاء مجموعة (الصقور) فى الجماعة، هو الدكتور (محمود حسين أمين) الذى تزوج نجلة المهندس (ياسر سارة) ابنة بشر!! ...، وفى نفس الوقت الذى لا تزال ترتبط فيها المصالح التنظيمية والمالية لمحافظ كفر الشيخ الجديد أيضًا (سعد الحسينى) بشكل كامل بالجماعة، فى ما يعتبر من أبرز أهل البيزنس والسلطة فى الإخوان، فهو صاحب شركة (المدائن للإنشاءات الهندسية) والتى تُعتبر إحدى أضخم شركات المقاولات فى الدلتا...، أما رجل الأعمال الإخوانى (حسن مالك) أحد قطبى الإمبراطورية الاقتصادية للجماعة ورئيس جمعية تنمية الأعمال (ابدأ) ورئيس لجنة (تواصل) المنوط بها تحقيق الاتصال بين رجل الأعمال ومؤسسة الرئاسة، التى أظهرت نفوذًا لا حدود له فى كل سفريات محمد مرسى، لقد كانت جماعة الإخوان تعتب على نظام مبارك فى قضية التوريث وهم ينطبق عليهم المثل القائل: (اللى بيته من الزجاج ميحدفش الناس بالطوب)، ولكن الإخوان ينطبق عليهم المقولة التى تقول: (أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك أستعجب) فنحن نسمع منهم كلامًا معسولاً يصورون أنفسهم فيه للناس بأنهم مناضلون من أجل الحرية وشرع الله فى المعترك السياسى من أجل القضاء على الفساد وهم حاملوا لواء الفضيلة والقيم السامية فى حين أن تصرفاتهم التى تختفى تحت الشعارات البراقة تعكس واقعًا آخر [1].

قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ (النساء: ١١٥) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢) وقال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥) وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

(١) شبكة الانترنت.

(النمل: ١٤) فهؤلاء لا يحسنون استخدام عقولهم، ولا يُمعنون النظر فى استخدام الفهم الصحيح، لأنهم لو أدركوا ما كان فى الزمن الماضى، ما وقعوا فى قيود وزنازين الزمن الحاضر، لأنهم لو أدركوا ذلك ما أصبح هذا حالهم ومآلهم، لأن المبصر للأمور هو الذى ينظر للأمام طويلاً، ولا ينظر تحت قدميه، ولا ينظر إلى الحزبية العمياء، ولا العصبية الجهلاء، ولكن وجب عليه أن ينظر إلى الوراء، ويرى ما فُعل بغيره، ومن هم على شاكلته ومن فى مستواه، بل وكانوا أغنى منه وأقوى؛ فزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم وانتهوا، فأصبحوا أثرًا بعد عين، فسقط القناعان وأنظمتهم، ومن والاهم، فهم الآن فى السجون يحاكمون على حماقاتهم، ليذوقوا مرارة الحسرة والندامة والألم، وهكذا كم هى الدنيا خداعةٌ، ألا فاعتبروا يا أولى الألباب، ولكنها السنن، قال رسول الله ﷺ: (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا فَذِرَاعًا) (١).

ولفظ أحمد: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ) (٢).

ثَانِيًا: شِعَارَاتُ الْإِخْوَانِ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ دَلَالَاتٍ:

لقد اتخذ الإخوان، والسلفيون الجهاديون شعارات دينية، لدغدغة عواطف الشعب المصرىِّ لأنهم يعلمون جيدًا طبيعة هذا الشعب ومدى حبه للإسلام، وميله لتلك الشعارات، فاستغلوها لصالحهم، وهم وللأسف الشديد يقولوها بأفواههم، وما تنطق به حناجرهم، عكس تمامًا مع ما تُكِنُّ به صدورهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢-٣) فإذا لم تطابق الأقوال الأفعال، فلعنة الله على قائليها، ولعنة الله على فاعليها، ولعنة الله على المروجين لها، لأن ذلك هو الكذب بعينه، والكذب ليس من صفة الإسلام أبدًا،

(١) أخرجه البخارى (٧٣١٩)، وأحمد (٨٣٠٨) (٨٣٤٠) (٨٤٣٣) (٨٨٠٥) (٨٨٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٤)، والبخارى (٣٤٥٦) (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، والطيالسى (٢١٧٨)، وأبى عاصم فى (السنة) (٧٤)، وابن حبان (٦٧٠٣).

بل الكذب هو صفةٌ من صفات اليهود، والمنافقين، فعندما سُئِل رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله: (أَيَكُونُ الْمُسْلِمُ جَبَانًا، قَالَ: نَعَمْ، أَيَكُونُ بَخِيلاً، قَالَ: نَعَمْ، أَيَكُونُ كَذَّابًا، قَالَ: لاَ) إذن، فبموجب هذا الحديث، فقد نهى رسول الله ﷺ عن الكذب عن أمة الإسلام، فعن عبدالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةُ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ). (١)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ، وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (٢).

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي؛ فَأَخَذَا بِيَدَيَّ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ، فَيَشُقُّهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ قَفَاهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ فَيُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ الْآخَرِ، وَيَلْتَئِمُ هَذَا الشِّدْقُ، فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ يَشُقُّ شِدْقَهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٣).

---

(١) رواه البخارى (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذى (٢٦٣٢)، والنسائى (٨/ ١١٦).

(٢) رواه الستة، البخارى، ومسلم، والسنن الأربعة، أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، فى (الإيمان)، وأبو الشيخ فى (التوبيخ) عن أنس - رضي الله عنه - وجاء فى الصحيحين - عن ابن عمرو، وأبى هريرة - رضى الله عنهما - وفى السنن الأربعة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٠٤٣)، وجاء فى الترغيب والترهيب (للمنذرى) ولقطة (ثلاثة) بدلاً من (ثلاث) ولقطة (إذا حدث) بدلاً من: (من إذا حدث) برقم: (٤٣١٥)، ورواه أبو يعلى برقم: (٤٠٩٨)، وذكره الهيثمى فى المجمع (١/ ١٠٧).

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه البخارى برقم: (١٣٨٦)، ورواه الإمام أحمد، ومسلم عن سمرة - رضي الله عنه - وجاء فى الترغيب والترهيب للمنذرى برقم: (٤٣١٢)، وجاء فى صحيح الترغيب أيضًا للشيخ الألبانى برقم: (٥٧٧, ٢/ ١٩٠)، وصححه الألبانى أيضًا فى صحيح الجامع برقم: (٤٣٦٢-١٤٠٢).

 والآن، فهيا بنا نتابع شعارات الإخوان، والجماعات السلفية الجهادية وما تحمله من دلالات:

* الشِّعَارُ الْأَوَّلُ: (الإسلام هو الحل، ونريدها إسلامية).

فيامن تتشدقون بهذه الشعارات، الشعبُ المصريُّ دَيِّنٌ بطبيعته، وَجُبِلَتْ جِينَاتِه على الإسلام، فنحن نعرف الإسلام جيدًا، فَأَيْنَ الْحَلُّ؟

لقد وجه الشيخ (أحمد فريد) انتقادًا حَادًّا، لجماعة الإخوان، وهو من الداعمين الأساسيين لحملة الرئيس المعزول (محمد مرسى) فقال: (يجب أن تغير الجماعة شعارها إلى: التنازل عن الإسلام هو الحل) وَتَدَاعِيَاتُ ذَلِكَ: قيادات الدعوة السلفية شنت هجومًا حادًّا على (جماعة الإخوان) ورئيسهم (محمد مرسى) بسبب السماح للإيرانيين بدخول البلاد، وخطورة المذهب الشيعى، وَعَلَّقَ المشاركون فى المؤتمر لا فتات تحذر من خطورة المذهب الشيعى على البلاد، ومنها (الشيعة هم العدو فاحذرهم) و(الشيعة يكفرون الصحابة) و(الشيعة يتهمون أم المؤمنين عائشة بالفاحشة) وهم من (سبوا الصحابة، وسبوا أمهات المؤمنين) و(مَعًا ضد الشيعة) وسوف يكتب التاريخ أن الإخوان أدخلوا الشيعة إلى مصر، وخانوا العهد مع الطوائف السياسية التى وقفت معهم للوصول إلى الحكم، وضد دعوتنا بشعار (الإسلام هو الحل) هذه العبارات وجهها الشيخ (أحمد فريد) أحد أعضاء مجلس الدعوة السلفية إلى جماعة الإخوان، مُتسائلاً: (هى الشيعة كانت خط أحمر، والآن أصبحت خط أخضر؟) وانتقد (فريد) تصريحات (هشام قنديل، ووزير السياحة) بشأن إيقاف السياحة الإيرانية لمدة شهر ونصف لكى يهدأ الوضع [1].

- (يريدون أن يطبقوا على غيرهم، ما لا يطبقوه على أنفسهم)

ظهرت الحناجر الجوفاء من جماعة (الإخوان) يرددون الشعارات ويقولون: (نريد

(١) جريدة التحرير: الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ١٤ أبريل ٢٠١٣ م - السنة الثانية العدد (٦٥١) ص (٦)

تطبيق الشريعة الإسلامية)، فأين أنتم من هذه الشعارات، وهذه المقولة؟

فى أيام حكم المعزول (محمد مرسى) كان جدلاً واسعًا حول موافقة بعض العلماء من جماعة الإخوان على قرض (صندوق النقد الدولى) وكان من بينهم الدكتور (عبدالرحمن البر) مفتى الإخوان وعضو مكتب الإرشاد والذى صَرَّح بقوله: (إن الرِّبَا كحكم عام حرام شرعًا، ولكن هناك فتاوى خاصة بحالات محددة قد تتغير فيها الأحكام والآراء، وقد يكون لها شأنٌ خاصٌّ، فمثلاً إذا أردنا أن نبدى الرأى فى حكم الاقتراض من (صندوق النقد الدولى) فيجب أن نعرف المعطيات والظروف وشروط هذا القرض، فقد تكون فائدته مجرد مصاريف إدارية وهذه لا تعتبر فائدة ربوية مثل إعطاء المواطنين قروضًا حسنةً، فليس من المعقول أن بنكًا لديه موظفين وإدارات تتولى إجراء هذا القرض، ثم يتحمل البنك مصاريف إدارة هؤلاء الموظفين لتلك القروض من مرتباتٍ وغيره، فهذه المصاريف يتحملها المقترض، وهى ليست ربا، وعلى هذا فلكل قضية، ولكل موقف فتواه الخاصة وهذا لا يرتبط بالحكم العام).

ومن جانبه شرح الشيخ (سيد عسكر) عضو مجلس الشعب عن حزب (الحرية والعدالة) موقفه لـ(العربية نت) فقال: (نعم كنت معارضًا لقرض صندوق النقد الدولى فى البرلمان المنحل وكانت وقتها حكومة الدكتور (كمال الجنزورى) وهى التى طلبت ذلك دون أن توضح لنا مزايا هذا القرض وعيوبه، وكنا على يقين بأن كل الحكومات السابقة كانت تقترض من الهيئات الدولية، وتغرق مصر وشعبها فى الديون دون أن تفعل شيئًا، وتبدد الأموال).

فهل تحلل الجماعة قرض (صندوق النقد الدولى) بعد وصولها للحكم، وتحرمهُ أثناء حكومة (كمال الجنزورى) وتعتبره ربا؟

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٦).

قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ أى: يذهب ريعه، ويمحو بركته، وإن كان زيادةً فى الظاهر، فلا ينتفع به فى الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ﴾ (الأنفال: ٣٧)، ومعنى قوله: ﴿ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أى: يكثرها وينميها وإن كانت نُقْصَانًا فى الشاهد.

قَالَ الْقَاشَانِيُّ: (لأن الزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار العاقبة والنفع فى الدارين، والمال الحاصل من الربا لا بركة له، لأنه حصل من مخالفة الحق، فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصى، إذ كل طعام يُوَلِّدُ فى آكله دواعى وأفعالاً من جنسه، فإن كان مُبَاحًا، فإلى مباحه، وإن كان من طعام فضلٍ، فإلى مندوباته، وإن كان بقدر الواجب من الحقوق، فأفعاله تكون واجبة ضرورية، وإن كان من الفضول والحظوظ فأفعاله تكون كذلك، وعليه إثم الربا، وآثار أفعاله المحرمة المتولدة من آكله، فتزداد عقوباته وآثامه أبدًا، ويتلف الله ماله فى الدنيا، فلا ينتفع به أعقابه وأولاده، فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الْمَحْقُ الْكُلِّيُّ، وأما المتصدقُ فلكون ماله مُزَكًّى، فيبارك الله فى تثميره مع حفظ الأصل، وآكلهُ لا يكونُ إلا مُطِيعًا فى أفعاله، ويبقى ماله فى أعقابه، وأولاده منتفعًا به، وذلك هو الزيادة فى الحقيقة، ولو لم تكن زيادته إلا ما صُرِفَ فى طاعة الله لكفى به زيادة، وَأَىُّ زِيَادَةٍ أفضل مما تبقى عند الله؟ ولو لم يكن نُقْصَانُ الربا إلا حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نُقْصَانًا، وأى نقصان أفحش مما

يكون سبب حجاب صاحبه وعذابه ونقصان حقه عند الله؟) [1].

قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبًا) [2].

وقال رسول الله ﷺ: (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَكَاتِبَهُ). [3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) [4].

وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ الرِّبَا، وَآكِلَهُ، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [5].

وَبِمَ أنهم تُجَّارُ دِينٍ، وَيُعْلِنُونَ غَيْرَ ما يخفونَ، ويطبقونَ على أنفسهم، غير ما يطبقونه على غيرهم، فَلِمَ يقومون بتحصيل ضرائب السجائر والخمور باعتبارها من الأموال الحرام؟

- ألم تعلن حكومة الدكتور (هشام قنديل) عن مَزَادٍ عَلَنِيٍّ فى يوم الخميس الموافق ٦/٦/٢٠١٣ عن بيع عدد ٦٥٤٠ زُجَاجَةَ خَمْرٍ، فكيف تفسرون ذلك؟

- ألم يقرأوا فى كتابه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

---

(١) تفسير القاسمى، للشيخ/ محمد جمال الدين القاسمى: (٢/ ٢٧١-٢٧٢).

(٢) الحديث ضعيف: جاء فى ضعيف الجامع برقم (٤٢٤٤)، والجامع الصغير برقم: (٦٣٣٦).

(٣) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبى داود، والترمذى، وابن ماجه، عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وجاء فى الإرواء برقم: (١٣٣٦)، وغاية الغرام برقم: (٣٤٦)، وجاء فى أحاديث البيوع: للطيالسى، وابن حبان، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٨٩).

(٤) الحديث صحيح: جاء فى الإرواء برقم: (١٣٣٦)، ومختصر مسلم برقم: (٩٥٥) فى أحاديث البيوع، وجاء فى صحيح الجامع للشيخ الألبانى برقم: (٥٠٩٠ - ١٦٢٣).

(٥) الحديث صحيح: جاء فى الترغيب برقم: (٣/ ٤٩)، وصحيح الجامع برقم: (٥٠٩٤).

- ألم يستمعوا إلى قول رسول الله ﷺ وهو يقول: (لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا)[1].

أما عن مشروع الصكوك، فقد أحال الدكتور (محمد البلتاجى) هذا المشروع إلى مجلس الشورى لإقراره، وأكد (محمد البلتاجى) رئيس الجمعية المصرية للتمويل الإسلامى أن اللجنة التشريعية فى مجلس الوزراء انتهت من مراجعة المشروع بالفعل، ويقول: أتوقع أن يُحالُ إلى المجلس، وبالرغم من أن هيئة كبار العلماء فى الأزهر الشريف قد رفضوا المشروع إلا أنهم أصروا على تنفيذه، ولكن عناية الله، أبت أن لاَ يُفَعَّلَ هذا المشروع بثورة ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣م.

الصُّكُوكُ: هى جمع (صك) وتعنى شهادة ائتمانية وتقابل (شيك) باللغة الإنجليزية، وهى عبارة عن أوراق (صكوك) تثبت حق ملكية فى أصلٍ معينٍ، ويمكن تعريفها على أنها وثائق متساوية القيمة عند إصدارها، ويمكن تداولها، ولا تقبل التجزئة، وتمثل حصصًا شائعةً فى ملكية أعيانٍ، أو منافعٍ، أو خدماتٍ، أو فى موجوداتِ مشروعٍ معين، أو نشاط استثمارىٍّ خاصٍّ، ويراد بذلك تحويل الأدوات المالية والموجودات من الأصول والعقود، كعقود الاستهلاك، والايجارات - إلى صكوك متداولةً تحقق ربحًا، و(الصك الإسلامى) هو ملكيةٌ شائعةٌ فى أصولٍ، أو منافعٍ، وبالتالى فهى متوافقةٌ مع القاعدة الاقتصادية الإسلامية التى تُحَرِّمُ الرِّبَا المتمثل فى ضمان عوائد ثابتة بغض النظر عن الربح، أو الخسارة، وقد وصل عددها إلى أربعة عشر نوعًا، وقد قررت هيئة علماء الأزهر الشريف رفض التعديلات التى قدمتها وزارة المالية على مشروع الصكوك

(١) الحديث صحيح: رواه الحاكم وأبى داود، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - وجاء فى الروض النضير برقم: (٢١٦)، والإرواء برقم: (١٥٢٩)، وصحيح الجامع برقم: (٥٠٩١).

الجديد لكونه لم يتضمن ما يحمى ملكية أراضى الدولة للانتقال إلى أصحاب الصكوك، وقالت المصادر: أنها ستتخذ قرارها بالرفض فى الاجتماع المقرر عقده صباح يوم الأحد ٦/ ١/ ٢٠١٣، لكون المشروع يَضُرُّ بمصالح البلاد، ويعرضُ أملاكها للضياع بالانتقال إلى أصحاب الصكوك، وأكد الأزهر هو الجهة الوحيدة صاحبة الحق فى إبداء الرأى الشرعى، مُحَذِّرَةً أىِّ جهةٍ أُخرى من التدخل فى هذا الشأن، مُعْتَبِرَةً أن أى تدخل سيعود بالضرر ويؤدى إلى أزمةٍ كبيرةٍ فى الوقت الراهن الذى تمر فيه البلاد بالعديد من الأزمات، خصوصًا أن الدولة والحكومة لا تحتاجان إلى أزمة أخرى تضاف إلى أزماتها، وَتَمَسَّكَ الدكتور (أحمد الطيب) شيخ الأزهر الشريف بموقف الأزهر الرافض لمشروع قانون الصكوك الإسلامية المقدم من وزارة المالية لمجلس الشورى، إذا ما ظلت تسمح ببيع أصول ملكية عامةٍ فى الدولة، وقال بيان للأزهر صدر يوم الأحد عقب لقاء الدكتور (محمد عبدالمجيد الفقى) رئيس لجنة الشئون المالية والاقتصادية بمجلس الشورى: (إن أصول الدولة هى ملك للشعب وحده، ويجب علينا جميعًا المحافظة عليها، وأن كل ما لا يتفق مع الضرورات والواجبات الوطنية فهو غير شرعى) [1].

ثم يقول الدكتور (عبدالرحمن البر) مفتى الإخوان، بفتواهُ التى لاَ يُجَانِبُهَا الصوابِ فَيَقُولُ: (أن معتصمى رابعة العدوية يجوز لهم شرعًا الإفطار فى رمضان، لأنهم يجاهدون فى سبيل الله) قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ووجه الدلالة فى الآية الكريمة شرطين:

الشرط الأول: فقد أوجب الصيام على جميع المسلمين كَافَّةً بشهودهم لهذا الشهر.

الشرط الثانى: فقد استثنت من هذا العموم السابق، وهو وجوب الصوم بشهود

(١) شبكة الانترنت.

الشهر فريقين وهما - من كان مريضًا -، ومن كان على سفر، وهؤلاء المعتصمون شاهدون للشهر، أصحاء، مقيمون، وغير مسافرين، وَمِنْ ثَمَّ، فعموم الآية يتناولهم فى وجوب أداء هذه الفريضة.

الشرط الثالث: وهو القول بجواز الفطر لهؤلاء وأمثالهم، بدعوى الجهاد فى سبيل الله، فهذا مدعاةٌ لانفراط عرى الدين عروة عروة، ويؤدى أيضًا إلى التقصير والتفريط فى بقية الفرائض، فمن يسعى على أولاده، ويعمل فى المصنع، أو فى الفرن أمام لهيب حرارة الشمس، أو فى منجم، وكذا الفلاح فى أرضه تحت لهيب الشمس، ونحو ذلك كل أولئك فى سبيل الله، والقول بإباحة الفطر لأولئك من شأنه أن يقودنا لإباحة الفطر لهؤلاء. أما فكرة (الجهاد) التى تحدث عنها (البر) فهو استدلالٌ فاسدٌ، وغير منضبط، ولا يمكن تعليل الحكم الذى انتهى إليه، فبإسباغ هذا الوصف وهو الجهاد على المعتصمين غير دقيق، فمن الممكن أن نسميهم معتصمين، ومتظاهرين معارضين، فهذا هو الوصف المناسب لهذه الحالة، أما وصف عملهم بالجهاد، فغير سائغٍ؟ ولا جائزٍ، وإلا فهو جهادٌ ضِدَّ مَنْ؟؟؟!!!

وأما القول بجواز الإفطار على النحو سالف الذكر لهؤلاء المعتصمون فى رابعة العدوية، بدعوى الجهاد من وجهة نظره، فهذا من شأنه أن يؤدى إلى القول بجواز الفطر لمن يعتصم فى كل ميادين مصر، بنفس الدعوى، وَكُلٌّ له تأويله السائغ عنده والمؤيد من قبل بعض رجال الفقه والدين، وفكرة الجهاد التى بنى عليها الدكتور (البر) قوله بجواز الفطر مؤسسةً ومؤصلةً على أنهم يدافعون عن شرعية الدكتور (محمد مرسى) الرئيس السابق، وهذه الشرعية قد أسقطها الشعب بملايينه التى خرجت تطالبه بالتنحى، وَمِنْ ثَمَّ فمناط الحكم الذى بُنِىَ عليه، وتم تأصيله عليه، غير موجود عملاً على أرض الواقع، وإنما هو شىءٌ نظرىٌّ بحتٌ، لا يمكن الاعتماد عليه، أو التعويل عليه، فى بناء الحكم الشرعى فى صورته الحالية، لذا نقول للدكتور (عبدالرحمن البر) والذى يتحدث عن

الجهاد، أيكون الجهاد ضد من؟ ضد الشعب المصرى، الذى انتخب الإخوان فى عدة مراحل؟ أليس هو نفسه الشعب الذى سحب هذه الشرعية، وحجب عنهم تلك الثقة؟ أم ضد الجيش المصرى، الذى طالما تغنى به السيد الرئيس السابق وبرجالاته؟ أم ضد من؟ (١).

جِهَادُ النِّكَاحِ

جهاد النكاح واقعة اختلفت الروايات حولها، فالبعض أكد حدوثها وراح يحكى عن الرجل الذى عرض زوجته على صدقائه، لتمارس معهم الجهاد نكاحًا، وفى مقابل ذلك نفى آخرون حدوث ذلك، وحول جهاد النكاح تقول الباحثة (سامية سليمان): جهاد النكاح بمعنى أن الرجل يمكنه أن يختلى بمن يشاء من النساء ويعاشرها معاشرة الأزواج، فهذا لم يحدث فى (رابعة) ولكن الذى حدث هو أن الشيوخ أفتوا للمعتصمين بأن يتزوجوا من يشاءون لمدة معينة، بمعنى أن أى شابٍ، أو رجلٍ يمكنه الزواج ممن تقبله من الفتيلت، أو المطلقلت ويكون الزواج لمدة محددة، ويتم الزواج بمجرد الإشهار دون توثيق عقد الزواج، وتضيف الباحثة فتقول: (رصدت بنفسى حوالى ٢٠ زواجًا من هذا النوع وكانت الخلوة الشرعية للمتزوجين تتم مجانًا داخل خيام المعتصمين، أو مقابل ٣٠ جنيهًا، لكل نصف ساعة فى الشقق المطلة على ميدان (رابعة) التى استأجرها الإخوان لإقامة المعتصمين، أو لتوفير خلوة شرعية للأزواج)(٢).

وفى مفاجأة من العيار الثقيل وفى مؤتمر صحفى رسمى قال وزير الداخلية التونسى (لطفى بن جدو) إن نكاح الجهاد حقيقة حدثت بالفعل بعد عودة ١٤ فتاة تونسية من سوريا حوامل من آباء مجهولين، وهذه التصريحات قد أثارت عاصفة من الجدل ليست

(١) وكالة نادى المراسلين العالمية للأنباء. د. عبدالحليم منصور.

(٢) جريدة الوفد الثلاثاء ٢٥ من ذى القعدة ١٤٣٤هـ. أول أكتوبر ٢٠١٣م السنة ٢٧، العدد: (٨٣٠٥) (ص: ٩).

فى تونس وحدها، بل فى عواصم عربية عديدة تنتعش فيها تيارات الإسلام السياسى، وتتصل بما يدور فى سوريا، أو فى بعض دول أخرى تحاول فيها أن تطبق (الجهاد) للوصول إلى السلطة فى تونس، وتجددت ذكريات عاصفة للمجتمع التونسى مع الفتاة (رحمة عطية) ابنة الـ١٦ عامًا والتى خرجت فى عام ٢٠١٢ لتروى لأول مرة قصة حقيقية كانت هى بطلتها عندما أقنعها (السلفيين، والإخوان) فى بلدتها الفقيرة جنوب تونس العاصمة بالسفر إلى سوريا لدعم (المجاهدين) اعتقدت الفتاة أنها سوف تجاهد هناك بتقديم الدعم الطبى لمن يقاتلون (بشار الأسد) من المجاهدين وعناصر تنظيم (جبهة النصرة) الذى تجمع مجاهدوه أكثر من ٨٠ دولة، لكنها حين سافرت إلى هناك اكتشفت الصورة غير ما قيل لها وكما روت: (كنت متدينة وأحفظ القرآن، ومستعدة للدفاع عن الإسلام بأى صورة، ولصغر سنى اعتقدت أن الإسلام يحارب الكفر فى سوريا، وأن بشار هو ممثل هذا الكفر، لكننى عندما سافرت تعاملت مع بَعْضٍ من أقسى القلوب التى يمكن أن يراها إنسان، لقد سمعت مصطلح (نكاح الجهاد) من (مجاهدين) لكنتهم غريبة بعضهم (باكستانى)، وبعضهم (أفغانى) وبعضهم من دول (إفريقية) وقد تزوجت من ١٥ رجلاً فى مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة حيث كنت أخرج من خيمة إلى أخرى ويتناوب عَلَىَّ المجاهدون بعد توقيع ورقة زواج عاجلة، ولم أكتشف أننى ارتكبت خطأً شنيعًا، إلا بعد أن عدت لبلادى ورويت لأسرتى ومعارفى ما حدث وكانت الكارثة [1].

ويفجر (عبدالله فتحى) قنبلة من العيار الثقيل فيقول: (اتصل بى أحد كبار الإخوان بالمنوفية تَـحَفَّظَ على ذكر اسمه، وطلب منى تجميع الناس للمشاركة فى (رابعة) وقال: أنا أعلم على أنك على علاقة بأناس كثيرين بحكم عملك، وقد وافقت على ما طلب بشرط أن آخذ فلوسى مقدمًا وبعد فترة قصيرة من انتهاء المكالمة جاء إلى منزلى نفس الشخص

(١) جريدة الصباح. الاثنين ١٧ ذو القعدة ١٤٣٤هـ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣م – السنة الأولى، العدد: (١٤) ص: (٢٠).

وأعطانى ٥ آلاف جنيه، وقال دى فوس لك علشان تجمع الناس وكل راجل تجيبه هياخد ٢٠٠ جنيه وممكن يوصل المبلغ ٤٠٠ جنيه، وقمت بتنفيذ المطلوب ٣ مرات، فى أول مرة ذهبت أنا والناس إلى (رابعة) وقعدت اليوم كله، ولما حاولت أمشى، قالوا رايح فين؟ قلت: مروح، قالوا: ليه؟ قلت: علشان عيالى وبيتى، وكده، فقيل لى: لو أنت مروح علشان تمارس حقك الشرعى مع زوجتك، فأنت مش محتاج تروح، ثم قالوا: هنا حريم مستعدين (لجهاد النكاح)، ومفيش داعى تروح، ولما سُئِلَ عن أن (جهاد النكاح) حقيقة قال: حقيقة، وأنا شفتها بعينى، حتى أنهم طلبوا منى تجميع ستات على استعداد لنكاح الجهاد وقالوا لو جمعت ستات من دول هتاخد ٤٠٠ جنيه فى اليوم[1].

فقد أباحت جماعة الإخوان كل الموبقات حالها كحال فرقة (الحشاشين) والذى كان يتزعمها (حسن الصباح) فقد أحلت لها كل الشهوات، وارتكبت كل الموبقات من الكذب، والخداع، والتدليس، واستحلال أعراض كل المخالفين، والقتل وسفك الدماء، وجهاد النكاح، وكأن فرقة (الحشاشين) وجماعة (الإخوان) اسْتُرْضِعَا من ثَدْيٍ وَاحِدٍ، أَوْ شَرِبَا مِنْ مَعِينٍ وَاحِدٍ.

أما حكم (نكاح الجهاد) فحكمه، حكم نكاح المتعة وقد استقر حكمه على التحريم فى الشريعة الإسلامية، وكان النهى عنه آخر ما صدر من النبى ﷺ بشأنه، فعن الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عن أبيه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ الْفَتْحِ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ)[2].

وعنه رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَقَالَ أَلاَ إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ أَعْطَى شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ)[3].

وما استقرت عليه شريعة الإسلام شيءٌ يُسمى بالزواج المؤقت، أو المتعة، وما شابه

(١) جريدة الوفد. السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥هـ/ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م – السنة ٢٧ (ص: ٧).
(٢) أخرجه مسلم: (١٤٠٦/ النكاح/ باب: نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ).
(٣) مسلم: (٢٥٠٩).

ذلك، فإنه يُقَامُ عليه حَدَّ الزنا، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (لاَ يَأْتِينِي بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلاَّ جَلَدْتُهُ الْحَدَّ ...) ولكن بعض أهل البدع من الضَّالِينَ لا يزالون يَرَوْنَ صحة زواج المتعة وهو نوع من الزواج المؤقت، مع أن ذلك منسوخ فى شريعة الإسلام [1].

فالسياسة تقوم على المصالح المتغيرة، فتتغير فتواها بتغير الظروف والمواقف، دون ضابط من الشرع، أو الفقه، أما الدين، فيقوم على اليقين المطلق، وأما ما شاهدناه فى فترة حكم الرئيس المخلوع (محمد مرسى) فقد قامت القنوات الدينية ومنها قناة (الحافظ) والذى قد وصف (عبدالله بدر) الفنانة (إلهام شاهين) بأفظع الصفات وتطاول عليها بالإساءة إليها بألفاظ أذت سمع كل من استمع إليها وذلك خلال استضافته فى برنامج (ميزان) وذكر أنها فاجرة وأنها ما قدمت للناس إلا عُرْيًا وأنها ما عَلَّمَتْ الناس من خلال أفلامها إلا الفساد وما يدعو إلى الزنا وقال لها كم واحد قبلك باسم الفن، وكم واحد اعتلاك باسم الفن؟ وهى ألفاظ نالت بحق من كرامة وسمعة إلهام شاهين وذلك دون مراعاة لجمهور المشاهدين، كما أشار التقرير إلى أن قناة الحافظ واظبت على استضافة أشخاص ساعدوها فى إلقاء الإساءات، والبذاءات فخرجت بمضمنها عن غاياتها فى خدمة المشاهد الذى لا يستفيد شيئًا من التعرض لأعراض وسمعة وكرامة الآخرين، كما أن ما اقترفته القناة قد شَوَّهَ المادة الإعلامية التى تقدم للجمهور، لذا فقد أوصت هيئة مفوضى الدولة المحكمة (الإدارية العليا) بمجلس الدولة بإصدار حكم نهائى بوقف بث قناة الحافظ لمدة ٣٠ يومًا، ومنع كل من الدكتور (عاطف عبدالرشيد)، والشيخ (عبدالله بدر) من الظهور فى أى قناة أخرى، أو أى برنامج آخر [2].

ألم يقرأ صاحب اللحية الطويلة، والسروال القصير عن (قذف المحصنات)، ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا

(١) موسوعة فتاوى معاصرة: (٣/ ١٥).

(٢) جريدة اليوم السابع. الأحد ٤ من جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ ١٤ أبريل ٢٠١٣م (العدد) (ص: ١).

﴿ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النور: ٤)، ألم يقرأ قول رسول الله ﷺ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ) (١).

ويقول رسول الله ﷺ: (مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ) (٢).

ثم يحذر رسول الله ﷺ السيدة عائشة فيقول: (يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ) (٣).

فأين نحن من سُنَّة رسول الله ﷺ أيها المتأسلمون؟ أيكونُ المسلمُ سَبَّابًا، أيكونُ لَعَّانًا، أيكونُ هَتَّاكًا لأعراض المسلمينَ والمسلماتْ؟ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٥).

الشِّعَارُ الثَّانِي: (لا رابطة أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الإسلام)

كانت النداءات التى تسيطر بها قادة الإرشاد لجماعة الإخوان، ولشبابها هى المحرك الأساسى لتجميع الشباب ليتم بهم السيطرة على الشوارع وإيقاف حركته ليظهر مدى قوة هذه الجماعة ودخول شباب الإخوان فى هذا المنزلق، وهذ النفق الخطير، ثم يقومون بغسل أدمغتهم، والسيطرة على عقولهم، كالراعى الذى يسيطر على أغنامه يوجههم بإشاراته كيف يشاء، أو يوجهم بالسير أمامهم، فإذا سار فى أرضٍ اتَّبَعُوهُ وساروا وراءه،

(١) رواه البخارى، ومسلم، وأحمد، والترمذى، وابن ماجة عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وابن ماجة عن أبى هريرة، وعن سعد، والطبرانى الكبير عن عبدالله بن مغفل، وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطنى فى (الإفراد) عن جابر - رضي الله عنه -، وجاء فى شرح الحاوية برقم: (٣٦٩)، وإيمان أبى عبيد برقم: (٧٨)، ومختصر مسلم برقم: (٦٦)، وصحيح اجامع برقم: (٣٥٩٥).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء فى الأدب المفرد للبخارى، والترمذى، وابن ماجه، وجاء فى المشكاة برقم: (٤٨٥٤)، وصحيح الجامع برقم: (٥٦٥٥).

(٣) الحديث صحيح: رواه أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها -، وجاء فى الإرواء برقم: (٢١٣٣)، وصحيح الجامع برقم: (٧٩٢٢-٣٠١٦).

وإذا نزل فى بحرٍ ساروا وراءه، فالنظام الخاص كذلك ليتم السيطرة على هؤلاء الشباب بواسطة قاداتهم، فيوجهونهم إلى أىَّ اتجاهٍ يريدونه، بلا تفكيرٍ، ولا اعتراضٍ، ولا فتح أى مجال للحوار، لأن بنود السمع والطاعة بُنيت على سمعنا وأطعنا، بلا بصيرة، ولا تفكير ولا اعتراضٍ فى إصدار الأمر مهما أن كلفه ذلك، حتى ولو كانت حياته، أيكون جرمٌ فى حق النفس أكثر من أن يفجر الإنسان نفسه بعبوةٍ ناسفةٍ، لِيُقَالُ عنهُ أنهُ شهيد، أى فكرٍ هذا أتى به ليموت على الكفر قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) فما بالك بمن قتل نفسه وغيره، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ، يَنْصُرُ الْعَصَبِيَّةَ، وَيَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)[1].

فأين التفكير يا أصحاب العقول، ألم يطرأ على أذهان من يقتلون أنفس بريئة، لم نقتل هؤلاء؟ ولم نحن؟ وَلِمَ لَمْ نَرَ أَحَدًا من أولاد قادة التنظيم، أو الإرشاد فى ذلك المشهد الدموىِّ؟ ولكنه السيطرة على عقول هؤلاء من خلال النداءات والصيحات والشعارات ولكن قادتهم حجبوا التفكير عنهم فأصبحوا لا يرون إلا برؤية قاداتهم، ولا يسمعون إلا من أفواه قاداتهم ولذلك قد تمت السيطرة على عقول أصحاب النظام الخاص، وتمت البيعة على السمع والطاعة، بلا بصيرة، ولا يتم ذلك إلا مع مجموعة (النظام الخاص)، وهو الجهاز السرى للجماعة باستعمال المصحف والمسدس، أما (إخوان الأسر) فهو النظام المعمول به لربط الإخوان تنظيميًا وجماعات، باستعمال المصحف فقط، ولكن عَمَّ يُبَايِعُ الفرد؟ إنه يُبَايِعُ على السمع والطاعة، وهذا سِرُّ مفتاح السيطرة والتحكم فى الأفراد، وهو سِرُّ تجمعهم عند نداء قادة جماعة الإرشاد عند الطلب، وذلك هو ما رأيناه

(١) رواه مسلم والنسائى من جندب – رضي الله عنه – ورواه ابن ماجة عن أبى هريرة – رضي الله عنه – وجاء فى السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى برقم: (٤٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٢).

فى كثير من الأحداث فى العام الذى تولى فيه مرسى رئاسة الجمهورية، فكان (عصام العريان) يجمعهم فى الميادين بإشارة، ويفرقهم بإشارة أيضًا عندما يستشعر رئيس حزب الحرية والعدالة آنذاك هذا (العصام) حتى يذوبوا مع الناس، ويصعب السيطرة عليهم، لذلك قد استغلت قادة التنظيم هذا السمع، وهذه الطاعة العمياء التى ما بعدها طاعة فى استدراج شباب الإخوان والمنتمية إلى (النظام الخاص) فى تطويعهم ودخولهم فى هذا المستنقع، وهذا الشَّرُّ المستطيرُ تحت مسمى أنهم يدافعون عن لواء الإسلام، والإسلام منه براء.

الشِّعَارُ الثَّالِثُ: (الأَنَاشِيدُ الدِّينِيَّةُ)

كانت الأناشيد الدينية فى فترة الأربعينيات، والثمانينات، تلهب حماس البسطاء وغير البسطاء من الشعب المصرى، لأن هذا الشعب الطيب المثالى الجميل، تهزه الكلمة، وتحرك مشاعره الكلمة الرقيقة الرقراقة، فمن أجل ذلك أكثر الإخوان، والسلفية الجهادية من تلك الأناشيد وهذه الشعارات مثل:

لَبَّيْكِ يَا قُدْسُ الْحَبِيبَةِ كُلُّنَا نَحْمِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ تَفْدِيكِ الرِّقَابُ بِالْأُلُوفِ الْمُسْلِمَهْ
لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ
أَنَا عَائِدٌ يَا قُدْسُ عَائِدٌ رَغْمَ آلَافِ السُّدُودْ
أَنَا حَامِلٌ رُوحِى بِكَفِّى أَبْتَغِى أَجْرَ الشَّهِيدْ
يَا قُدْسُ لَنْ أَنْسَى
فَجَدِّى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدْ
لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ . لَبَّيْكِ

فِي سَبِيلِ اللهِ قُمْنَا نَبْتَغِي رَفْعَ اللِّوَاءْ
لاَ لِحِزْبٍ قَدْ عَمِلْنَا تَحْنُ لِلهِ مِنْ فِدَاءْ
فَلْيَعُدْ لِلدِّينِ مَجْدُهْ أَوْ تَرُقْ مِنَّا الدِّمَاءْ

***

إِلَى الْقُدْسِ هَيَّا نَشُدُّ الرِّحَالْ نَدُوسُ الطُّغَاةَ نَفُضُّ الْمُحَالْ
وَنَمْحُو عَنِ الْأَرْضِ فُجَّارُهَا بِعَزْمِ الرِّجَالِ وَسَيْلِ النِّضَالْ
بِعَزْمِ الْأُسُودِ وَمَجْدِ الْجُدُودِ وَنَارُ الْحَدِيدِ وَنُورُ الْهِلَالْ
فَهَلاَّ سَمِعْتُمْ يَا إِخْوَتِي حَنِينُ الرِّمَالِ بُكَاءُ الْجِبَالْ
وَنَوْحُ الْمَآذِنِ فِي لَوْعَةٍ وَآهِ الْحَصَى وَأَنِينُ التِّلاَلْ
وَشَعْبِي الشَّرِيدُ يَسِيلُ دَمًا وَمَسْرى الرَّسُولِ يَئِنُّ اشْتِعَالْ

ثُمَّ يَهْتِفُونَ بِشِعَارٍ يُحَرِّكُ الدَّمَ فِي الشَّرَايِينِ، أَلاَ وَهُوَ:

(الجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أغلى أمانينا)

واتضح أن هذه الشعارات كانت شعاراتٍ جوفاء، لا معنى لها عند قائليها، ومرددِيها والهدف من وراء ذلك هو فتح باب التطوع، أى: يعنى فتح معسكرات التدريب، وفتح باب التبرع لجمع المال، وشراء السلاح، ثم تخزينه لحساب الإخوان، فتتكدس خزانة الإخوان بالأموال من تبرعات المسلمين من كل الدول الإسلامية، كما حدث سنة ١٩٤٨، وكان الهدف من ذلك ليس محاربة إسرائيل، وإنما الهدف هو محاربة الشعب المصرى والاستيلاء على السلطة، والركوب عليها حتى لو سالت دماء المسلمين فى الشوارع، وهذا ما ظهر

بعد فض اعتصامى رابعة والنهضة يوم الأربعاء ١٤ أغسطس ٢٠١٣م.

يقول الأستاذ ثروت الخرباوى: (إن الكتائب التى أرسلها البنا إلى فلسطين لم تذهب إلا لغزة وخان يونس، ولم تدخل إلى العمق الذى كانت الحرب فيه على أشدها، إذ إن الذى قاتل قتالاً حقيقيًا من المتطوعين هم كتائب (أحمد حسين) صاحب جمعية مصر الفتاة، ولكن دعايات الإخوان أعطت لجماعاتهم الدور الريادى على غير الحقيقة!)[١]

ويقول الأستاذ (على عشماوى): (إن الإخوان لابد أن يجنوا الفائدة من كل عملٍ يقومون به فيكون منظرد الخارجى عملاً وطنيًا، فلما أقاموا المعسكرات لتدريب الإخوان على حمل السلاح من أجل فلسطين، قاموا بتشوين نصف السلاح في مخابئ سرية خاصة بالجماعة، وقد تم اكتشاف العديد من تلك المخابئ سنة ١٩٥٤م)[٢].

- **إذن، فتنقسم الأناشيد فى عُرْفِ جماعة (الإخوان) إلى قسمين:**

قسمٌ تحت مُسمَى بَثِّ عَطْفِ عَامَّةِ المسلمينَ، لأنهم يعلمونَ جيدًا أَنَّ قضية (القدس الشريف) واستيلاء اليهود على هذه الأرض المقدسة تَشْغَلُ بَالَ كُل مُسْلِم، فيدخلون من خلال هذا المنعطف للتوجه بعد ذلك الاستعطاف إلى قيام أهل الخير بالتبرع وإعلان الحرب على إسرائيل ومن عاونها، فَيُرَدِّدُونَ الأناشيدَ الحماسيةَ التى تُلْهِبُ مشاعر المسلمين؛ لِيُفْرِغَ المتحمسينَ من المسلمينَ بما فى جُيُوبِهِمْ من أموالٍ، ومصوغاتٍ ذهبيةٍ وفضية لأجل ذلك، لأن الإخوان كانوا دائمًا يرددون تلك الأناشيد مثل: (لبيك يا قدس الحبيبة).

وأما القسم الثانى: وهو إلهاب العناصرُ الشَّابَّةُ من جماعة الإخوان على تدمير الجماجم، ويأليتها جماجم أعداء الإسلام، ولكنها جماجم المصريين من رجال الجيش والشرطة، وحرق سياراتهم وممتلكاتهم وإراقة دمائهم، ومحاربة كل من ينتمى للسلطة؛

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الخرباوى: (ص: ٢٤٢).

(٢) التاريخ السرى لجماعة الإخوان المسلمين، للأستاذ/ على عشماوى: (ص: ٥١).

أو يحرص على حماية هذا الوطن، لأنهم زرعوا فى نفوس هذا النشئ تكفير السلطة ومن والاها، وكان ذلك فى سرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، ولذلك فإن المتبرع الذى قَدَّمَ أموالهُ النقديةِ، وَمُدَّخَرَاتُهُ الفضيةِ والذهبيةِ تَبَرُّعًا من أجلِ (القضية الفلسطينية)، لم يعلم علم اليقين أن هذه الأموال سَتُطِيحُ بِهِ، وبأسرته، أو بأخيه، أو أبيه، أو أمه، وأن هذه الأموال الذى قَدَّمَهَا طَوَاعِيَةً هى التى دَمَّرَتْ جماجم أحبابه وفلذة أكباده، مثل:

لَبَّيْكِ إِسْلَامَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكِ سُلَّمَا
لَبَّيْكِ إِنْ عَطِشَ اللِّوَاءُ سَكَبَ الشَّبَابُ لَهُ الدِّمَا
لَوْنُ الدِّمَاءِ غَدًا سَيَصْنَعُ مِنْ كِتَابِىَ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكِ سُلَّمًا يَا سُلَّمَا
لَبَّيْكِ إِنْ عَطِشَ اللِّوَاءُ سَكَبَ الشَّبَابُ لَهُ الدِّمَاً
لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِعِزِّكَ سُلَّمَا
هَذِى الْجُمُوعُ غَدًا سَيَجْمَعُ شَمْلُهَا فِى دَوْلَتِى
وَلَسَوْفَ تَنْهَضُ كَىْ تُحَطِّمَ بَاطِلاً فِى جَوْلَتِى
وَلَسَوْفَ تَنْهَضُ فِى الْآفَاقِ الْخَافِقَاتِ بُنُودُهَا
لَوْنَ الدِّمَاءِ غَدًا سَيَصْنَعُ مِنْ كِتَابِىَ عِزَّتِى
وَلَسَوْفَ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ الْأَبْطَالُ عَاشَتْ رَايَتِى
لَبَّيْكِ إِسْلَامَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكِ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِمَجْدِكِ سُلَّمَا

يَارَبِّ إِنِّى قَدْ سَأَلْتُكَ فَاسْتَجِبْ لِى دَعْوَتِى
قَدْ بِتُّ أَنْتَظِرُ اللِّقَاءَ يَوْمًا فَعَجِّلْ رِفْعَتِى
هَذَا سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ فَآمِنْ لِى رَوْعَتِى
لَبَّيْكَ إِسْلَامَ الْبُطُولَةِ كُلُّنَا نَفْدِى الْحِمَا
لَبَّيْكَ وَاجْعَلْ مِنْ جَمَاجِمِنَا لِمَجْدِكَ سُلَّمَا

الشِّعَارُ الرَّابِعُ: (خيبر. خيبر. يا يهود . جيش محمد سوف يعود)

بعد أن نقض اليهود لعهد مع المسلمين فى معركة (الخندق) وعاقبهم رسول الله ﷺ فى غزوة (بنى قريظة) وتم طردهم خارج المدينة، واتجه أغلبهم إلى (خيبر) وأصبحت خيبر المكان الرئيسى لانطلاق المكائد والدسائس على المسلمين، وإقامة الأحلاف العسكرية مع أعداء الإسلام، فقد عقدوا حِلْفًا مع (غطفان) لتكوين جبهة موحدة ضد المسلمين، واستقر المسلمين لغزو (خيبر) فى محرم من السنة السابعة من الهجرة، وجهز رسول الله ﷺ جيشًا قوامه ألف وربعمائة مجاهد.بينهم مائتا فارس بقيادة الرسول ﷺ، وبعد أن استطاع المسلمين إسقاط أول حصن كان يسمى حصن (ناعم) ثم بدأت الحصون تنهار واحدًا تلو الآخر حتى لم يتبق منهم سوى حصنى (الوطيح، والسلالم) فحاصرهم المسلمون أربعة عشر يومًا، فلم يَرَوْ غير الاستسلام، وطُردوا شر طرده،

وأما ما جاء عن هذا الشعار، فقد كان الإخوان، والسلفية الجهادية يصدرونه فى المشهد آنذاك لِيُلْهِبُوا مشاعر الجماهير، وليضموا أعدادًا غفيرةً ورائهم، وَلِيُبَيِّنُوا للمصريين أنهم ضد اليهود، ولكنهم فى الباطن، ومما وراء الستار يتحالفون مع اليهود، فتعالوا لنرجع إلى الوراء قليلاً لنتذكر ما قاله الدكتور مرسى فى مجلس الشعب وكلامه عن اليهود، ومعاداته للسامية فى ٢٠١٠م، فكان يَحُضُّ فيها المصريين على كراهية اليهود، والصهاينة وقد وصفهم بأنهم (مصاصى الدماء، وهم الذين يهاجمون الفلسطينين، وهم دعاة الحرب، وأحفاد القردة

والخنازير) وقال أيضًا فى لقطاتٍ من الفيديو لقطاع غزة (يجب أن لا ننسى أيها الإخوة أن نربى أطفالنا وأحفادنا على كُرْهِ اليهود والصهاينة) وأشار إلى أن حركة حماس امتداد لجماعة الإخوان، فقال: (إن فلسطين لن تحرر إلا عن طريق المقاومة) فتصريحات مرسى فى الماضى تختلف تمامًا عَمَّا صَرَّحَ به وهو يعتلى كرسى رئاسة مصر، فهذا نص الرسالة التى أرسلها مرسى إلى (شيمون بيريز) رئيس دولة إسرائيل، وقد سلمها السفير المصرى الجديد فى تل أبيب (عاطف سالم) ونص الرسالة يقول:

من محمد مرسى

رئيس جمهورية مصر العربية

إلى صاحب الفخامة السيد شيمون بيريز رئيس دولة إسرائيل

عزيزى وصديقى العظيم

لما لى من شديد الرغبة فى إطراد علاقات المحبة التى تربط لحسن الحظ بلدينا، فقد اخترت السيد السفير عاطف محمد سالم، ليكون سفيرًا فوق العادة ومفوضًا من قبلى لدى فخامتكم وأن ما خبرته من إخلاصه وخبرته وما رأيته من مقدرته فى المناصب العالية التى تقلدها لما يجعل لى وطيد الرجاء فى أن يكون النجاح نصيبه فى تأدية المهمة التى عهدت إليه فيها، ولاعتمادى على ما سيبذل من صادق الجهد ليكون أهلاً لعطف فخامتكم وحُسن تقديرها، أرجو من فخامتكم أن تتفضلوا فتحيطوه بتأييدكم وتولوه رعايتكم، وتتلقون منه بالقبول وتمام الثقة ما يبلغكم إليه من جانبى، ولا سيما إذا كان له الشرف بأن يعرب لفخامتكم عن ما أتمناه لشخصكم من السعادة وبلادكم من الرغد).

تحريرًا برئاسة الجمهورية بالقاهرة

فى ٢٩ شعبان ١٤٣٣هـ

١٩ يوليو ٢٠١٣م

ولك عزيزى القارئ أن تلاحظ فى نهاية الرسالة باعتراف الرئيس مرسى بدولة إسرائيل فى فلسطين المحتلة وهو يقول: وبلادكم من الرغد.

ونلاحظ أيضًا أن فى فترة حكمه لمصر على مدى العام لتوليه رئاسة مصر أنه لم يذكر كلمة إسرائيل ولو ببنت شفه، لا محذرًا، ولا مستنكرًا، ولا ممجدًا وهو ما يدعوا إلى الغرابة والتعجب، ولكن من عنده حنكة بالأمور السياسية يعلم جيدًا أن هذه السيناريوهات متفقًا عليها ثم تأتى بعد ذلك تصريحات (عصام العريان) ومناشدته للجاليات اليهودية بالرجوع إلى أرض مصر مرةً أخرى مِمَّا جَرَّأَ الهيئة اليهودية بباريس على تقديم طلب تعويض بقدر ٣٠ مليار دولار لليهود الذين أُجبروا على مغادرة مصر وتركوا ممتلكاتهم فى جميع المحافظات، كما نصّت عليه جريدة الدستور وجاء فيها: (أرسلت الهيئة اليهودية المصرية بباريس برقية شكر لجماعة الإخوان المسلمين وبالتحديد (للعريان) رَدًّا على تصريحاته بعودة اليهود إلى مصر واسترداد أملاكهم، وقالت اهيئة اليهودية فى نص البرقية (نهنئ الشعب المصرى، ونهنئكم على دستور جمهورية مصر العربية الجديد ونأمل أن يكون دستورًا يجعل من مصر استقرارًا ونموًا ويحصل اليهود المطرودين من مصر على حقوقهم الضائعة والمغتصبة والتى تصل إلى أكثر من ٣٠ مليار دولار) وأضافت الهيئة اليهودية: (نشكر القيادى الإخوانى (عصام العريان) على دعوته الرسمية لليهود المصريين بالعودة من إسرائيل، واسترداد أملاكهم حتى يفسحوا المجال للفلسطينيين بعد أن طردنا الزعيم (جمال عبدالناصر) وقال الدكتور (أشعياء وليم) رئيس الهيئة اليهودية المصرية بباريس: (نهنئ المصريين على الدستور الجديد الذى يُعَدُّ أنطلاقةً للدولة المدنية المصرية الحديثة، كما نهنئ أنفسنا على الدعوة الرسمية للدكتور (عصام العريان) لعودتنا لمصر والحصول على حقوقنا، وأضاف (وليم) فى المذكرة الثانية المرسلة أمس للقصر الجمهورى أننا رفضنا تقديم مشروع قانون للكنيست العام الماضى منذ اندلاع الثورة المصرية من أجل استعادة أملاك اليهود فى مصر وحقوقنا التى تركت بعد الإعلان عن

قيام دولة إسرائيل؛ مُؤَكِّدًا أن أملاك اليهود فى مصر تصل إلى ٣٠ مليار دولار لليهودى ذوى الأصول المصرية والذين أُجبروا على مغادرة مصر وأكد (وليم) أن لدى اليهود المصريين عددًا من القضايا المرفوعة منذ سنوات وأبرزها قضايا المطالبة بتعويضات عن ممتلكات اليهود فى مصر، مثل قضية رجل الأعمال اليهودى (ألبرت مستجر) والذى يمتلك عددًا من الفنادق الكبرى فى الإسكندرية، والمعروفة حاليًا بفندق (سوفيتيل) على شاطئ الكورنيش)[1].

× الشِّعَارُ الْخَامِسُ، أَوِ النِّدَاءُ الْخَامِسُ يَقُولُ: (أمريكا عدوة الله، لعن الله أمريكا، ولعن الله من والاها، لعن الله أمريكا وإسرائيل. احرقوا أعلام أمريكا. إنهم قوم لا يتطهرون).

دائمًا تتناقض الأفعال والأقوال عند الإخوان، فهم يقولون عكس ما يفعلون، ويفعلون عكس ما يصرحون، فعندما ينادون بشعاراتٍ تملأ الآفاق فى الشوارع والميادين، وكأنها قذائف صاروخية ليدغدغوا بها عاطفة البسطاء، فينادون بمقاطعة البضائع الأمريكية، والإسرائيلية، وهم يستخدمونها فى بيوتهم، فالظاهر أنهم ضد أمريكا وإسرائيل ومن يوالوهم، والباطن وما يخفونه بين الكواليس والسراديب والأنفاق، أنهم يتفقون معهم، ويجلسون معهم على مائدة المؤامرات والتآمرات على شعب مصر وأرضها وأمنها.

يكشف الدكتور (سعد الدين إبراهيم) بصراحته الأمريكية عن أنه كان عراب الاتفاق بين الإخوان والأمريكان، بل والمجتمع الغربى كله، قال سعد الدين إبراهيم فى حوار صحفى عام ٢٠٠٤: (حقيقة الأمر أن حواراً بدأ بينى وبين الإخوان فى سجن (مزرعة طرة) وكان أساسه: لماذا اهتم العالم بى، ولم يهتم بالإخوان. وبعد الخروج من السجن، اجتمعنا أنا وبعض أعضاء الجماعة الإسلامية أمثال (عصام العريان، ومحمد عبدالقدوس) وبعض الغربيين وجلسنا فى النادى السويسرى بإمبابة فى مصر، واستمر

(١) جريدة الدستور. الاثنين ١٨ صفر ١٤٣٤هـ ٣١ ديسمبر ٢٠١٢م (العدد ١٩٢١ – الإصدار الثانى) (ص: ٣).

الحوار يومًا كاملاً، ثم تركتهم معًا لاستكمال الحوار وهذا كان دورى).

وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ قالت السيدة هلارى كلينتون فى مؤتمر صحفى لها فى بودابست: إن الإدارة الأمريكية تواصل سياسة إجراء اتصالات محدودة مع جماعة الإخوان، وهى اتصالات مستمرة، وجاء الحبل الأمريكى إلى مقر جماعة الإخوان، وكان الحبل الأمريكى الأول هو (وليم بيرنز) مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية (هيلارى كلينتون) وجلس مع قيادات الجماعة فى جلسة سرية، لم يُعرف ما دار فيها، وما حدث خلالها، حتى إن قيادات الجماعة منعت الصحفيين من حضور اللقاء، ومع ذلك فإن لقاء الإخوان مع (وليم بيرنز) فى حد ذاته كان لقاءً مستغربًا، وظهر من خلاله أن قيادات الجماعة ترغب فى لقاء أى شخصية أمريكية حتى ولو كان من شأنها تلويث البحر المتوسط، فوليم بيرنز هو أحد الأعمدة الصهيونية فى الحكومة الأمريكية، وأحد أكابر الداعمين لكل الاعتداءات الإسرائيلية التى حدثت ضد الشعب الفلسطينى، ويُعتبر نفسه مبعوث العناية الأمريكية لحماية أمن إسرائيل، لدرجة أنه سبق أن صرَّح بأنه لا يريد تحقيق أمن إسرائيل فقط، ولكنه على حدِّ قوله: (أنا أبحث عن رفاهية إسرائيل)، وعندما التقى (كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكية الأسبق مع وزير الخارجية المصرى السابق (محمد العرابى)، وكان اللقاء فى اسطنبول، وفى هذا اللقاء قال (كسينجر للعرابى): الإخوان المسلمون قادمون فى مصر، وأنا متأكد تمامًا أن الإخوان سيحكمون مصر قريبًا، وإذ سأله العرابى وما موقف أمريكا من هذا؟ قال كيسنجر للعرابى: ليس لدى أمريكا مشكلة لأن كل ما يهم الإدارة الأمريكية ثلاثة أمور مفصلية فى مصر، هى: الالتزام باتفاقية السلام مع إسرائيل، وضمان سلامة الملاحة فى قناة السويس، وأن تستمر الولايات المتحدة مصدرًا لتسليح الجيش المصرى [1].

(١) أماكن متفرقة من كتاب أئمة الشر، لثروت الخرباوى.

علاقة الإخوان بأمريكا

علاقة الإخوان بأمريكا ليست بجديدة، وقد كشفت تقارير تابعة للصحف الأمريكية أن هذا التواصل بين الجانبين لم ينقطع أبدًا، وكان قائمًا قبل ثورة يناير ولكنه لم يكن ظاهرًا على سطح الحياة السياسية المصرية بالشكل الكافى، ولاعتبارات خاصة بمصلحة الطرفين، فعلانية تلك اللقاءات كانت موضع نقد من بعض الدوائر الحكومية والسياسية المصرية، كزيارة (ريتشارد دونى) مسئول الاتصال السياسى بالسفارة الأمريكية لمقر جماعة الإخوان القديم (بشارع التوفيقية) بقيادات الجماعة واجتماعه بقياداتها، ولقاء دكتور (سعد الكتاتنى) القيادى الإخوانى مع (سيتى هوبز) زعيم الأغلبية الديموقراطية بالكونجرس بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة، فهذه اللقاءات كانت محل رصد وعلامات استفهام من جانب الصحف المصرية القومية والمستقلة على حد سواء، وحقيقة التواصل بين الإخوان والإدارة الأمريكية يبدو استجابة لتيار صاعد فى الدوائر السيلسية والبحثية الأمركية يزكى العودة.للحوار مع الإسلاميين المعتدلين، وبما يتفق مع معطيات مرحلة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، فهناك تقرير صادر من (معهد بروكنجز) يوصى أوباما باستئناف الحوار مع الإخوان لمنع الجماعات السلفية من بسط سيطرتها على الحياة السياسية ومقاعد المجلس التشريعى فى مصر مع السماح للسفارات الأمريكية بإجراء نقاش مع التيار الوسطى الإسلامى بعد نحو عقد من قرار الرئيس الأمريكى (بوش) قطع هذه الاتصالات، هذا التقرير بَرَّرَ موقفه بأن قنوات الحوار المفتوحة مع الإخوان ستتيح للولايات المتحدة فرض بعض من نفوذها على الاستراتيجيات التى يتبعونها وخاصة ما يتعلق منها بالمشاركة فى الانتخابات والوصول للسلطة، كما يمكن توظيف النشاط الإخوانى السياسى والدعوى فى بعض البلدان الأوربية لصالح تنمية وتأييد سياسات أمريكا بالمنطقة، وأراء بعض القضايا الدولية،

وفى المقابل يقترح التقرير أن تسمح الولايات المتحدة بتمدد النفوذ الإخوانى فى مصر، وأن تكون هناك أيضًا تسهيلات سياسية ودعوية له بأنحاء العالم، بالإضافة لفتح أكثر من مركز خدمى ودعائى للجماعة بأمريكا ودون ممارسة أى ضغوط عليها، كما ستقدم الولايات المتحدة دعمًا ماليًا للجماعة، وستوح بجملة مساعدات ضخمة (لحزب الحرية والعدالة) لو تم تنفيذ أجندة أمريكية واضحة المعالم بمجلس الشعب القادم، وكذلك عند إعلانها لمرشحها الرئاسى، أو تزكيتها لمرشح بعينه ترضى عنه الإدارة الأمريكية، كما أن موقف جماعة الإخوان من القضية الاجتماعية والطبقية - الوارد ببرنامج حزب (الحرية والعدالة) يتحرك بوضوح على أرضية اليمين المؤمن بالاقتصاد الحر وقوى السوق، وجهاز الأثمان، وهو ما تشجعه الإدارة الأمريكية وتحرص عليه، كما أن نمو (الرأسمالية الملتحية) بمصر ووجود حكومة إخوانية راعية لصعودها وازدهارها مع توجهاتها الداعمة لعدم فرض سياسات حمائية، أو عرقلة تمدد الشركات الدولية وحركة رأس مالها الساخن - هى مفردات تؤهل قبول الجماعة لدى العم (سام) ولا يمثل الموقف الإخوانى من الصراع العربى الإسرائيلى عائق أمام تطور علاقة الجماعة بالإدارة الأمريكية، فالمرشد العام الحالى (د. محمد بديع، د. عصام العريان) أعلنا فى أكثر من مناسبة أنه لا تراجع عن معاهدة (كامب ديفيد) مع إسرائيل، الأمر الذى يعكس تغيرًا فى الخطاب الإخوانى التقليدى تجاه إسرائيل وَيُعَدُّ اعترافًا بوجودها كدولة جوار.[1]

الشِّعَارُ السَّادِسُ: (الْمُشَارَكَةُ، لَا الْمُغَالَبَةُ)

عندما كان الحزب الوطنى متصدر الساحة السياسية أيام الرئيس (محمد حسنى مبارك) كان الإخوان يُطلقون هذه النداءات، وهذه الشعارات فى الشارع المصرى ليستعطفوا قلوب المصريين، ليتحالف معهم من يتحالف، وليقف بجانبهم من

(١) شبكة الانترنت. جريدة الأهرام ١٥ أغسطس ٢٠١٢م.

يقف، وليتوجه معهم إلى صناديق الانتخابات من يتوجه تعاطفًا معهم من أجل تلك الصيحات، لأن الحزب الوطنى كانت له المغالبة فى تلك الآونة، فأين هم من اتفاقهم مع اللواء (حسن عبدالرحمن) مدير مباحث أمن الدولة واتفاقهم معه بمعرفة الرئيس (محمد حسنى مبارك) على فوزهم فى انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥ بنجاح ٨٨ من مرشحيهم لمجلس الشعب، فما كانوا يشتكون منه قبل تَوَلِّيهم السلطةَ أصبحوا يطبقونه بالمسطرة عندما استولوا على السلطة، وتمكنوا من السطو على كرسىِّ الرئاسة فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، فأصبح كل ما يعانونه من الظلم والقهر والتهميش فى عهد مبارك أذاقوه للشعب المصرىِّ فى عهدهم، ولكن بطريقة ضحلة، ليس بها حرفية نظام (الحزب الوطنى) وذلك بسبب غبائهم السياسىِّ، لأنهم تعجلوا التمكين، فأخونوا أعدادًا كبيرة من الوزارات فى أقل من عام على ملإٍ من الجماهير الغفيرة من الجمهورية، ولكن كانت آذان السلطة كانت أذنٌ من طِينٍ، وَالْأُخْرَى من عَجِينٍ، وقد بلغ عدد المتأخونين فى السلطة والوظائف الحكومية المرموقة بنحو ١٣٠٠٠ إخوانى فى جميع محافظات جمهورية مصر العربية، وكان العدد سيزيد أضعاف ذلك بكثير بعد ثورة ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣ لكنها إرادة الله أوقفت ذلك التمكين، وأوقفت السب والتشهير من المعارضين، فكل من اعترض على قراراتهم، ولم يكن فى صفهم أُطلقوا عليه لفظ (الفلول) وعندما سُئل (صبحى صالح موسى أبو عاصى) وهو الرجل الذى كان يشغل عضو اللجنة التشريعية بمجلس الشعب، عن أخونة المؤسسات، فقال: (هذا كلام سخيف، فلدينا ٧ ملايين موظف حكومى، ولا يعقل أن نستبدلهم بين ليلة وضحاها بموظفين إخوانيين، أما بالنسبة لاستعانة الرئيس بمن يؤمن بمشروعه، فهذا حقه، فالأهلى عندما يفوز بالكأس لا يمنحه للزمالك، أما اختيار موظفى الدولة فتلك أمور تحكمها القوانين واللوائح، أما من يقولون هذا الكلام، فلا يوجد توصيف لهم إلا إحساسهم بمرارة الفشل، لأن الرئيس (مرسى) يحكم دولة أكثر من ثلثيها (فلول)، ونحتاج لأخونة باقى مؤسسات

الدولة حتى نكون مسئولين عن البلاد) [1].

فإذا بحثنا عن الأصل اللغوى لكلمة (فَلَّ)، أى: فَلَّ السَّيْفُ، فَلَلاً، أَىْ: تَثَلَّمَ حَدُّهُ، وَالْفَلُّ: كَسْرٌ فِى حَدِّ السَّيْفِ، وَهُمْ قَوْمٌ فَلٌّ، أَىْ: قَوْمٌ مُنْهَزِمُونْ [2].

وقد شاع استخدام هذه الكلمة فى مجال السياسة لوصف بقايا نظام بائد، سواء كان هذا النظام جيشًا مهزومًا أو نظامًا سياسيًا قُضِىَ عليه، وقد انتشرت هذه الكلمة بعد سقوط نظام (مبارك)، وقد زاد هذا اللفظ لمعانًا فى فترة الرئيس المعزول (محمد مرسى) لوصف أعضاء مبارك وحزبه المنحل وانهيار نظامه، حيث أطلقتها وسائل الإعلام على نظامه، وعلى الأخص أعضاء الحزب الوطنى الديمقراطى، والذى صدر حكم قضائى بحَلِّه وتسليم مَقَارِّه، وقد أصبحت الكلمة أيضًا مثار استهزاء وسخرية من الكثير من الكُتَّاب والمدوِّنين بوصفها غير محددة المعالم، وأثارت رسالة أصدرها المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى تولى مسؤولية حكم مصر بعد انهيار نظام مبارك أيضًا تساؤلاتٍ عديدةٍ حينما أورد هذه الكلمة فى رسالته الرابعة والثلاثين والتى اتهم فيها فلول النظام السابق ويقصد به نظام مبارك بالبلطجة، ويُطلق لفظ (الفلول) فى غير موضعه، لأن الفلول المفترض أن تكون هى الفئات الأضعف، والأقل عددًا والباحثة عن فرصة للتعبير عن نفسها، أو إثبات براءتها مما ارتكب من جرائم، أو العمل على تحسين صورتها أمام الرأى العام، بينما الظاهر للجميع بوضوح أن ما يحدث على أرض الواقع يؤكد أن من يطلق عليهم الفلول هم أصحاب الصوت الأعلى والمسيطرون على وسائل الإعلام الخاصة والحكومية المكتوبة والمرئية، ومن كان منهم يُنافق الحاكم السابق بمقدار معين، وزاد نفاقه للثوار أضعافًا، ولم يفقد أيًا منهم مميزاته وصلاحياته، بل على العكس تمامًا زادت نجومية الكثيرين منهم، وبعد أن كان الكثير منهم من رجال الرئيس أصبحوا

(١) جريدة الصباح. الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ - ١٥ أبريل ٢٠١٣م (العدد ١٨٦) (ص: ١٣).

(٢) المعجم الوجيز ص: ٤٨١.

الآن من رجال الثورة، ومع الوقت بدأ البسطاء يتأكدون أنهم كانوا يُرَوْنَ المشهد بشكلٍ خاطئ، وأن من يرونهم من نجوم الإعلام من الفلول ليسوا كذلك، وإنما هم مواطنون شرفاء لم يلوثهم النظام السابق، وإنما كانوا مناضلين فعلاً، ولم نكن نحن نراهم جيدًا لأننا على ما يبدو نحن الفلول الفعليين دون أن ندرى، وفى الأمثال يُقال: (لاَ يَفِلُّ الحديد إلا الحديد)، وورد عن عنترة فى قوله: (الشجاعة فى القلوب الحديد تَفِلُّ جلمود الصخر كما يَفِلُّ المبرد العود) و(فَلَّ عَنْتَرَةَ جَيْشَ الْأَعْدَاءِ فَلاًّ)، أى: ألحق بهم هزيمة نكراء.[1]

الشِّعَارُ السَّابِعُ: (يَسْقُطْ. يَسْقُطْ حُكْمُ الْعَسْكَرْ)

قبل أن نستطرد فى تفاصيل هذا الشعار، لاَبُدَّ لنا أن نعرف المعنى اللغوى لأصل كلمة (العسكر) العسكر: (الجيش، وجمعه عساكر) و(عسكر القوم بالمكان، أى: تجمعوا) و(الْعَسْكَرِيُّ: الْجُنْدِيُّ) و(الْمُعَسْكَرُ: مَكَانُ الْعَسْكَرِ وَنَحْوِهِمْ)[2].

فإذا أرادوا بهذا الشعار كما يدعون إسقاط حكم العسكر، فمن لنا بعد الله، إلا هم؟ ومن يحمى حمى مصر إلاهم؟ ومن يحمى ترابها، ويحافظ على حدودها ومقدراتها إلاهم؟ ومن يزود عن أرضها وسمائها إلا هم؟ ومن رُوى بدمائه رمال سيناء إلا هم؟

ألم يخرج الزعيم الخالد. الوطنى الخالص الأصيل المتأصل (جمال عبدالناصر) من تحت عباءة حكم العسكر؟ وقبل أن نذكر إنجازات هذا الزعيم الخالد، وجب علينا أن نذكر ما شهد به أعدائه: (كانت كل الدول تسعى للتقرب من (جمال عبدالناصر) ذلك الرجل (ساحر القلوب والعقول) كما وصفته رسميًا الوثائق الأمريكية (منتهى السرية) وكان البيت الأبيض فى العاصمة الأمريكية واشنطن يخطط للتعامل مع الرئيس جمال عبدالناصر، وَوُجِدَتْ فى تلك الوثائق أن الرئيس الأمريكى (داويت دافيد إيزنهاور)

(١) شبكة الانترنت.

(٢) المعجم الوجيز ص: ٤١٨.

قد أعد للرئيس جمال عبدالناصر خطة سلام متكاملة لإقرارها فى الشرق الأوسط)[1].

(وفى الواقع قد سارت المفاوضات بين الرئيس جمال عبدالناصر والولايات المتحدة الأمريكية فى هدوء شديد، ولم يكن الرئيس جمال عبدالناصر كما سجلت الوثائق الأمريكية فى عجلة من أمره، بل كان يريد أن يعرف نهاية المطاف، وكان لا يعرف بسر وجود تلك المفاوضات فى النظام المصرى إلا ثلاثة أشخاص فقط أولهم هو محمد أنور السادات والثانى عبداللطيف البغدادى، والثالث زكريا محى الدين وكان الثلاثة يرحبون ويؤيدون الرئيس جمال عبدالناصر ويشجعونه على الموافقة خاصة أن كل الشروط الأمريكية وحتى الإسرائيلية كانت يومها فى صالح مصر، ويوجد لدى الإدارة الأمريكية فى دائرة الحفظ القومى الفيدرالى عدد (٥ خطابات) (منتهى السرية) محفوظة عن الاتصالات السرية بين الإدارة الأمريكية للرئيس (جون كينيدى)، وَبَيَّنَ الرئيس جمال عبدالناصر منها خطاب دعوة إلى الرئيس جمال عبدالناصر لزيارة واشنطن رسميًا وخطاب تهنئة من عبدالناصر بتولى كينيدى الرئاسة فى يناير ١٩٦١، وفى الواقع تقدمت المفاوضات الجانبية والسرية للغاية بين الرئيس (جمال عبدالناصر) وبين الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس إيزنهاور ووصلت إلى حد التفاوض على أن تكون مصر الحليف الأول للولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط مما كان سيمنح مصر مميزات غير مسبوقة، لكن الرئيس جمال عبدالناصر علم من التفاصيل أنه سيكون على مصر منح الولايات المتحدة عددًا من المناطق، أى: الأراضى - داخل الحدود المصرية فى أربع اتجاهات، حددتها الإدارة الأمريكية للرئيس (إيزنهاور) فى الشمال خارج مدينة الإسكندرية مكان برج العرب الحالية، وفى الجنوب فى سوهاج، وفى الشرق داخل شبه جزيرة سيناء، وفى الغرب فى عمق الصحراء الغربية على الحدود مع ليبيا، أما تلك

(١) أسرار ناصر - توحيد مجدى (ص: ١٠٣).

المناطق فكانت تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية كقواعد عسكرية لتمركز القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط وعندما رفض الرئيس جمال عبدالناصر بشدة حاولوا إقناعه من واشنطن بأن الرفض لا يعنى الكثير لأن إسرائيل وافقت على ذلك الشرط بل رحبت به، كما رفض الرئيس جمال عبدالناصر أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية فى المقابل بتحديث الجيش المصرى بالأسلحة الغربية الحديثة وبلا التزامات مالية تفرض على النظام المصرى، والغريب أن الرئيس جمال عبدالناصر أحرج الرئيس الأمريكى داويت إيزنهاور عندما حدثه هاتفيًا بشكل مباشر فى تلك النقطة وقال له: (أنتم تريدونا أن نتحول لمرتزقة لكم فى الشرق الأوسط وليس كحليف). وهو ما أغضب الرئيس إيزنهاور بشدة، لكنه لم ييأس وكان لديه أمل أن تكون زيارة الرئيس جمال عبدالناصر إلى نيويورك فى نهاية شهر سبتمبر ١٩٦٠ فرصةً جيدةً حتى تناقش الإدارة الأمريكية بحرية وفى سرية تامة كامل شروط معاهدة السلام السرية التى كانت تُعَدُّ فى الكواليس سِرًّا[1].

وفى ذلك الصدد أيضًا لم يقبل الرئيس (محمد حسنى مبارك) وجود أى قواعد عسكرية أمريكية على أرض مصر، وقد عُرِضَ عليه من أمريكا وإسرائيل أخذ قطعة من أرض سيناء، ولكنه رفض ذلك وقال: (أنا ذهبت إلى المحكمة الدولية من أجل ٨٠٠ متر من سيناء أأقبل هذا، بل هذا مرفوض) وقد صرح بهذا اللواء. سامح سيف اليزل رئيس مركز الجمهورية للدراسات السياسية والأمنية على قناة الحياة.

هذه هى وطنية من يُطلقون عليهم (العسكر) وهم حُمَاةُ مصر وأرضها وأمنها، فأين أنتم من هذا؟ وقد تنازل الرئيس المدنى المنتخب والمعزول (محمد مرسى) عن ٢٠٠ متر من حلايب وشلاتين فى قعدة وُدٍّ وكرم مع أخيه الرئيس السودانى (البشير)، وأنكر مرسى ورجاله الفضيحة، وتحدوا بأن تكون الأرض المصرية، أو الحدود المصرية تم

(١) المصدر السابق ص: ١١٣-١١٥.

تعديلها، أو حتى المساس بشبر من الأرض، وبالطبع كان مرسى وجماعته وأهله على ثقة من أن موقفهم سليم، وأن الأرض المصرية والحدود المصرية لم يتم تغييرها، فقد تمت حماية الحدود المصرية وحلايب وشلاتين ولكن هذه الحماية لم يكن مرسى وراءها ولا علاقة له بها، فقد وافق مرسى، بل تحمس للتنازل عن ٢٠٠ متر من حدود حلايب وشلاتين المصرية للسودان، وعندما علم الجيش المصرى بهذه الكارثة تصرف على الفور، وجاء تصرفه على النحو الذى يحفظ لمصر أمنها القومى وحدودها، ويحمى أرضها، فعلى الفور سافر وفد رفيع المستوى من الجيش للخرطوم، وأفهم (البشير) أن يتعامل مع موضوع (حلايب وشلاتين) ووعد مرسى كأن لم يكن ورضخت السودان لهذا القرار، وانتهى الأمر، أو بالأحرى المهزلة عند هذا الحد، وبعد أن أنقذ الجيش المصرى حلايب وشلاتين ظهر مرسى فى خطبه يسخر مما يُقال هو تنازله عن حلايب وشلاتين، ويتحدى على طريقة (رامبو) أن يثبت المعارضون كلامهم، فقد كان مرسى واثقًا أن الجيش منع الكارثة، ولذلك أراد أن يخرج منتصرًا من ورطته، أو بالأحرى جريمته، لكن السودانيين لم يتركوه ينعم بانتصاره، فقد خرج مسئول سودانى على شاشات الفضائيات، وأكد الواقعة والفضيحة، وقال إن مرسى بالفعل وافق على تعديل يخص حلايب وشلاتين فخرس مرسى وجماعته، وحاولوا تجاهل الرد السودانى، ولكن داخل الجماعة اعترفوا بالقلم الذى أخذوه على قفا الجماعة، ولم يفهم مرسى ولا جماعته سر تخلى الأشقاء السودانيين عنهم، وفضحهم لمخطط تنازل مرسى عن أرض مصرية لصالحهم، وقد تم رصد مكالمة هاتفية للرئيس المعزول مرسى مع مسئول أمريكى فى هذه المكالمة وافق مرسى على منح أمريكا قاعدتين عسكريتين مرةً واحدةً .. أمريكا (حفيت) ولم تحصل على قاعدة عسكرية واحدة على أرض مصر، فإذا بمرسى يتعهد بإقامة قاعدتين عسكريتين مرة واحدة .. الأولى كانت ستبنى فى (رأس بيناس) والثانية كانت ستقام فى (السلوم)، ولكن ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م أوقفت الحلم الأمريكى وحمت الأرض المصرية من أن

تدنسها قواعد عسكرية أمريكية، فهل كان مرسى يحاول بموافقته على القواعد أن يثبت أقصى ولاء لأمريكا أم كان يريد أن يساوى بين مصر وقطر، ولا يفتخر المصرى بأن أرضه خالية من القواعد العسكرية الأمريكية؟ هل كان لموافقة مرسى على إقامة قاعدتين إحداهما فى السلوم له علاقة بخريطة أمريكا لإعادة ترسيم وتقسيم الوطن العربى؟ كل هذه الوثائق تؤدى إلى حقيقةٍ واحدةٍ وهذه الحقيقة هى أن الإخوان كانوا على استعدادٍ تامٍّ وبحماسٍ شديدٍ إلى تسليم مصر لأمريكا وتحويلها إلى أكبر قاعدة عسكرية فى المنطقة[1].

(وَعْوْدًا إلى أسرار ناصر) وعندما وصل الرئيس (جمال عبدالناصر) إلى نيويورك لإلقاء كلمة مصر أمام الأمم المتحدة التى قدمها فى صباح ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠، وقبلها بيوم كانت المفاوضات بين (جمال عبدالناصر وإيزنهاور) قد بدأت فى صباح ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ تحت أقصى درجات السرية بحضور طاقم مصغر للرئيس الأمريكى كان بينهم مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كان الرئيس جمال عبدالناصر مستعدًا للتفاوض حتى أنه حرص على عدم اصطحاب شخصيات مصرية بعينها وفضلت الإدارة الأمريكية عدم حضورهم الزيارة بدعوى أنهم سينقلون للاتحاد السوفيتى أسرار ما سيجرى فى نيويورك، وفى اللقاء طلب الرئيس جمال عبدالناصر أكثر من مرة عدم تسجيل نص بروتوكول اللقاء بأى طريقة حتى أنه رفض كتابة الملحوظات وفضل أن يتفاوض منفردًا وجهًا لوجه مع الرئيس دوايت إيزنهاور، فى هذا اللقاء السرى للغاية وقع الرئيس الأمريكى فى خطأ كبير، لأنه كان عليه طبقًا للوثائق أن يُغيِّرَ أو حتى يُعَدِّلَ كل النقاط التى رفضها الرئيس المصرى جمال عبدالناصر من قبل واتضح بعدها أن الإدارة الأمريكية لم تقم بتغيير أىٍّ من النقاط السابق الاختلاف عليها سياسيًا حتى تلك التى أزعجت الرئيس جمال عبدالناصر فضاعت الفرصة قبل أن تبدأ وهى منح

(١) جريدة الفجر الخميس ١٩ ذو الحجة ١٤٣٤هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م - (العدد ٤٢٩) - السنة السابعة (ص: ٥).

الولايات المتحدة الأمريكية عددًا من الأراضى داخل الحدود المصرية فى أربعة اتجاهات والتى سبق ذكرها قبل ذلك، ولكن فى الحقيقة طلب الرئيس جمال عبدالناصر كشرط أساسى قبل إعطاء كلمته الشخصية، أو التفكير فى قبول الشروط الأمريكية أن تُوقع إسرائيل بالتزامها عدم السعى لاحتلال المزيد من الأراضى العربية، واشترط الرئيس جمال عبدالناصر بشكل رئيسى أن توقع الحكومة الإسرائيلية على شرط يضاف للمعاهدة المطروحة وقتها بأن لا تكون الأراضى السورية، أو الأردنية، أو العراقية، أو اللبنانية، أو المصرية، أو أى أراضٍ عربيةٍ وعلى رأس كل الأراضى مدينة القدس هدفًا لأى احتلال إسرائيلى أو هدفًا لأى عدوان إسرائيلى فى المستقبل وكان تاريخ اللقاء فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠، لكن الرئيس الأمريكى رفض هذا الطلب حتى قبل أن يعرضه على إسرائيل فرفع الرئيس جمال عبدالناصر صوته وقال للرئيس الأمريكى: (إذا أنت حللت اللغز لى وأنا كنت متأكد أن إسرائيل عينها على القدس إما عاجلاً، أو آجلاً) فردَّ عليه الرئيس الأمريكى مطالبًا إيَّاهُ أن لا يستبق الأحداث خاصة أن إسرائيل لم تَعْتَدِ على القدس، ولم تغير من معالمها، ولا يوجد أى حديث على احتلال القدس، وعندما فشل الرئيس الأمريكى فى تهدئة الرئيس جمال عبدالناصر تحدث فى التليفون الرئاسى الأمريكى مع تلك أبيب، وكان الخط مفتوحًا من الأساس طيلة الوقت بين تل أبيب ونيويورك وكان على الخط الآخر رئيس الوزراء الإسرائيلى دافيد بن جوريون بنفسه حيث جلس بنفسه مستمعًا للحوار بين الرئيس جمال عبد لناصر والرئيس الأمريكى، حيث اشترط جمال عبدالناصر يومها على الرئيس الأمريكى أن لا يتحدث نهائيًا مع (دافيد بن جوريون) وأن ينقل الرئيس الأمريكى الطلبات بينهما دون الحديث المباشر، والمثير أن الرئيس جمال عبدالناصر ظل طيلة الحوار واجلسة السرية الذى استغرقت أكثر من ساعتين يخاطب دافيد بن جوريون دون ذكر اسمه وبلفظ (العدو الإسرائيلى) وعندما حاول (إيزنهاور) أن يثنى جمال عبدالناصر عن اللفظ بغرض إنجاح الحوار طلب (عبدالناصر)

من (إيزنهاور) أن يسأل دافيد بن جوريون هل جمال عبدالناصر صديق؟ فردَّ دافيد بن جوريون من الجانب الآخر على إيزنهاور مؤكدًا أن جمال عبدالناصر عَدُوٌّ لإسرائيل، فَقَبِلَ الرئيس الأمريكى أن يُدير الحوار بين (ناصر) و(بن جوريون) تحت استخدام لفظ (العدو الإسرائيلى) و(العدو المصرى) وفى الواقع لما أكدته الوثائق الأمريكية خرج الرئيس جمال عبدالناصر من اللقاء فى نيويورك عصر يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ أشرس مما قبل بالنسبة لرأيه فى الولايات المتحدة الأمريكية والفكر الغربى وانهارت معاهدة السلام الأمريكية المقترحة ورفض الرئيس جمال عبدالناصر كافة الشروط التى عرضتها عليه، أو قدمتها إليه واشنطن، بينما خرج الرئيس الأمريكى وهو يكره الرئيس جمال عبدالناصر أكثر مما كان عليه قبل اللقاء، بل وكتب ملاحظاته الشخصية عقب نهاية اللقاء أكد فيها أن جمال عبدالناصر لم يمنحه الاحترام المفروض لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وأن عبدالناصر رفع صوته عليه عدة مرات مما أحرج إيزنهاور الذى كان يُعتبر أسطورة تاريخية فى العالم وقتها [1].

عبدالناصر الرئيس الإنسان:

الرئيس جمال عبدالناصر هو الرئيس المصرى الوحيد الذى كان على مكتبه خط تليفون مباشر عادى كان يستخدمه بشكلٍ طبيعيٍّ عندما يريد أن يستدعى من يريده، أو يتصل بمن يريده دون تعقيداتٍ غريبةٍ نسجها البعض عنه وعن حياته، أيضًا كان يقوم بالردِّ بنفسه على الهاتف دون أىِّ عُقَد نفسيةٍ يمكن أن تتمكن ممن فى مكانته الرئاسية وزعامته التاريخية وكان دائمًا لا ينسى أنه فى النهاية إنسان عادى بدرجة قائدٌ عسكرىٌّ رفيعُ المقام، وأما مَا نُشِرَ فى صحيفة قومية كبيرة كتبه المحرر السياسى الرئيسى عن قصة الطائرة الإسرائيلية دون الإشارة لأية تفاصيل، والسبب أن الرئيس جمال عبدالناصر

(١) المصدر السابق ص: ١١٥-١١٧.

لم يكشف سر ما حدث ذلك اليوم لأحد ولم يعرف حقيقة ما جرى سوى (زكريا محى الدين) الذى رد على الهاتف وكان يعلم بالسر منذ لحظة إبلاغ الرئيس به وكان نص الخبر الذى نشرته الصحيفة القومية كالتالى: (لدى هبوط الطيار الإسرائيلى (أيبى ناثان) فى مطار بور سعيد رفض الرئيس (جمال عبدالناصر) مقابلته لأنها لعبة إسرائيلية مكشوفة تستجدى فيها إسرائيل السلام من مصر وقد مزقت السلطات الأوراق التى حملها الطيار الإسرائيلى) والحقيقة أن ما حدث كان مختلفًا تمامًا، فالرئيس جمال عبدالناصر لم يكن ذلك الرجل الذى صوروه فى الخبر على أنه سعى طيلة حياته للحرب تلو الأخرى حتى لو كان ذلك تحقيقًا للحلم العربى الكبير، أو رفضه للاستعمار وهو من قالها صراحةً: (لقد فُرِضَ علينا القتال).

كان الرئيس جمال عبدالناصر إنسانًا بمعنى الكلمة حتى لو عاصرت المشاكل والحروب والتجاوزات الأمنية عهده، بل كان الرجل داعيةَ سلام فى الأصل قبل أن يكون باحثًا عن الحروب وكان مفكرًا كبيرًا وعبقريًا أقلق مضاجع الدولِ العظمى فى عصره، وَمَنْ نَشَرَ، أَوْ صَوَّرَ أنه كان يمكنه كمفكرٍ سياسىٍّ تمزيق (توكيلات السلام) قد أخطأ، أو قد تجاوز، أو ربما تَطَوَّعَ وساهم فى رسم صورة غير سليمة عن الرجل الإنسان والعظيم، والحقيقة لقد نُقل (أيبى ناثان) الطيار الإسرائيلى فى حفاوة بالغة لمكتب قيادة مطار بور سعيد حيث دار حوارٌ قصيرٌ معه حول أسباب اختراقه لمجال الجوى المصرى؟ وَالسِّرُّ وراء اختياره لمدينة بور سعيد؟ وقصة توكيلات السلام التى يحملها للرئيس جمال عبدالناصر؟

فى مكتب الرئيس (عبدالناصر) كانت المفاجأة أقوى على (زكريا محى الدين) الذى بدأ يُظهر علامات قلق وقبل أن يُفاتح الرئيس فى كيفية الرَّدِّ طمأنه الرئيس (عبدالناصر) وقال له سأتحدث إليه بنفسى لكن على أساس أنك من تحدثه، تعجب زكريا محى الدين وانفرجت أساريره وزال عنه القلق والمسئولية وطلب الرئيس أن يضعوا الطيار الإسرائيلى

(أيبى ناثان) على الهاتف، سأله الرئيس مباشرةً دون أن يُخبره بشخصيته قائلاً: (هل أرسلك أحد من الحكومة الإسرائيلية؟) فرد الطيار الإسرائيلى مُنْزَعِجًا بقوله: (أخبرتهم عدة مرات من لحظة هبوطى أن الشعب الإسرائيلى هو الذى كلفنى بحمل التوكيلات إلى الرئيس جمال عبدالناصر وطلب منى أصحاب التوكيلات أن أخبره أن هناك فى إسرائيل من يحترموه ويريدون عقد اتفاقية سلام معه) فضحك الرئيس جمال عبدالناصر وهو يحاول تهدئته قائلاً: (لا تنزعج اشرح لى ماذا تحمله للرئيس جمال عبدالناصر؟) فبدأ الطيار (أيبى ناثان) يشرح للرئيس عبدالناصر وهو لا يعلم أنه يتحدث مع زعيم الأمة العربية شخصيًا نَصَّ التوكيلات التى أُطلق عليها (توكيلات السلام) وعددها الذى تعدى ٤٥٠٠ توكيل وتوثيقاتها لدى عدد من المحاكم الإسرائيلية المختلفة طبقًا لتوزيع محلات السكن لكل موكل وأن نص التوكيلات مُوَحَّدٌ وفيه: (أقر أنا المواطن، أو المواطنة وأحمل هوية إسرائيلية رقم كذا باسم كذا مقر سكن كذا وظيفة كذا أننى وكلت السيد (أبراهام يعقوب ناثان) الشهير باسم (أيبى ناثان) للقاء الرئيس المصرى (جمال عبدالناصر) لإبلاغه شخصيًا بأننى موافق على عقد معاهدة سلام مع مصر وأتحمل كل المسئولية عن موافقتى وكل ما جاء فى هذا التوكيل) فتعجب الرئيس من صدق وجراءة الطيار الإسرائيلى وسأله ناصر فى هدوء: (وهل هؤلاء هم كل من يريدون السلام مع الرئيس جمال عبدالناصر فى إسرائيل؟) لكن الطيار الإسرائيلى أجاب سريعًا بقول: (لا نهائيًا أبدًا سيدى هناك آلاف ممن يريدون السلام مع مصر صدقنى، لكن أغلبهم خائفون وينتظرون اللحظة المناسبة) فردَّ الرئيس جمال عبدالناصر بقوله: (حسنًا لا تقلق أنا سعيد أننى تحدثت إليك شكرًا على المجهود الذى تحملته والمخاطر التى واجهتها بشجاعة، سأشرح للرئيس كل ما قلته، وبالمناسبة يرسل إليك الرئيس عبدالناصر تحياته الحارة وشكره العميق ويخبرك أنك ستعود إلى إسرائيل غدًا بعد أن تستريح وتقوم بزيارة بور سعيد كرجل سلام) وفى صباح يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٦ سمح للطائرة الإسرائيلية الخاصة بالإذن بالإقلاع من مطار بور سعيد وقاد (أيبى ناثان) طائرته بنفسه كما حضر بها إلى مصر، ولدى دخوله المجال الجوى الإسرائيلى

أبلغ عن وصوله، وحصل على الإذن بالهبوط فى مطار (هرتسليا) الذى أقلع منه أول مرة: وعلى أرض المطار، كما نبهه مندوب الرئيس عبدالناصر فى مصر كان ضباط جهاز الموساد فى انتظاره مع ألف مواطن إسرائيلى من بين الذين منحوا ناثان توكيلات السلام يحملون الأعلام المؤيدة له لما قام به نيابة عنه، وفى نفس التوقيت اكتشفت كل وسائل الإعلام الإسرائيلية والعالمية أن الحكومة كذبت وأذاعت قبلها بيوم بيانًا فى راديو جيش الدفاع الإسرائيلى مفبرك عَمَّا حدث لطائرة أيبى (ناثان) فاعتذر مكتب رئاسة الوزراء زاعمًا وجود لبس حدث فى المعلومات، وبعدها تم إضافة بند جديد فى قانون الإذاعة الإسرائيلية يشدد العقوبة على من يُذيع أنباء كاذبة بالقصد حتى ولو كانت الحكومة الإسرائيلية نفسها، وتحت ضغط الرأى العام والشارع الإسرائيلى الذى شعر بأهمية ما قام به الطيار الإسرائيلى (أيبى ناثان) اضطرت السلطات الإسرائيلية لإطلاق سراح ناثان بعد ساعة واحدة من اعتقاله بكفالة لكن تحت بند اتهام: (الخروج من الحدود الإسرائيلية بشكل غير شرعى دون إذن، أو وثيقة رسمية، أو سندمن القانون) وفى شهر مارس ١٩٦٦ قرر المستشار القانونى للحكومة الإسرائيلية (موشيه بن زئيف) أنه لا وجه لإقامة الدعوى الجنائية ضد الطيار (أيبى ناثان) وأُغلقت القضية، والمثير للدهشة أن أيبى ناثان سافر بعدها فى رحلة حول العالم للدعوة للسلام مع مصر [1].

ثقةُ إسرائيلَ ثقةً عمياءَ فى عبدالناصر:

كانت إسرائيل تثق فى عبدالناصر ثقة عمياء مع كرههم الشديدُ لَهُ، فبعد العدوان الثلاثى على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأ (مائير عاميت) رئيس جهاز الموساد التخطيط مع (قمحى) مدير فرع عمليات الحوار السياسى والدبلوماسى السرى فى جهاز الموساد والوحيد الذى كان على علم مسبق بلقاءات (عاميت مع) (السادات) لوضع خطة عاجلة للضغط على الرئيس عبدالناصر حتى يجبروه على تعديل شروط لعبة التفاوض

(١) مواقف متفرقة من المصدر السابق.

التى فشل (عاميت) فى تعديلها مع مبعوث (عبدالناصر) حتى يوافق الأخير على اللقاء فى مكان دولى محايد، وكانت الحيلة بسيطة للغاية، فقد حصر (جهاز الموساد) الأسرى المصريين من مختلف الرتب العسكرية من الضباط الذين سقطوا فى الأسر عقب ٥ يونيو ١٩٦٧ وكانوا يومها موزعين على المعتقلات والسجون المختلفة فى إسرائيل بسبب كثرة أعدادهم رسميًا، وكان لدى إسرائيل وقتها ٥٥٠٠ أسير مصرى، كان فى وقتها العدد كبيرٌ للغاية وغير مسبوق حيث لم تتحمل القدرة الاستيعابية لدى مصلحة السجون الإسرائيلية يومها تسكين كل هذا العدد فى سجن أو معتقلٍ واحدٍ، فوزعتهم إسرائيل على السجون والمعسكرات تحت ظروف اعتقالٍ غير آدمية، وكان (عبدالناصر) يعلم هذه الحقيقة ويُدرك أن حياة ضباطه وجنوده فى خطرٍ حقيقىٍّ إذا لم يقرر سريعًا ويتصرف بالشكل السياسى المناسب لأجل إعادتهم إلى مصر، لذا قام جهاز الموساد الإسرائيلى بحصرٍ خاصٍّ للأسرى وفصلت السلطات الإسرائيلية الضباط المصريين بمختلف رتبهم العسكرية عن الجنود ووضعهم تحت ظروف اعتقال صعبة لدرجة أن بعضهم فقد حياته فى تلك اللحظة الدنيئة التى نفذها وأدارها وأشرف عليها جهاز الموساد، وعندما أوشك الأسرى المصريون من الضباط على الهلاك طلبت السلطات الإسرائيلية منهم تحت التهديد أن يكتبوا خطابات عاجلة لذويهم وعائلاتهم فى مصر بشرط أن يذكروا فيها أن إسرائيل حاولت مرارًا وتكرارًا مبادلتهم وإعادتهم لوطنهم مصر، لكن الرئيس جمال عبدالناصر كان يرفض فى كل مرة، بل إنه قدر التخلى عنهم فى سجون إسرائيل، وبالقطع كان ذلك غير صحيح بالمرة، لأن كان العكس هو الصواب لدى الرئيس جمال عبدالناصر، لكن جهاز الموساد أراد الضغط على ناصر [1].

وبدأت الخطابات تصل تباعًا إلى آلاف الأسر والعائلات المصرية التى كانت تنتظر

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٧.

بفارغ الصبر عودة ذويها من الأسرى ومع أن الرسائل طمأنتهم مبدئيًا على ذويهم، لكن القلق والتساؤل والشك بدأ يتردد فى كل منزل مصرى لديه ضابط أسير فى إسرائيل، وأصر مائير عاميت رئيس جهاز الموساد على إطلاق سراح كل جواسيس عملية فضيحة (لافون) والتى سقط أول أفراد جواسيس شبكتها وكان يُدعى (فيليب نتانزون) أمام مبنى سينما (ريو) فى مدينة الإسكندرية مساء ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٤ ويؤكد الباب أن كافة الجهود بما فيها الوساطات والضغوط الدولية لتحرير أعضاء الشبكة باءت بالفشل مع الرئيس جمال عبدالناصر وأنهم فى تل أبيب لم يكن لديهم سوى ما سجله الرئيس الثانى لدولة إسرائيل (إسحاق بن تسفى) الذى تولى منصبه ثلاث فترات رئاسية امتدت من ٨ ديسمبر ١٩٥٢، وحتى ٢٣ أبريل ١٩٦٣ عندما مات وهو فى المنصب، وكتب الرئيس الإسرائيلى (إسحاق بن تسفى) عقب إبلاغه بسقوط شبكة العملاء الإسرائيليين فى مصر وفشل كافة الجهود لتحريرهم يومها خطابًا أرسلت منه ثلاث نسخ كتب فيه جملة واحدة أمام التشاؤم والشعور بالفشل والإحباط الذى عانت منه القيادة الإسرائيلية وكانت تلك الجملة هى: (إذا ضاعت كل آمالكم تبقى كلمة جمال عبدالناصر التى أثق فيها)[1].

وعقب وصول رئيس جهاز الموساد الإسرائيلى (مائير عاميت) بصحبة (دافيد قمحى) لمطار القاهرة كان السادات ينتظرهما، بلا مراسم كالمتفق عليه وخلال أقل من ١٥ دقيقة كانوا أمام الرئيس جمال عبدالناصر وجهًا لوجه لأول وآخر مرة، وحاول مائير تقبيل الرئيس جمال عبدالناصر، لكن ناصر تراجع، فتذكر مائير عاميت بروتوكول اللقاء كما أعده مسبقًا (السادات) - بدون قبلات - فسلم بحرارة على ناصر الذى علت وجهه ابتسامة عادية وصفها (مائير) بالباردة بينما سلم (دافيد) بشكل عادى، وفى اللقاء قدم (عبدالناصر) لهما المشروب الرسمى المصرى، كما قال لهما يومها واتضح أنه مشروب (العرقسوس) فلم يشربا منه إلا رشفات معدودة وقبل أى خطوة طلب (ناصر) أولاً

(١) المصدر السابق ص: ١١٧-١١٨.

الاطلاع على خطاب (ليفى إشكول) رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى يفوض فيه رسميًا رئيس جهاز الموساد (عاميت) بالتفاوض باسم دولة إسرائيل مع (عبدالناصر) وبعدها بدأ الحوار بينهما، دخل الرئيس جمال عبدالناصر مباشرة فى الحوار، وبدأه ضاحكًا وهو يوجه حديثه لرئيس جهاز الموساد الإسرائيلى اللواء (عاميت) بقوله: (لو أن هناك فرصة لإلقاء القبض على رئيس جهاز الموساد ومدير عملياته السرية، فاليوم هى الأخيرة).

فَرَدَّ (مائير عاميت) فى هدوءٍ مبتسمًا على الرئيس جمال عبدالناصر: (ولو هناك فرصة أن أجد رجلاً تثقُ فى كلمته إسرائيل ثقةً عمياء، فأنا اليوم أقف أمامه) فابتسم (ناصر) وعاد فى كرسيه للوراء قليلاً وَهَزَّ رأسه شاكرًا عاميت، ثم قال له: (لا يهمنى كل ما حدث فى ٥ يونيو ولا أخفى عليكم الرَّدَّ المصرى سيصلكم عاجلاً، أم آجلاً، لكن الآن وقبل أىَّ شىءٍ آخر أُريد استعادة أولادنا فورًا ودون تأخير وإذا فاتتكم الفرصة اليوم ستندمون بشدة) وكان (السادات) حاضرًا طيلة الوقت يسجل الحوار ويحرص على ألا تضيع منه كلمة واحدة وكان يجلس بجوار دافيد قمحى لكنهما لم يتدخلا نهائيًا فى الحديث بين (ناصر، ومائير)، وكما كتب رئيس جهاز الموساد (مائير) فى ملاحظاته الشخصية عن اللقاء: (كانت أسرع عملية تفاوض فى العالم وكان (جمال عبدالناصر) حَادَّ الكلماتِ بشكلٍ مخيفٍ) وفى نهاية اللقاء وافق رئيس جهاز الموساد (مائير عاميت) من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلى (ليفى إشكول) بلا شروط على إطلاق سراح كل الأسرى المصريين من مختلف الرتب حتى الجنود، وكان معهم مدنيون آخرون ووافق الرئيس (جمال عبدالناصر) شفاهةً على إطلاق سراح جواسيس إسرائيل من السجون المصرية بشرط أن تُحافظ إسرائيل على سرية اللقاء بشكل أساسى ومعها بالقطع تفاصيل عملية التبادل [1].

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٨-٢٤١.

ومن هنا بدأ جهاز الموساد ومن ورائه كل أجهزة المخابرات الإسرائيلة فى البحث عن وسيلة مناسبة للتخلص من (جمال عبدالناصر) دون إثارة لأى مشاكل دولية، وقد ولد جهاز الموساد الإسرائيلى فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٩ وعلى رأس أوليات أهدافه تصفية كل من يُشكل خطرًا على دولة إسرائيل الوليدة، بداية من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بدأ الخطر يتشكل لديهم فى مجموعة الضباط الأحرار، ثم راح الخطر يتركز فى شخص الزعيم الراحل (جمال عبدالناصر) بداية من ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ عندما تم عزل اللواء (محمد نجيب)، ومن الحاجة تتولد الفكرة فى إسرائيل، وفى الخلفية تجارب مماثلة قام بها علماء (النازى) فى ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية فيصدر رئيس الوزراء الإسرائيلى يومها (دافيد بن جوريون) قراره لإنشاء معهد سرى للأبحاث يكون هدفه الرئيسى إنتاج السموم والفيروسات الخبيثة حتى يمكن لأجهزة المخابرات الإسرائيلية المختلفة استخدامها فى تنفيذ عمليات الاغتيالات الهادئة، وسمى هذا المعهد هو معهد (نيس تسيونا) وطبقًا لما سُجِّلَ رسميًا كلف رئيس الوزراء الإسرائيلى (دافيد بن جوريون) مستشاره الخاص للعلوم العالم (إرنست دافيد بيرجمان) مدير مشروع المفاعل النووى الإسرائيل فى (ديمونة) لتولى تنفيذ مشروع معهد الأبحاث والدارسات البيولوجية، وأول تكليف رسمى من (بن جوريون) لإدارة المعهد بعدها بأعوام قليلة هو إنتاج سم خاص يمكن عن طريقه اغتيال الرئيس (جمال عبدالناصر) وفى الواقع كان الحديث خطيرًا للغاية، فقد ذكر الحاضرون أن معلومات الأجهزة المعلوماتية الأمريكية فى هذا الشأن تشير إلى قرب توصلهم فى تل أبيب لطريقة علمية سيمكن بها التخلص من الرئيس المصرى المعادى للغرب جمال عبدالناصر، وتناول الحديث عملية جهاز الموساد الإسرائيلى الذى يخطط طبقًا لمعلوماتهم أثناء الجلسة للتخلص من عبدالناصر بطريقة (دس فيروس سام سيعبأ خصيصًا فى معهد إسرائيلى متخصص فى سن ضئيلة للغاية سيحقن بها عبدالناصر) استغرب القائم بالأعمال الأمريكى (بيرجس) من

معلومات ضيوفه وعندما استفهم عن كيفية أن عبدالناصر لن يشك ولن يشعر بما يحدث له؟ وأفهموه أن سن الحقنة، أو الوخزة الإسرائيلية سيكون ضئيلاً للغاية لا يمكن لأحد الشعور بها وحتى لو شعر بها الرئيس (جمال عبدالناصر) فستكون كأنها رعشة، أو شحنة كهرباء يمكن أن تحدث لأى إنسانٍ عادى وأكد لهم (بيرجس) يومها أن تلك المعلومات خطيرة للغاية ويجب على الولايات المتحدة الأمريكية العمل على منع حدوث تلك العملية لما يمكن أن ينتج عنها من ثورات معادية للغرب فى الشرق الأوسط كله، وأكد لهم أن الرئيس (جمال عبدالناصر) لم يكن يمثل وقتها منصب الرئيس المصرى فقط، بل كان يعتبر الزعيم الفعلى للعالم العربى، والتخلص منه بمثل هذه الطريقة ربما يكون كارثيًا بكل معانى الكلمة، وحينها تفوهت السيدة الوحيدة فى تلك الجلسة وهى الدبلوماسية الأمريكية (ميرى) بجملة ربما تحققت، ولا أحد يعلم، فقد قالت لهم: (ما أدراكم ربما يضعوا له هذا السن فى باقات الورد التى يستقبلها فسرح كل الحاضرين) أما الهدف فكما كتبه الرئيس (جمال عبدالناصر) بعدها بخط يده وهو يفرغ نص الحوار الذى نجحت أجهزة المعلومات المصرية يومها فى تسجيله ونقله إليه كما جرى ووجد فيه جملة دارت فى أثناء الجلسة ذكرت فيها السيدة (ميرى) مساعدة السفير الأمريكى فى تل أبيب: (بقاء إسرائيل رهن بالقضاء على (عبدالناصر) بالسم، أو بالمرض) [1].

وهذا قدرُ (مِصْرَ) وقدر الزعماء النبلاء الأوفياء، الذين باتوا مهمومين بقضية أوطانهم، وأمن وسلامة أراضيهم أن يغتالوا خِفَّةً ونذالةً على يدِ عبدةِ القردة والخنازير، وليس كما قال الأستاذ (محمد حسنين هيكل) أن (عبدالناصر) مات من أثر السُّمِّ الذى قدمه (السادات) فى فنجان القهوة، وهذا محض افتراء، وليس به من الصحة بشىء.

(١) المصدر السابق ص: ٢٨٧-٢٨٩.

إنجازات الزعيم الخالد (عبدالناصر):

مَرَّ أكثر من أربعين عامًا على وفاة الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) وما زالت قلوب المصريين تتلهف للاستماع إلى سيرته العطرة، وإنجازاته التى تملأ الآفاق افتخارًا بهذا الزعيم الأسطورة فى ثوبه المتواضع وحياته البسيطة، وتواضعه الجم، وثورته العارمة على كل خبيث وجبان يعبث بأمن مصر وشعبها وترابها، وها هى بعض النقاط التى توضح جزءًا من إنجازاته:

- وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر فى الجمهورية العربية المتحدة، والتى لم تستمر أكثر من ثلاث سنين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨-١٩٦١) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها.

- استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم إنجاز وَحْدَوِىٍّ مع العراق وسوريا بعد تولى الرئيس العراقى (عبدالسلام عارف) رئاسة الجمهورية العراقية بما يُسمى باتفاق ١٦ أبريل ١٩٦٤.

- قام بتأميم قناة السويس، وإنشاء السد العالى على نهر النيل.

- قام بإنشاء بحيرة ناصر وهى أكبر بحيرة صناعية فى العالم.

- تأسيسه منظمة عدم الانحياز مع الرئيس اليوغسلافى (تيتو) والإندونيسى (سوكارنو)، والهندى (نهرو).

- المساهمة فى تأسيس منظمة التعاون الإسلامى عام ١٩٦٩.

- تأميم البنوك الخاصة والأجنبية العاملة فى مصر.

- قوانين الإصلاح الزراعى، وتحديد الملكية الزراعية والتى بموجبها صار فلاحو مصر يمتلكون للمرة الأولى الأرض التى يفلحونها، ويعملون عليها وتم تحديد ملكيات الاقطاعيين بِمِئَتَىْ فدانٍ فقط.

- إنشاء التليفزيون المصرى عام ١٩٦٠.

- قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١.

- إبرام اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤، والتى بموجبها تم جلاء آخر جندى بريطانى عن قناة السويس ومصر كلها فى الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦.

- بناء استاد القاهرة الرياضى بمدينة نصر (ستاد ناصر سابقًا).

- إنشاء كورنيش النيل.

- إنشاء برج القاهرة.

- تأسيس جريدة الجمهورية المصرية عام ١٩٥٤.

- إنشاء معرض القاهرة الدولى للكتاب.

- التوسع فى التعلم المجانى على كل المراحل.

- التوسع المطرد فى مجال الصناعات التحويلية حيث أنشأ أكثر من ٣٦٠٠ مصنع.

- التوسع العمرانى الكبير حيث أنشأ فى عهده عدة مدن وأحياء جديدة مثل مدينة نصر.

- إنشاء التنظيم الطليعى.

- جلاء القوات البريطانية عن مصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤.

- إنشاء جهاز المخابرات العامة المصرية عام ١٩٥٤.

(وفيما يتعلق بالقطاع الزراعى فى عهد ناصر)

فقد قامت الثورة باستصلاح ٩٢٠ ألف فدان، وتحويل نصف مليون فدان من رى الحياض إلى الرى الدائم، ما يصل بنا إلى مساحة مليون وأربعمائة ألف فدان.

(وفيما يتعلق بالقطاع الصناعى فى عهده)

فقد حدث تغيير جذرى فى الدخل والإنتاج القومى، فقد زادت قيمة الإنتاج

الصناعى بالأسعار الجارية من ٣١٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١١٤٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٥، ووصلت إلى ١٦٣٥ مليون سنة ١٩٧٠ وزادت قيمة البترول من ٣٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١٣٣ مليون سنة ١٩٧٠، ناهيك عن وفرة الطاقة الكهربائية، خصوصًا بعد بناء السد العالى.

(وفيما يتعلق بقطاع التعليم فى عهده)

فقد حدث تغيير شامل فى التعليم، وأن الثورة قد جاوزت نسبة ٧٥٪ فى الاستيعاب لمرحلة التعليم الإلزامى، وارتفع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من ١,٦ مليون إلى ٣,٨ مليون، وعدد تلاميذ المدارس الإعدادية، والثانوية من ٢٥٠ ألف إلى ١,٥٠٠,٠٠٠، وعدد طلاب الجامعات من ٤٠ ألف إلى ٢١٣ ألف.

(الإسلام فى عهد جمال عبدالناصر)

فى عهد الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) فقد تم زيادة عدد المساجد فى مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام ١٩٧٠، أى: أنه فى فترة حكم ١٨ سنة لرئاسته تم بناء عدد (عشرة آلاف مسجد) وهو ما يعادل عدد المساجد التى بُنيت فى مصر منذ الفتح الإسلامى، وحتى عهد عبدالناصر.

- جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح، أو الرسوب كباقى المواد لأول مرة فى تاريخ مصر، بينما كانت اختيارية فى النظام الملكى.

- تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله لجامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية.

- أنشأ مدينة البعوث الإسلامية التى كان وما زال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فدانًا تضم طلابًا قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون فى الأزهر مجانًا ويقيمون فى مصر إقامةً كاملةً مجانًا أيضًا، وقد زودت

الدولة المصرية بأوامر من الرئيس (عبدالناصر) المدينة بكل الإمكانيات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين فى الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب اهتمامه بالأزهر الذى قام بتطويره وتحويله إلى جامعة حديثة عملاقة تُدَرَّسُ فيها العلوم الطبيعية مع العلوم الدينية.

- أنشأ منظمة المؤتمر الإسلامى التى جمعت كل الشعوب الإسلامية.
- تم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم.
- تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التى تذيع القرآن على مدار اليوم كله.
- تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً على أسطوانات وشرائط للمرة الأولى فى التاريخ، وتم توزيع القرآن مسجلاً فى كل أنحاء العالم.
- تم تنظيم مسابقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية، والعالم العربى، والعالم الإسلامى، وكان (ناصر) يُوزع بنفسه الجوائز على حفظة القرآن.
- تم وضع موسوعة (جمال عبدالناصر) للفقه الإسلامى، والتى ضمت كل علوم وفقه الدين الحنيف فى عشرات المجلدات، وتم توزيعها فى العالم كله.
- تم بناء آلاف المعاهد الأزهرية والدينية فى مصر، وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر فى العديد من الدول الإسلامية.
- ساند (عبدالناصر) كل الدول العربية والإسلامية فى كفاحها ضد الاستعمار.
- كان أكثر حاكم عربى ومسلم حريص على الإسلام ونشر روح الدين الحنيف فى العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الناس.
- سجلت بعثات نشر الإسلام فى أفريقيا وآسيا فى عهده أعلى نسب دخول فى الدين الإسلامى فى التاريخ، حيث بلغ عدد الذين اختاروا الإسلام دينًا، بفضل بعثات الأزهر ٧ أشخاص من كل ١٠ أشخاص وهى نسب غير مسبوقة، وغير ملحوقة فى

التاريخ حسب إحصائيات الكنائس العالمى.

- صدر قانون بتحريم القمار ومنعه، كما أصدر قرارات بإغلاق كل المحافل الماسونية ونوادى الروتارى، والمحافل البهائية، كما تم إلغاء تراخيص العمل الممنوحة للنسوة العاملات بالدعارة التى كانت مقننة فى العهد الملكى، وتدفع العاهرات عنها ضرائب للحكومة مقابل الحصول على رخصة العمل والكشف الطبى.

- وصلت الفتاة لأول مرة إلى التعليم الدينى، كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات، وأقيمت مسابقات عديدة فى كل المدن لتحفيظ القرآن الكريم، وطبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم، وأهديت إلى البلاد الإسلامية، وأوفدت البعثات للتعريف بالإسلام فى كل أفريقيا وآسيا.

- تم طباعة كل كتب التراث الإسلامية فى مطابع الدولة طبعات شعبية، لتكون فى متناول الجميع، فيما يتم تسجيل المصحف المرتل لأول مرة بأصوات كبار المقرئين، وتم توزيعه على أوسع نطاق فى كل أنحاء العالم.

- كان (عبدالنصار) دائم الحرص على أداء الصلاة يوميًا مع زملائه، وموظفى مكتبه فى القيادة، كما كان دائم الحرص على أداء فريضة صلاة الجمعة مع المواطنين.

- ... (فهل كان عدو الله والإسلام، كما زعم الإخوان المسلمون؟) ....

- ... (وهل كان يمثل الثقافة الإسلامية العقيمة، كما زعم أحد الكتاب المنتمين إلى التنظيم السرى للإخوان المسلمين فى اليمن، وكأنه أراد القول زورًا وبهتانًا أن الإخوان بمنهجهم الظلامى ورصيدهم الإرهابى وأفكارهم المتطرفة وتاريخهم الدموى يمثلون الثقافة الإسلامية الخصبة؟) .....

كان (عبدالناصر) مسلمًا نقىَّ القلب، والتصرفات من غير تَصَنُّع، ولا افتعال، أو مظهرية، وكان متدينًا فى سلوكه اليومىّ، وحياته الخاصة، ولم يُعرفْ عنه فى حياته

العائلية خروج عن الإسلام، ويعرف المصريون جيدًا منجزاته، وأعماله التى استقرت فى ضمائرهم وعاشوها واقعًا ملموسًا، وعلى أساسها واصل بناء مصر الحديثة، مهما حاول الإخوان تشويه منجزاته تحت ستار الدين، ومهما حاول المتاجرون باسمه السكوت أمام هذه الهجمة القذرة التى يتعرض لها القائد الراحل من خلال ممارسة أرخص أنواع النفاق السياسي والتحالفات الانتهازية مع أعدائه التاريخيين الحاقدين، وتوفى عبدالناصر يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ والذى يوافق ٢٧ رجب ١٣٩٠ هـ، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها فى ذكرى يوم الإسراء والمعراج، وهو يومٌ فَضْلُهُ الدينىُّ عظيمٌ ومعروفٌ للكافةِ.

ويبقى القول: (إن عبدالناصر عاش من أجل خدمة وقضايا وطنه وشعبه وأمته، وكان مع الدين فى حياته الخاصة، والعامة، وضد كل من يُعادى الدين استغلالاً ونفاقًا وقتلاً وإجرامًا).

وهذه قصيدة نسجها الشاعر (عبدالرحمن الأبنودى) لِيَرُدَّ بِهَا على ما قاله الرئيس المعزول (محمد مرسى) فى خطابه الذى ألقاه فى ميدان التحرير بعد فوزه فى انتخابات الرئاسة، وقد كتبها الشاعر عام ٢٠١٠ وتداولها النشطاء على موقع التواصل مقطع فيديو بعنوان (الأبنودى يرد على مرسى ويرد اعتبار عبدالناصر) ليزود بها عن أسطورة عصره وزمانه، وبها يدغدغ مشاعر المصريين، ليحيى أجمل النسمات، والعبرات، والذكريات، لأيام عاشها الشعب المصرى وهى من أجمل أيام البطولة والفداء، وكانت أجمل أيامٍ تناغَم فيها الحب والعطف والحنان بين الرئيس ومرؤوسيه، فأبدع قائلاً:

من يمدحه يطلع خاسر

ويشبر وله ..... أيامه

يعيش جمال عبدالناصر

يعيش بصوته وأحلامه ... فى قلب شعوب عبدالناصر

مش ناصرى ولا كنت ف يوم

بالذات فى زمنه وف حينه

لكن المعفن وفساد القوم

نساتى حتى زنازينه ... فى سجون عبدالناصر

***

إزاى ينسينا الحاضر ..

طعم الأصاله اللى فى صوته؟

يعيش جمال عبدالناصر

يعيش جمال حتى ف موته ... ماهو مات وعاش عبدالناصر!!

***

إسمه جمال وجميل فعلا

ياما شفنا شجعان خوافه

عظيم . . وكان إنسان طبعا

المجد مش شغل صحافه ... علشان ده عبدالناصر

***

أعداؤه كرهوه ودى نعمه

من كرهه أعداؤه صادق

فى قلبه كان حاضن أمه

ضمير وهمه ومبادئ .. ساكنين فى صوت عبدالناصر

ملامحنا رجعت بعد غياب

دلوقت بس اللى فهمناه

لا كان حرامى ولا كذاب

ولا نهبها مع اللى معاه ... أنا باحكى عن عبدالناصر

***

عشنا الحياه وياه كالحلم

فلا فساد ولا رهن بلاد

يومها انتشينا ثقافة وعلم

وف زمنه ما عشناش آحاد ... كنا جموع فى زمن ناصر

***

كان الأمل فى حضرته بكر

مافيش لصوص للقوت والمال

ومصر أبطال ورجال فكر

ومثقفين ستات ورجال ... جيوش جمال عبدالناصر

***

كان الهلال فى قلبه صليب

ولا شفنا حزازات فى بلادنا

ولا شفنا ديب بيطارد ديب

ولا جرس خاصم مادنه ... وحدنا صوت عبدالناصر

دفعنا تمن الحريه

بدم مش بدينار ودولار

يوم وقفته (فى المنشية)

خلى الرصاص يهرب من عار .... أعداء جمال عبدالناصر

***

رغم الحصار كنا أحرار

وفى الهزيمه الشعب ماجعش

كان اسمها (بلد ثوار)

وقرار زعيمها ما بيرجعش ... قرار جمال عبدالناصر

***

خلى بلاده ... أعز بلاد

ليها احترام فى الكون مخصوص

لاشفنا وسط رجاله فساد

ولا خطط سمسرة ولصوص ... كان الجميع عبدالناصر

***

لولاه ما كنتوا اتعلمتوا

ولا بقيتوا (دراكولا)

ياللى انتو زعما وإنجازكو

دخلتوا مصر الكوكاكولا ... وبتشمتوا ف عبدالناصر

***

عمره ما جاع فى زمانه فقير

أو مالتقاش دوا للعله

دلوقت لعبة (اخطف طير)

والأمة فى خدمة شله ... تكره جمال عبدالناصر

***

يتريقوا على طوابيره

علشان فراخ الجمعية

شوفوا غيره دلوقت وخيره

حتى الرغيف بقى أمنيه ... يرحم جمال عبدالناصر

***

فيه ناس بتنهب وتسوف

لايهمها من عاش ، أو مات

ورضا العدو عنا يخوف

معناه أكيد إننا قفوات ... من يوم مامات عبدالناصر

***

الأرض رجعت للإقطاع

وقالوا: (رجعت لصاحبها)

وصاحبك الفلاح تانى ضاع

ضاعت العقود واللى كاتبها ... وخط إيد عبدالناصر

أنا أذكرك من غير ذكرى

والناس بتفتكرك بخشوع

الأمس واليوم ده وبكره

يبكوك بعظمه مش بدموع ... يكفى نقول: (عبدالناصر)

***

دلوقت رجعوا الفقرا خلاص

سكنوا حجورهم من تانى

رحل معاك زمن الإخلاص

وجه زمن غير إنسانى ... ماهوش زمان عبدالناصر!!

***

صحينا على زمن الألغار

يحكمنا فيه (أهل الأعمال)

وللعدو صدرنا الغاز

بفرحه وبكل استهبال ... نكايه فى عبدالناصر!!

***

بنمدها بغاز الأجيال

تحويشة الزمن القادم

إتوحشوا ف جمع الأموال

ورجعنا ساده ... وخوادم ... ضد اتجاه عبدالناصر

يا جمال ... نجيب زيك من فين

يانا ... يا ثورة ... يا ندهة ناى ...

البوسطجى ... اللى اسمه (حسين)

- أبوك - منين جابك؟ وازاى ... عمل جمال عبدالناصر؟!

***

لو حاكتبك ... ما تساع أقلام

ولا كلام غالى وأوراق

الأمر وما فيه أنا مشتاق

فقلت أمسى عليك وأنام ... نومة جمال عبدالناصر!!

المُلُوكُ بِجَانِبِهِ صِغَارًا :

أما العنصر الثانى، والذين يُطلقون عليهم الإخوان بالعسكر، فهو العسكرى الذى عنده من الوطنية ودمائها الحارُّ، ما تملأُ به شرايين الإخوانِ جميعًا ولا يوفونَ حقهُ، لأنه هو الفرد الجريُ فى قراراته، الذكيُّ فى توقعاته، الحكيمُ فى تصرفاته، الحريصُ على عِزِّ أرضه وتراب أوطانه، المحب العاشق لنسمات سماء أوطانه، ألا وهو رجل الحرب والسلام (محمد أنور السادات) اسمه يخلد فى التاريخ بحروف من نور، لأنه رجلُ المواقف الصعبة، ومفكك طلاسم العقد عقدةً عقدة، يقول عنه وزير الخارجية الأمريكى (هنرى كيسنجر) فى مستندات البيت الأبيض:

(كان رجلاً عظيماً يبدوا بجانبه الملوكُ صغارًا، وكان يحب الحديث بشكل عام، لكن عند الدخول فى العمل كان يصبحُ شخصيةً مختلفةً، تشعرُ أنك لم تعرفها أبدًا، وكان يحب التركيز فى المعلومات بدقةٍ متناهيةٍ، بل إن ضُبَاطًا بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

طَوَّرُوا بعدها طريقةً لعرضِ المعلوماتِ ظلت تُدَرَّسُ باسم السادات) وتسجل الوثائق الأمريكية السرية للسادات والرئيس الأمريكى (ريتشارد نيكسون)، فتكشف أنهم كانوا يتقربون من الرئيس السادات عن طريق مدة بالمعلومات وكما سجل (هنرى كيسنجر) قائلاً: (وَصَلْنَا لمرحلةٍ اعتقدنا أن السادات جَنَّدَنَا للعملِ لحسابهِ حتى الرئيس (ريتشارد نيكسون) وجدها طريقةً سهلةً لكسبِ وُدِّ السادات وثقته) ونعود لما سجلته الوثائق الأمريكية السرية عن تلك الزيارة الأولى (للسادات، لنيكسون) بعد أحداث مايو ١٩٧١ وقد شكر نيكسون عن المعلومات التى كشفت الانقلاب فى مصر، فضحك الرئيس الأمريكى وأكد للسادات الشغوف بالأسرار، أن هناك المزيد منها سجله تقرير سرى عن حرب ١٩٦٧، وراح نيكسون فى الحوار بينهما يستخدم الطريقة الأكيدة للتقرب من السادات، وكان قد بدأ حواره مع السادات قائلاً: (سأبدأ معكَ من ذكرياتٍ جسيمةٍ غير سعيدةٍ وقعت لِبَلَدِكَ مِصْرَ، بلاَ دَاعٍ) فصمت السادات بينما بدأ نيكسون يحكى له أن الرئيس (جمال عبدالناصر) ارتكبَ سِتَّةَ أَخْطَاءٍ سياسيةٍ خطيرةٍ معروفةٍ فى علوم استراتيجيات المواجهات العسكرية عرضت مصر للضربة الإجهاضية التى بدأت بها إسرائيل هجوم ٥ يونيو ١٩٦٧.

أولاً: (فى ١٦ مايو ١٩٦٧ بث إذاعة (صوت العرب) من القاهرة تصريحًا (لجمال عبدالناصر) رحب فيه بالحرب التى أكد أنها ستدمر إسرائيل وكانت الجملة الأخيرة من أخطر الجمل التى تستخدم فى استراتيجيات العرب).

ثانياً: (فى ١٨ مايو ١٩٦٧ طلب عبدالناصر من القوات الدولية إخلاء شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، فَنَفَّذَ السكرتير العام للأمم المتحدة يومها (يوتانت) الطلب دون تمريره على الهيئة الدولية).

ثالثًا: (فى ٢٠ مايو ١٩٦٧ أمر عبدالناصر بنقل ٩٠ ألف جندى مصرى إلى داخل

سيناء مع ٩٠٠ دبابة مصرية).

رابعًا: (فى ٢٣ مايو ١٩٦٧ أعلن الرئيس جمال عبدالناصر عن غلق مضايق التيران التى تسيطر عليها مصر فى وجه السفن الإسرائيلية وخنق إسرائيل فى البحر الأحمر).

خامسًا: (فى ٢٧ مايو ١٩٦٧ أعلن عبدالناصر فى إذاعة (صوت العرب) والتليفزيون المصرى أن الحرب مع إسرائيل ستكون شاملة وهدفها هو تدمير إسرائيل، وكان هذا التصريح الثانى الذى شمل جملة (تدمير)).

سادسًا: فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وَقَّعَ الرئيس جمال عبدالناصر مع الملك (الحسين بن طلال) ملك الأردن اتفاقية الدفاع المشترك وُضعت القوات الأردنية من صباح ذلك اليوم تحت قيادة رئيس الأركان المصرى)[1].

وقبل أن نستكمل الحوار الذى دار بين الرئيس المصرى (محمد أنور السادات) والرئيس الأمريكى (هنرى كيسنجر) لابد لنا أن نوضح من خلال واقع ملفات المخابرات المركزية الأمريكية أن الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) خُدِعَ فى الرادارات التى تعاقد عليها مع روسيا، ومن خلال معرفة الرئيس الأمريكى وعلمه من فريق الخبراء النفسيين أن السادات شخصية تعشق التعلم وأنه كان يبحث طيلة حياته على العلم والمعرفة، فقرر نيكسون أن يدخل إليه من هذا الباب فكان يرسل مستشاره للأمن القومى (هنرى كيسنجر) بملفات المعلومات التى كان يحتاجها (السادات) من آنٍ لآخر ودون أن يحجب عنه إلا بما يضر بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وطبقًا للمستندات الأمريكية كانت معظم الملفات التى طلبها السادات للاطلاع عليها ملفات عن حقائق وقعت فى الماضى كان السادات يسعى لفك طلاسمها، ولذلك لم يخش

(١) أسرار السادات، من واقع ملفات (منتهى السرية). فى المخابرات المركزية الأمريكية، للأستاذ / توحيد مجدى ص: (١٥٥-١٥٧).

(نيكسون) أن يكشفها له مقابل صداقته وثقته فى الإدارة الأمريكية، أما على الجانب الشخصى والإنسانى فكان نيكسون يعتبر السادات شخصية تاريخية لن تتكرر، وفى بداية أبريل ١٩٧٢ أرسل الرئيس نيكسون للقاهرة هنرى كيسنجر مستشاره للأمن القومى ليقابل الرئيس السادات كى يُناقش معه عددًا من النقاط الهامة فى العملية السياسية المتعثرة بالمنطقة، وفى نفس الوقت حَمَّلَهُ مَلَفًا خَاصًا (سرى للغاية) عن أسرار حرب يونيو ١٩٦٧ كان نيكسون قد نَوَّهَ للسادات عنه فى محادثةٍ هاتفيةٍ لوثائق أسرار السادات هدف نيكسون يومها تسهيل مهمة (كيسنجر) بالقاهرة، وكان الملف السرى بمثابة هدية معلوماتية للسادات ستكشف له مفاجآت خطيرة فى ماضى بلاده أهمها أن سبب نكسة يونيو ١٩٦٧ كان فى وحدة رادار روسية الصنع من طراز (بى - ١٠)، هذا الرادارُ الْغَبِىُّ كان عبارة عن وحدة كشف ومسح إليكترونية جوية محملة على شاحنة عسكرية صغيرة الحجم كان المفترض أنها من أعظم ما أنتجته الصناعات الروسية وقتها سلمتها وزارة الدفاع الروسية إلى الجيش المصرى بداية من عام ١٩٦٦، وكانت تلك الوحدة طبقًا لكتيبات تشغيلها تكشف أىَّ جِسْمٍ جَوِّىٍّ مهاجم يتعدى الخمسين كيلو مترًا مربعًا، وتعاقدت مصر يومها على ١٠ وحداتٍ كانت تكفى تغطية جبهة المواجهات العسكرية المعروفة آنذاك بين مصر وإسرائيل على طول ١٧٥ كيلو مترًا، وفى الحقيقة أثار ذلك الملف عند السادات ذكريات حضرها بنفسه على الهاتف من القاهرة حيث كلفه الرئيس (عبد الناصر) بمتابعة الوفد المصرى الرفيع الذى زار موسكو عام ١٩٦٦ لاستلام الوحدات دون أن يعرف السادات خفايا الزيارة أو سببها الحقيقى، وفى صيف عام ١٩٦٦ أقامت وزارة الدفاع الروسية فى موسكو (حفلاً سريًا) مهيبًا حضره الزعيم الروسى (ليونيد بريجينيف)، كما حضره معه (أندريه جريشكو) وزير الدفاع الروسى، وقد دعت وزارة الدفاع الروسية من الجانب المصرى يومها المشير (عبدالحكم عامر) وزير الحربية، والقائد العام للجيش المصرى، وفى الواقع تثبت الوثائق التى حصل عليها

الرئيس (السادات) يدًا بيد من (كيسنجر) فى أبريل ١٩٧٢ بالقاهرة أن تلك الوحدة كانت السبب الفعلى وراء قرارات الرئيس (جمال عبدالناصر) الست والتى أدت لهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، ومنها إخلاء سيناء من المراقبين الدوليين، وغلق قناة السويس، وغلق مضايق التيران، وتحريك القوات والقطع البحرية، لقد (وثق عبدالناصر) فى قدرة تلك الوحدة الأسطورية من الرادار الروسي وقدرتها على كشف الطائرات الإسرائيلية حتى قبل إقلاعها من مطاراتها، كما قالوا له عبر الهاتف، ولذلك قد تصرف بقوة، وبالتأكيد لم يتوقع الرئيس (عبدالناصر) يومها أن جملة واحدة مشفرة مكونة من ستة كلمات أرسلتها جاسوسة عملت لحساب الموساد الإسرائيلى فى شبكة السيدات سيئات السمعة التابعة (لصلاح نصر) فى القاهرة كان محتواها: (الرادار الروسى أعمى تحت ٥٠٠ متر) ستكون سبب نكسة ٦٧ وتفاخر إسرائيلى زائف بقوة غير حقيقية، والحقيقة أن الجاسوسة المصرية كل مَا وُجِدَ عنها من معلومات، أنها كانت فنانة مصرية شهيرة، ولأن المعلومات مصنفة على أنها محظورة، فلا نجد لتلك الفنانة المصرية اسمًا، أو أىَّ بياناتٍ محددةٍ فى الأوراق تمكننا من التكهن بشخصيتها ولو من قريب الشبه، والتفاصيل كما وقعت تكشف أن الزمان كان أحد ليالى شهر مايو صيف ١٩٦٧، أما المكان فهو شاليه يملكه (صلاح نصر) فى منطقة (صحارى سيتى) بالقرب من هضبة الأهرامات فى الجيزة، ويؤكد ما توفر من معلومات أن الفنانة المصرية التى اصطحبها (صلاح نصر) ليلتها فى ذلك الشاليه كانت ضمن عدد آخر من السيدات استغلهن صلاح نصر فى عمليات جنسية شاذة فى إطار عمليات الكنترول والسيطرة المخابراتية على عناصر أجنبية ومحلية) وفى الواقع مثبتٌ بوضوح أن صلاح نصر يجهل تمامًا عمل تلك الفنانة المصرية لحساب الموساد الإسرائيلى، وتشير الوثائق أنه كان لا يكشف عادة عند بداية تجنيده واختياره للسيدات فى مجموعته إلا عن ألوان ملابسهن الداخلية، ولذلك لم يتمكن من كشف عمالتها لإسرائيل، وخلال أحداث تلك الليلة الساخنة وفى لحظة ما رن جرس الهاتف،

فطلبت منه الفنانة الجاسوسة أن لا يردَّ، لكنه أكد لها أنه لن يأخذ سوى دقيقة، لأنه ينتظر تليفونًا هامًا وكان حظها أن تتعثر فى أغلى معلومة أُرسلت لإسرائيل من مصر منذ بداية انقلاب الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وحتى تلك الليلة الغريبة، وعلى الهاتف كان القائد العام للجيش (عبدالحكيم عامر) وقد كان صوته مرتفعًا فى حديثه مع (صلاح نصر) ولذلك كانت الجاسوسة تسترق السمع جيدًا وهى مستندةً بخنوعٍ على صدرهِ قريبةً من السماعة بينما (عامر) على الطرف الآخر لا يدرك ما يحدث على فراش (صلاح نصر) يَسِبُّ وَيَلْعَنُ وزارة الدفاع الروسية بدعوى أنها ضحكت على مصر وسلمتها رادارًا غَبِيًّا لا يرى تحت ٥٠٠ متر، وطبقًا لمعلومات الوثائق الأمريكية كانت الجمل واضحة للغاية والمفاجأةُ مدويةً بالنسبة لنا اليوم على الأقل، فالمشكلة كشفها أحد الطيارين المصريين المدربين فى الاتحاد السوفتيى وَيُدْعى (محمد حسنى مبارك)، وكان قد وقع فيها عن طريق الصدفة وهو يجرب رَدَّ فِعْلِ واستجابةِ الرادار الجديد، وفى نهاية الحوار طلب (عبدالحكيم عامر) من (صلاح نصر) الذى كان متوترًا أن يُوافيه فورًا من مكتبه بينما (صلاح نصر) يعتذر عن إفساد الليلة ويرتدى ملابسه ليلحق (بعبدالحكيم عامر) وكانت الجاسوسة فى تلك اللحظة ممددة على الفراش لا تريد أن تستر جسدها الذى كان سببًا فى التقاط آذانها أغلى معلومة فى تاريخ الحروب بين مصر وإسرائيل، وبعدها بساعةٍ واحدةٍ كانت الكلماتُ السِّتَّةُ قد وجدت طريقها إلى (تل أبيب) حتى قبل أن يُنهى (عبدالحكيم عامر) اجتماعه مع (صلاح نصر). فى ما تم بينهما فى اللقاء كان من اليسير على المخابرات الأمريكية أن تتوقعه، فقد قرر الاثنان يومها إخفاء الموضوع عن الرئيس (جمال عبدالناصر) وتلقين الطيار المصرى المذكور حتى لا يفتح فمه خشية أن يدفع أحدهما منصبه ثمنًا للمشكلة بعد أن كانا مسئولين معًا على التعاقد على هذا الرادار بعقدٍ ملزم طويل المدة، بالقطع يمكننا أن ندرك بوضوح سر شجاعة إسرائيل فى مهاجمة المطارات المصرية والعربية فى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧، فببساطةٍ لم يتطلب الهجوم الجوى

الإسرائيلى إلا رسم مسار جوى منخفض فوق مستوى سطح البحر، وخلال الجغرافيا المستوية فى سيناء، وقد طارت يومها الطائرات الإسرائيلية المهاجمة فى خطوط مستوية متعرجة على ارتفاعات لم تتخط حاجز الـ(٤٥٠ متراً) فوق سطح البحر، أو الأرض، وقبل أهدافها كانت تظهر فجأة فى شكل مُبَاغَتَةٍ هجومية ضد الدفاعات الأرضية المصرية والباقى سجلته أوراث تاريخ عدوان هذا اليوم الحقيقة كما سجل (هنرى كيسنجر) فى أوراقه الشخصية كان (السادات) مُتَأَلِّمًا للغاية لأنه تَذَكَّرَ أَنَّ إسرائيل نَفَّذَتْ بعدها فى ليلة ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ عمليةً مشابهةً هاجمت فيها جسر مدينة (قنا، ونجع حمادى بصعيد مصر)، كما تذكَّر عمليةً أخرى نَفَّذَتْهَا بعدها فى ليلة ٢٦ ديسمبر ١٩٦٩ عُرفت فى سجل العمليات الإسرائيلية بعملية (الديك الرومى - ٥٣) هاجمت فيها القوات الإسرائيلية الخاصة شواطى مدينة (رأس غارب) المصرية القريبة من البحر الأحمر، ونجحت يومها فى رفع وحدة رادار روسى من نفس أسرة الرادار الأول لكن طراز (بى -١٢) وذلك بواسطة الطائرات الأمريكية الصنع من طراز (سكور سى - ٥٣) العمودية العملاقة التى كانت تُجَرَّبُ لأول مَرَّةٍ يومها، وكان حزن (السادات) أن أحدًا من القادة فى القاهرة لم يهتم بتأمين ذلك الرادار، ولم يفهم خطورة ما حدث منذ البداية، وتكشف الوثائق أن (السادات) بعد أن أَتَمَّ قراءة الملف الأمريكى السرى شكر (كيسنجر) وطلب منه أن يشكر الرئيس (ريتشارد نيكسون) عندما يعود، وعندما سأله (كيسنجر) عن السبب ابتسم وصمت، وَطِبْقًا للأحداث المسجلة كان (السادات) قد اتخذ فى ١٨ يوليو ١٩٧٢ قراره بطرد الخبراء الروس من مصر، فكانت أُولَى خطوات خطة الخداع الاستراتيجى الكبرى التى صرفت نظر العالم عن أنه يفكر فى الحرب ثانية، إذ نجح (السادات) فى الضغط على (الروس) حتى قَدَّمُوا له فى مارس ١٩٧٣ صفقة أسلحة كُبْرَى اعتمد عليها فى بدء (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، أما أهم مَا تَعَلَّمَهُ (السادات) يومها من الملف الأمريكى السرى، فكان تغيير وتطوير مصادر أنواع المطارات المصرية ونشرها بعد تأمين مواقعها

جيدًا، وقد كان لقراره أعظم أسباب نجاح قوات الدفاع الجوى المصرى فى مواجهة القوات الجوية الإسرائيلية المعادية وردعها وإخراجها من معادلة الهجوم الإسرائيلى المضاد للعبور فى أول وأخطر وأهم ساعات التاريخ المصرى الحديث[1].

الْفَلاَّحُ الْمِصْرِىُّ الذَّكِىُّ:

ونعود أدراجنا سريعًا إلى تكملة الحوار الذى دار بين الرئيس المصرى (السادات) والرئيس الأمريكى (هنرى كيسنجر) كان يعتقد الرئيس (الأمريكى) قد حجبها عن (السادات) فيقول: (أعتقد أن اليوم أحمل لك أسرارًا أخرى حجبها عنك الرئيس (جمال عبدالناصر) عن قصة بدأت منذ عام ١٩٥٤)، فعاد (السادات) للصمت بينما (نيكسون) يفجر مفاجأة جديدة كما وعده، وهى أن الزعيم (عبدالناصر) كان بينه وبين إسرائيل محادثات جانبية غير مباشرة أشرفت عليها الولايات المتحدة الأمريكية فى سريةٍ تامةٍ بدأت قبل فترة (نيكسون) علمًا أنه تولى الرئاسة فى ٢٠ يناير ١٩٦٩ وحتى يوم وفاة (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وفى الواقع أن (السادات) كان فى شبه الصدمة، لأنه تولى منصب نائب الرئيس بدايةً من ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ وحتى وفاة (عبدالناصر) ومع ذلك لم يسمع نهائيًا عن تلك الاتصالات السرية التى انطلقت بين (عبدالناصر) و(إسرائيل) عقب سقوط شبكة (لافون بالإسكندرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٣)، وفى وثائق الجلسة توقف السادات وسأل (نيكسون) مباشرةً: (من أدارها من النظام المصرى؟) فرد نيكسون دون تفكير: (على صبرى)، فصمت السادات لحظات، وبعدها عاد يسأل نيكسون عن تلك المفاوضات، لأنه خَشِىَ أن يكون (عبدالناصر) قد تعهد فيها بشىء لأمريكا وإسرائيل، ربما لا يوافق هو عليه، ثم وجد فى الوثائق ملاحظة للرئيس (ريتشارد نيكسون) سجل فيها: (لقد تملكت السادات شخصية الفلاحُ المصرىُّ

(١) مختصر من المصدر السابق.

الذكىُّ فى هذه اللحظة، ولأننى أعرف أنه شخصٌ لديه ذَكَاءٌ أُسْطُورِىٌّ، فكنت قد طلبت نسخ عدد من الوثائق الهامة تثبت كل كلمة مما سأكشفه له وقد أعددت نسخًا، ليدرسها كما يشاء بعدما يعود للقاهرة)، وبالفعل كما توقع نيكسون استأذن الرئيس الأمريكى إذا كان يملك أى مستند عن تلك المفاوضات، فقدم له نيكسون الوثائق المؤيدة لكلامه، فتأكد السادات من المعلومات وعاد يسأل الرئيس الأمريكى عن الأسباب القوية التى دفعت الرئيس (جمال عبدالناصر) ببدء مفاوضات سرية مع إسرائيل؟، فَرَدَّ نيكسون على سؤال السادات مؤكدًا: (كانت أسباب عبدالناصر إنسانيةً بحتةً، فقد كان قَلِقًا على مصير عشرات الآلاف من جنود وضباط مصر الذين سقطوا أسرى لدى إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧) فطلب السادات منه أن يبدأ من البداية، وبالفعل بدأ نيكسون يحكى للسادات مؤكدًا له أن الرئيس الأمريكى الديمقراطى (ليندون جونسون) الذى تولى الرئاسة الأمريكية من ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣، وحتى ٢٠ يناير ١٩٦٩ كان على علم بتلك المفاوضات السرية، كما أن (عبدالناصر) أطلع على السِّرِّ صديقة (جوزيف بروز تيتو) الرئيس اليوغسلافى، وأنه شارك فى نفس السِّر (جواهر لال نهرو) رئيس الوزراء الهندى الأول، وأنهم توسطوا سِرًّا بين (ناصر، وتل أبيب)، أما القصة طبقًا لما سجلته وثائق أسرار السادات فقد بدأت فى مساء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٣ أمام سينما (ريو بمدينة الإسكندرية) عندما سقطت جواسيس فضيحة (لافون الشهيرة فى مصر)، وأن محاكمة جواسيس لافون الـ١٣ بدأت برئاسة اللواء (محمد فؤاد الدجوى) رئيس المحكمة العسكرية التى أصدرت حكمها فى القضية يوم (الخميس الموافق ٢٧ يناير ١٩٥٥) بإعدام كل من الدكتور (موسى مرزوق) و(شموئيل عازر) وقد نفذ الحكم فيهما فى سجن الاستئناف بباب الخلق فى فجر يوم ٣١ يناير ١٩٥٥ أما باقى الأحكام الخاصة بشبكة الجواسيس فكانت الأشغال الشاقة المؤبدة لكل من: (فيكتور ليفى) و(روبرت

داسا) وفيليب (نتاترون)، والسجن ١٥ عامًا على (مرسيل فيكتوزين نينو) المعروف أن حكمها كان أشد حكم من نوعه على سيدة مصرية حتى ذلك الوقت ومن بعدها بدأت محاكم الجنايات المصرية تغلظ العقوبات على السيدات، كما حكمت المحكمة يومها على كل من: (مائير زحفران) و(مائير ميوحاس) بالسجن لمدة ٧ أعوام، وقامت بتبرئة كل من إيلى نعيم و(تسزار كوهين) من التهم المنسوبة إليهما لعدم توافر الأدلة، وكعادته، ولأنه عاصر القضية انتظر (السادات) الجديد من المعلومات وهو ينظر بتفحص إلى الرئيس الأمريكى (ريتشارد نيكسون)، وهنا كشف (نيكسون للسادات) أن موضوع المفاوضات بدأ بعرض سرى قدمته (إسرائيل) (لعبدالناصر) مساء يوم الخميس الموافق ٢٧ يناير ١٩٥٥ بواسطة السفير الأمريكى الجديد يومها بالقاهرة (هنرى بيرود)، وراح نيكسون يحكى للسادات أن العرض كان فى شكل قرض إسرائيلى لا يُرد مدفوع بشيك دولى من حساب دولة إسرائيل، لدى الفرع الرئيسى لبنك (كريديت ليونيه) الفرنسى بباريس ضمنته واشنطن، وأن العرض الإسرائيلى بدأ فى مساء ٢٧ يناير ١٩٥٥ بمبلغ ٣٠ مليون دولار أمريكى رفعته تل أبيب بسبب رفض (عبدالناصر) خلال الأربعة أيام التالية أى: قبل تنفيذ حكم الإعدام فى ٣١ يناير على (موسى مرزوق، وشموئيل عازر) إلى ٣٠٠ مليون دولار أمريكى مع تعهد من السفير الأمريكى (لعبدالناصر) أن تحول بلاده قيمة العرض فورًا للقاهرة حال موافقة الرئيس (عبدالناصر) على إطلاق سراح الجواسيس، فضحك السادات وكأنه فهم سرًّا جديدًا عليه، فى الحقيقة (ضحك السادات)، لأن (نيكسون) كان يتحدث عن الحكم الذى صدر على مجموعة لافون، وهو نفس التوقيت الذى احتاج فيه (عبدالناصر) لمبلغ ٤٠٠ مليون دولار أمريكى لتشييد مشروع السد العالى، وقد ضحك أيضًا يومها على أساس أنه فوجئ أن إسرائيل عرضت يومها على (عبدالناصر) الاستغناء عن أية قروض أو مساعدات من الاتحاد السوفيتى،

أو البنك الدولى، أو غيره لتمويل مشروع السد العالى فقط مقابل الإفراج عن جواسيس عملية (لافون) ومع ذلك رفض عبدالناصر وَفَضَّلَ أن يستدين على أن يشترى السد العالى بحفنة من جواسيس إسرائيل الذين سقطوا فى فضيحة لافون، وكان السادات قد انتبه للقصة وبدأ يضحك بصوت مسموع قليلاً وهو يتعجب من عبدالناصر (الرجل والزعيم) وفى ١٣ يناير ١٩٦٨ كان كل جواسيس فضيحة لافون بمصر قد تجمعوا فى تل أبيب وفى نهاية عام ١٩٦٨ أرسل (عبدالناصر) لإسرائيل رفات الجاسوسين الدكتور (موسى ليتو مرزوق) و(شموئيل بخور عزرا) سرًّا إلى (تل أبيب) بعد أن استخرجت رفاتهما من مقابر اليهود بالقاهرة والإسكندرية، وتم أيضًا الإفراج عن العشرة جواسيس المتبقين فى سجون مصر من شبكة (لافون) مقابل مبادلة عدة آلاف من الجنود والضباط المصريين أسرى حرب ١٩٦٧ [١].

وفى التقرير المنسوب إلى السفير الأمريكى بالقاهرة (ألفريد إل. أثرتون) نجد فقرة ربما تقلب استراتيجيات كثيرة راسخة ونصها كالتالى: (مصر هى القاعدة الأسلسية للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهى الاستثمار الفعلى على الأرض للولايات المتحدة الأمريكية، بينما إسرائيل تمثل قسم الشرطة، أو وحدة الحراسة التى تحرس قاعدة المصالح الأمريكية).

وفى وثائق أسرار السادات تعترف الولايات المتحدة أن علاقاتهم معه كانت متوازنة (وأن السادات أجبر واشنطن طيلة الوقت على احترام سيادة قراراته التاريخية وتأكيد أمريكى رسمى حزين على أن مصر فقدت فى عملية اغتياله ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٦ أكتوبر ١٩٨١ زعيماً أسطورياً أحب مِصْرَ أكثر مما سجله التاريخ) [٢].

(١) مختصر من المصدر السابق.

(٢) أسرار السادات من واقع ملفات (منتهى السرية) فى المخابرات المركزية الأمريكية، للأستاذ توحيد مجدى ص: ٢٩٢.

السادات مع قادة حرب أكتوبر:

بعد وفاة الرئيس (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وكونه نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية، وقد اتخذ فى ١٥ مايو ١٩٧١ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى فى مصر وهو مَا عُرِفَ بثورة التصحيح، وفى نفس العام أصدر دستورًا جديدًا لمصر، وقام فى عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن ما يقرب من ١٧٠٠٠ خبير روسى فى أسبوع واحد، ولم يكن خطأ استراتيجى، ولم يكلف مصر الكثير إذ كان السوفيت عِبْءٌ كَبِيرٌ على الجيش المصرى، وكانوا من قُدامى العسكريين السوفيت، والمحالين على التقاعد، ولم يكن لهم أَىَّ دَوْرٍ عَسْكَرِىٍّ فِعْلِىٍّ خلال حرب الاستنزاف على الإطلاق، وكان الطيارين السوفيت برغم مهمتهم فى الدفاع عن سماء مصر من مطار (بنى سويف)، إلا أنهم كانوا قد فشلوا فى تحقيق المهمة بالكامل، والدليل على ذلك خسارتهم لـ(٦ طائرات ميج ٢١) سوفيتية بقيادة طيارين سوفيت فى أول وآخر اشتباك جوى حدث بينهم وبين الطائرات الإسرائيلية، والحقيقة التى يعرفها الكثيرون بأن إقدام السادات على هذا التخلى كان من خطوات حرب أكتوبر، حيث أراد السادات عدم نسب الانتصار إلى السوفيت، وكذلك من أهم الأسباب التى جعلته يقدم على هذه الخطوة هو أن الاتحاد السوفياتى أراد تزويد مصر بالأسلحة بشرط عدم استعمالها إلا بأمرٍ منه، حيث أجابهم (السادات) بكلمة: (آسف)، فلا أقبل فرض قرار على مصر إلا بقرارى وقرار الشعب المصرى، كما أن هؤلاء الخبراء الروس كانوا معيقين بالفعل للعمليات العسكرية المصرية خلال حرب الاستنزاف، وتم اكتشاف عدد منهم يتجسس لحساب إسرائيل بالفعل، وكان الضباط والجنود المصريين لا يتحدثون معهم فى أى تفاصيل عن العمليات الحربية، أو حتى عن التدريب، لقد كان تواجد هؤلاء الخبراء مجرد رمز على الدعم السوفيتى، ولعبة سياسية لا أكثر، وقد أقدم على قرار مصيرى له ولمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل، والتى بدأت فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس،

وبذلك فقد قاد مصر إلى أول انتصار عسكرىٍّ على إسرائيل.

* أهم الأعمال التى عمل بها وَنُسِبَتْ إليه:

- عمل مراجعًا بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨.

- عمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقه (حسن عزت).

- فى عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور (يوسف رشاد) الطبيب الخاص (بالملك فاروق).

- فى عام ١٩٥١ تكوّنت الهيئة التأسيسية للتنظيم السرى فى الجيش، والذى عُرِفَ فيما بعد تنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها، وتطورت الأحداث فى مصر بسرعة فائقة بين عامى ١٩٥١-١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦، وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير فى يناير ١٩٥٢، وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

- وفى ربيع عام ١٩٥٢ أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة.

- وفى ٢١ يوليو ١٩٥٢ أرسل (جمال عبدالناصر) إليه فى مَقَرِّ وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة فى ثورة الجيش على الملك والإنجليز، وقامت الثورة، وأذاع بصوته بيان الثورة، وقد أُسْنِدَ إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك (فاروق) بعد الثورة.

- فى عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة بجريدة الجمهورية، وَأُسْنِدَ إليه رئاسة تحرير هذه الجريدة.

- وفى عام ١٩٥٤، ومع أول تشكيل وزارى لحكومة الثورة تولى منصب وزير دولة وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٤.

- انْتُخِبَ عُضْوًا بمجلس الأمة عن دائرة (تلا منوفية)، ولمدة ثلاث دورات، ابتداءً من عام ١٩٥٧، وكان قد انتخب فى عام ١٩٦٠ رئيسًا لمجلس الأمة، وكان ذلك

فى الفترة من ٢١ يوليو ١٩٦٠، إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٦١، كما انتخب رئيسًا لمجلس الأمة للفترة الثانية من ٢٩ مارس ١٩٦٤، إلى ١٢ نوفمبر ١٩٦٨، كما أنه فى عام ١٩٦١ عُيِّنَ رئيسًا لمجلس التضامن (الأفرو - آسيوى).

- فى عام ١٩٦٩ اختاره (جمال عبدالناصر) نَائِبًا لَهُ، وظل بالمنصب حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وبعد وفاة الرئيس (جمال عبدالناصر) فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وكونه نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية.

أهم أعماله:

من أهم الأعمال التى قام بها (السادات) قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التى بَشَّرَتْ بها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذى اتخذه بعام ١٩٧٦ بعودة الحياة الحزبية، حيث ظهرت المنابر السياسية، ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حِزْبٍ سِيَاسِيٍّ وهو الحزب الوطنى الديمقراطى، كأول حزب بعد ثورة يوليو وهو الحزب الذى أسسه وترأسه، وكان اسمه بالبداية (حزب مصر)، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى، كحزب (الوفد الجديد) وحزب (التجمع الوحدوى التقدمى)، وغيرها من الأحزاب، وبتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الذى سبب ضجة بالعالم بزيارته للقدس وذلك ليدفع بيده عجلة السلام بين (مصر، وإسرائيل)، وقد قام فى عام ١٩٧٨ برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض، وتحقيق السلام، كمطلب شَرْعِيٍّ لكل إنسانٍ، وخلال هذه المرحلة وَقَّعَ اتفاقية (السلام) مع (كامب ديفيد) برعاية الرئيس الأمريكى (جيمى كارتر)، وقد وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كُلٍّ من الرئيس الأمريكى (جيمى كارتر) ورئيس الوزراء الإسرائيلى (مناحم بيجن) والاتفاقية هى عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقين:

الأولى: إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل.

الثانية: خاصة بمبادئ السلام العربى الشامل فى الضفة الغربية وقطاع (غزة والجولان).

وقد انتهت الاتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩، والتى عملت إسرائيل على إثرها إرجاع الأراضى المصرية المحتلة إلى مصر، وقد حصل على جائزة (نوبل للسلام) مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى (مناحم بيجن) وذلك على جهودهما الحثيثة فى تحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط، ولم تكن ردود الفعل العربية إيجابية آنذاك لزيارته لإسرائيل، وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها فى الجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس العاصمة، وكان ذلك فى القمة العربية التى تم عقدها فى بغداد بُنَاءً على دعوةٍ من الرئيس العراقى (أحمد حسن البكر) فى ٢ نوفمبر ١٩٧٨، والتى تمخض عنها مُنَاشَدَةِ الرئيس المصرى للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل، مما سيلحق الضرر بالتضامن العربى، ويؤدى إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها فى الحياة العربية، وانفرادها بالشعب الفلسطينى، كما دعى العرب إلى دعم الشعب المصرى بتخصيص ميزانية قدرها (١١ مليار دولار) لحل مشاكله الاقتصادية، إلا أنه رفضها مفضلاً الاستمرار بمسيرته السلمية المنفردة مع إسرائيل، وقد أقدمت الدول العربية على قطع علاقتها مع مصر، باستثناء (سلطنة عمان، والسودان) وقد اعتبر كثير من الباحثين أن هذا القرار كان مُتَسَرِّعًا وغير مدروس، وكان فى جوهره يُعَبِّرُ عن التطلعات المستقبلية للرجل الثانى فى العراق آنذاك (صدام حسين)، لكن سُرعان ما عادت الجامعة العربية لجمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩، وبحلول خريف عام ١٩٨١ قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية، ومسئولى الكنيسة القبطية، والكتاب، والصحفيين، ومفكرين يساريين، وليبراليين، ووصل عدد المعتقلين فى السجون المصرية إلى ١٥٣٦ معتقلاً، وذلك على إثْرِ حدوث بوادر فتنٍ واضطراباتٍ شعبيةٍ رافضةً للصلح

مع إسرائيل، ولسياسات الدولة الاقتصادية، وفى ٦ أكتوبر من العام نفسه (بعد ٣١ يوم من إعلان قرارات الاعتقال)، تم اغتياله فى عرضٍ عسكرىٍّ كان يُقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بقيادة عملية الاعتيال (خالد الإسلامبولى) التابع لمنظمة الجهاد الإسلامى التى كانت تُعَارِضُ بِشِدَّةٍ اتفاقية السلام مع إسرائيل، ولم يَرْقَ لها حملة القمع المنظمة التى قامت بها الحكومة فى شهر (سبتمبر)، وجاء اغتيال (السادات) بعد أشهرٍ قليلةٍ من حادثة مقتل المشير (أحمد بدوى)، وبعض القيادات العسكرية فى تحطم طائرته الهليوكبتر بشكلٍ غامضٍ جِدًا، مما فتح الشكوك حول وجود مؤامرة.

لقد عاش (أنور السادات) عمره كله من أجل مصر، ولم يبخل عليها يومًا بلحظةٍ من عمره، ولا قطرةٍ من دمه، وهبها حياته وفكره، لِذَا كانت (مصر) تعيش أبدًا فى وجدانه، ورحلة كفاح الرئيس (السادات) صورةٌ نابضةٌ بالحب لشعبه، ووطنه، كما سَطَّرَهَا التاريخُ مُنْذُ مولده بميت أبو الكوم، وتدرجهُ فى التعليم حتى تخرج ضابطًا فى الكلية الحربية ودخوله السجن، ودوره البارز فى ثورة يوليو، وتقلده العديد من المناصب إلى أن تولى رئاسة الجمهورية ليحقق لبلاده أروع الإنجازات [1].

وفى فبراير ١٩٨١ يصل (السادات) إلى أوربا فى زيارة لعدة دولٍ أوربيةٍ، ويقدم سِرًّا لرئيسة الوزراء (مارجريت تاتشر) تقريرًا أمنيًّا به معلومات خطيرةٍ كشف فيها الرئيس (السادات) أَنَّ حياتُه فى خطرٍ، فوعدته تاتشر أَنْ تُسَاعِدَهُ أَمْنِيًّا، وفى نفس الزيارة كُشِفَ عن سِرٍّ آخَرَ من أسرار السادات، فنجد اعترافًا أمريكيًّا صريحًا، وهو: (أنهُ ظَلَّ طوال رئاسته لمصر يرفض الطلبات الأمريكية، لإقامة قواعد عسكرية أمريكية داخل شبه جزيرة سيناء، وتوثق المستندات أن (واشنطن) عرضت عليه ١٠ مليارات دولار أمريكى سنويًا معونةً ثابتةً لاَ تُرَدُّ لمصر، لإنعاش اقتصادها المتدهور، لكن (الرئيس السادات)

(١) شبكة الإنترنت.

فَضَّلَ الصعوبات التى واجهت نظامه، ورفض منح الأمريكيين موافقته على إنشاء أَىَّ قواعد أمريكيةٍ رسميةٍ ثابتةٍ، لكن الوثائق لا تنفى أنه وافق على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية عسكريًّا، لكن كما سجلوا بأنفسهم فى حدود السيادة المصرية).

رحل الرئيس البطل الشهيد (محمد أنور السادات) وقبل أن يرحلَ سافرَ للبيت الأبيض فى آخِر رحلةٍ له لواشنطن بِدْءًا من ٤ أغسطس ١٩٨٠ حيث قابل رئيسها (رونالد ريجان) وفى اللقاء أخطر الإدارة الأمريكية، بأنهُ يشعرُ أنها آخر زيارةٍ لهُ، ويقول الكاتب: ولا يمكننا أن نختم رحلتنا مع وثائق (أسرار السادات) إلا بعد أن نتوقفَ طويلاً بالفحصِ والدرسِ، أمام خِطَابٍ هَامٍّ نجدهُ مُفَصَّلاً للرئيسِ الراحِلِ (محمد أنور السادات) احتفت به الوثائق بشكل ملحوظ، قال فيه رحمةُ اللهِ عَلَيْهِ:

(وكنتُ واثقًا أنهُ سوفَ يجئُ يومٌ تظهرُ فيه الحقيقةُ لغيرى، كما كانت ظاهرةً لى .. وحين تظهرُ الحقيقةُ، فإنَّ الناسَ سوفَ يعرفونَ، وسوفَ يقدرونَ، وأحمدُ اللهَ .. لَكِنَّنِى أردتُ كَمَا قُلْتُ لكم وللأمةِ مِرَارًا وَتِكْرَارًا أَنَّ ذَلِكَ قَدَرِى، وَأَنَّنِى حَمَلْتُهُ عَلَى يَدِى، عَاهَدْتُ اللهَ وَعَاهَدْتُكُمْ، وَحَاوَلْتُ مُخْلِصًا أَنْ أَفِى بِالْوَعْدِ مُلْتَمِسًا عَوْنَ اللهِ)[1].

أهم إنجازات الرئيس (محمد حسنى مبارك):

الشخصية الثالثة، والتى سيطرت على الساحة السياسية أكثر من ثلاثين عامًا، ألا وهو الرئيس (محمد حسنى مبارك) وبالرغم من أن يديه، وأيدى أولاده (جمال وعلاء) وأيدى بعض وزراءه تلوثوا بالفساد المالى، وقد تسببوا فى تدهور الأحوال الاقتصادية على مدى ما يقرب من ثلثِ دَهْرٍ من الزمان إلا أنه فى الوطنية وحب تراب بلاده سلك مسلك سَلَفَيْهِ على ذلك الضرب ورفض بناء قاعدة أمريكية على أرض مصر، ولم يفرط فى

(١) أسرار السادات، من واقع ملفات (منتهى السرية) فى المخابرات المركزية الأمريكية للأستاذ/ توحيد مجدى (ص: ٣٣٨-٣٣٩).

حَبَّةِ رَمْلٍ من رمال سيناء لأعداء مصر ومن يوالوهم، وقد ذكرنا ذلك سابقًا، وإن كانت هذه فقطٌ فكفى، وإليك عزيزى القارئ بعضًا من أهم إنجازاته خلال فترة رئاسته:

- شبكة مترو أنفاق القاهرة والجيزة، أفضل شبكة فى أفريقيا.
- تطوير مطار القاهرة الدولى، ليصبح أفضل مطار فى أفريقيا.
- مستشفى سرطان الأطفال ٥٧٣٥٧ يعتبر أكبر مستشفى سرطان للأطفال فى العالم.
- جسر مبارك السلام أعلى جسر فى الشرق الأوسط.
- ست طائرات بوينج (٧٧٧-٣٠٠) أكبر طائرة فى أفريقيا.
- القرية الفرعونية.
- الشركة المصرية لصناعة المواسير ولوازمها (أكوافلو) أكبر شركة فى هذا المجال فى الشرق الأوسط.
- بناء دار الأوبرا المصرية.
- استصلاح أكثر من ٣ ملايين فدان لتصل إجمالى الأرض الزراعية ٩ مليون فدان.
- تطوير ميناء الإسكندرية، ليصبح أهم وأفضل ١٠ موانئ فى العالم وهو يبلغ ٦٠٪ من إجمالى التجارة فى مصر.
- السيادة الكاملة على سيناء.
- المكتبة المركزية لجامعة القاهرة، وتسع مليون كتاب، وهى من أكبر المكتبات فى مصر.
- بناء مكتبة الإسكندرية، لتكون أكبر مكتبة فى أفريقيا والشرق الأوسط.
- ترميم وإصلاح وتطوير برج القاهرة، وإعطائه لمسة معمارية متميزة.
- معهد جراحات القلب.
- استاد برج العرب أكبر استاد فى إفريقيا، والشرق الأوسط يسع ٩٠ ألف متفرج.

- مجمع الصالات المغطاة أفخر، وأكبر، وأفضل مجمع صالات فى أفريقيا، والشرق الأوسط وتعتبر الثالثة على مستوى العالم.

- إسكان مبارك للشباب.

- كوبرى ٦ أكتوبر أكبر كوبرى فى الشرق الأوسط وأفريقيا.

- طريق طابا.

- الفنادق والقرى السياحية الفاخرة، وتضاعف عدد السائحين فى مصر.

- اكتشاف المئات من الآثار، وترميم الكثير منها أيضًا، ومضاعفة عدد السياح فى تلك الفترة، بشكل غير عادى.

- شبكة بنية تحتية هائلة، ليدل على مضاعفة السياحة فى مصر.

- عودة العلاقات مع الدول الإسلامية والعربية، وعودة مقر الجامعة العربية للقاهرة.

- إقامة علاقات دولية متميزة، مكنت من إسقاط نصف مديونية مصر الخارجية.

- إعادة إحياء القمم العربية بعد انقطاعها منذ الغزو العراقى للكويت بدعوة من مصر عام ١٩٩٦، وتقنين دورة انعقاد القمة بمبادرة منها.

- قيادة مصر فى دعم القضية الفلسطينية عربيًا ودوليًا، ومساندة الشعب الفلسطينى فى مواجهة الاحتلال، وتأمين حقوقه المشروعة وصولاً إلى قيام دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس.

- التصدى بحسم وبقوة القانون، وبتضامن الشعب لقوى الإرهاب، لضمان استقرار الوطن وتقدمه.

- تدعيم العلاقات مع الاتحاد الأوروبى تحقيقًا للتوازن فى سياسات مصر الخارجية،

وإبرام اتفاقية الشراكة الأوروبية.

- إنشاء محاكم الأسرة.

- إقرار حق الخُلْع للمرأة المصرية.

- ضمان تنفيذ أحكام بإنشاء صندوق لتأمين الأسرة.

- المساواة بين الأب والأم المصرية فى حق منح الجنسية للأبناء

- التوسع فى المناصب القيادية للمرأة.

- حرية التعبير والرأى من خلال ٥١٥ صحفية تعمل فى مصر، منها ٤٨ صحفية حزبية.

- زادت قيمة الصادرات الزراعية من نحو ٥,٠ مليار جنيه، لتصل لنحو ٧ مليارات، و٣ ملايين فدان مستصلحة، لتصل بالرقعة الزراعية إلى ٨,٣ مليون فدان.

- حرية الفلاح المصرى فى زراعة وتسعير إنتاجه.

- تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر.

- زيادة قيمة الإنتاج الزراعى بحوالى ١٦ مرة من نحو ٨,٥ مليار جنيه إلى ما يقرب من ٩١ مليار جنيه.

- زيادة دعم المعاشات بـ٢٢ ضعفًا من ٥٥٤ مليون جنيه، إلى ١١ مليار جنيه.

- وصل معاش الضمان الاجتماعى، ومعاش الطفل إلى نحو مليار جنيه.

- زاد عدد المُؤَمَّنِ عليهم من نحو ١٠,٣ مليون مواطن إلى ١٩ مليون مواطن.

- زيادة الإنفاق على الدعم المباشر على السلع والخدمات من ٢ مليار جنيه إلى ٣٥,٤ مليار جنيه.

- زيادة دعم السلع التموينية من مليار جنيه إلى ١٠ مليارات جنيه.

- زيادة دعم المنتجات البترولية من ١٠٠ مليون جنيه إلى أكثر من ٢٢ مليار جنيه.

- ٤٠ مليون مواطن يستفيدون من البطاقات التموينية.

- تحول رصيد الميزان التجارى من عجز قدره ٢,٣ مليار دولار إلى فائض بلغ ٣,٧ مليار دولار.

- زادت قيمة الصادرات الصناعية (بدون البترول ومنتجاته) من نحو ٥,٠ مليار دولار إلى نحو ٦,٦ مليار دولار.

- زادت إيرادات قناة السويس من نحو ٩٠٩ ملايين دولار إلى ٣,٤ مليار دولار.

- تضاعفت قيمة الصادرات إلى دول الاتحاد الأوروبى فى الست سنوات الأخيرة ووصلت إلى نحو ٢,٧ مليار دولار.

- تضاعف إنتاج الغاز الطبيعى منذ بداية التسعينات ليصل ٢٣,٦ مليون طن.

- تضاعف احتياطى الغاز الطبيعى أكثر من أربع مرات منذ بداية التسعينات ليصل إلى ٦٥ تريليون قدم مكعبة.

- توقيع بروتوكول إنشاء المناطق الصناعية المؤهلة، لتسهيل نفاذ كافة المنتجات المصنعة بهذه المناطق إلى السوق الأمريكية، بدون تعريفة جمركية، أو حصص حكومية، أو غير ذلك من قيود.

- بناء جيش قوى قادر على حماية البلاد[1].

كل مَا ذُكِرَ سَابِقًا لمن يجهلون تاريخ الرئيس (مبارك) ومن معه، ومن حوله من قيادات، وبالرغم ممن لُوِّثَتْ أيديهم بالفساد المالى، فكل ذلك يهون مالم تلوث أيديهم بالقتل، وحرق المنشآت، وخيانة الأوطان، أو بالتفريط فى حبة رَمْلٍ وَاحِدَةٍ من رمال

(١) شبكة الانترنت.

أوطاننا الغالية، فَتَفْنَى الْأَنْفُسُ، والأموالُ والأبناءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ من متاعِ الدنيا الزائلِ، وَتَعِيشُ مِصْرَ، وَتَعِيشُ مِصْرَ، وَتَعِيشُ مِصْرَ.

الصَّامِتُ الذَّكِيُّ، وَالشُّجَاعُ الْأَبِيُّ:

أنواع الرجال متفاوتة، ومواقفها تُوافق تكوين الشخصية وما اندرجت عليه من سُلوكيات تأصلت فيه وتعلمها من خلال احتكاكه مع أقرانه، أو أصدقائه، فانطبعت فى تكوينه، فأصبح يعيش عليها ويتأثر بها، فهناك أُنَاسٌ يتكلمون بأعينهم، وابتساماتهم، وَتَأَمُّلَاتِ، أو حركات وجوههم، وهذه الشخصية من هؤلاء لا يتكلمون إلا عند الضرورة القسوى، فإذا تكلموا فعلوا، وجاز فى وصفهم الرجال الأشداء، وهناك نوعية من الرجال يتكلمون ويعملون، فإذا تكلمَ، أَوْ تَوَعَّدَ وَفَى، وهذه النوعية من الرجال لا يتكلمون إلاَّ حَقًّا، ولا يتلونون بحسب المواقف، واتجاهاتها، ولا يخونون، ولا يغدرون، ولا يتوجهون لأى وجهة لا ينتمون إليها، وولائهم يكون لأوطانهم كَالزَّعِيمَيْنِ الْخَالِدَيْنِ (عبدالناصر، والسادات) أما الشخصية الثالثة والتى اندرجت، وتعودت على الكلام، بِلَا جَدْوَى، فهؤلاء هم الثَّرْثَارُونَ، والمتنطعون، والمتفيهقون، والمتشدقون، الذين يتكلمون بما لا يفهمون، وهؤلاء أمثالهم كثيرٌ، وَيُسَمَّونَ فى قرى مصرى (الْهَجَّاسُونَ)، أو كما قال المثل الدارج: (كَثِيرُ الْكَلَامِ، قَلِيلُ الْعَمَلِ)، وأما الشخصية لرابعة، فهى شخصيةٌ يَرْتَسِمُ على وجهها الجلالُ، والوقارُ، فإذا رأيتهم تمنيت أن تقترب منهم، وتتعامل معهم، بل وَتَتَوَدَّدَ إليهم، وَلَكِنَّ المفاجأة الكبرى أنك إذا اقتربت منهم، وتعاملت معهم، ودار الحوار بين أيديهم وجدتهم كأطفالٍ صغارٍ فى تصرفاتهم، والكلمات تخرج من أفواههم، كأطفالٍ يقذفونك بالحجارة فى أى اتجاه، وأما الشخصية التى نتناولها بين أيدينا الآن وهى شخصية الصَّامِتُ الذكِيُّ، والشجاعُ الْأَبِيُّ، ألا وهو معشوق كل المصريين، وقاهر من يسيرون فى الظلام، أمثال الشياطين، الفريق أول (عبدالفتاح سعيد السيسى)، والذى أصبح يتردد اسمه على ألسنة كل المصريين، من مُحِبِّينَ،

وَحَاقِدِينَ، لأن الْـمُتصَدِّى للباطلِ، الْمُتَمَسِّكُ بالحقِ، كَثُرَ حُسَّادَهُ، وحاقديه، وقد ظهر على هذا الرجل من مواقفه السياسية، والإنسانية، أنه قليل كلامه، وكثير فعله، ولا يتكلم إلا نادرًا، ولا يتكلم إلا حقًّا، وإذا تكلم، فكلامه صدقٌ، وإذا فعل، ففعله حقٌّ، لا يراوغُ، ولا يداهنُ، ولا يتلونُ بتلونِ المواقفِ والاتجاهاتِ، وهذه الشخصية وكأنها درست، وتعلمت من الزعيمين الخالدين (عبدالناصر، والسادات)، فأخذت من الأول الصرامة، والشجاعة، والقوة، والتصدى للباطل مهما أن كلفها ذلك، لأنها تضع رقبتها على كَفِّهَا، ولا تخاف على حياتها، مهما تصدى لها المتجبرون، والمتوعدون، والمتشدقون، وأخذت من الثانى الْحُنْكَةِ السياسيةِ، والهجوم على الخصم بعد الصبر عليه، ومحاورته بالحسنى، واللين معه فى كل الاتجاهات، فإذا فشلت مساعيه هجم عليه بعد الصبر، وهذا ما فعله (السيسى) مع الرئيس المعزول وحزبه وأنصاره ومؤيديه، لأنه ما اهتم بالتهديدات ولا وضع اعتبارًا للمتفجرات، ولا أىَّ سبيلٍ يُثنيه عن التحديات، طالما أن ذلك كله فى مصلحة الوطن والمواطنين، وقد ظهر ذلك واضحًا جليًا فى القضاء على إرهاب جماعة الإخوان، فأظهر عوارهم، وأقمع إرهابهم، وأفلسهم أمام جميع المصريين، وأظهر للناس جميعًا مدى خيانتهم لأوطانهم، فالناس تهتف لثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ونحن نؤيد ذلك، ولكن الحقيقة تشير بأن الفضل لله أولا، ثم الجيش والشرطة وتصديها لجبروت الإخوان، فلو تظاهر غالبية شعب مصر، ولو سُدَّتْ بالمتظاهرين شوارع القاهرة، مَا أُجْبِرَ الإخوان على التنازل عن الحكم، ولكن إرادة الجيش هى التى أجبرتهم على ذلك، ولذلك أصبح العداء الشديد على الجيش والشرطة، فكل هذه الآلاف من الإخوان عداؤها فى شخص الفريق أول (عبدالفتاح السيسى) ولمن يُعاونوه، أو يؤيدوه، أو يعضدوه، لأنه هو الذى أجهض مخططاتهم فى سرقة مصر، أو بالأحرى فى التنازل عن مصر، لأمريكا، وحماس، وتركيا، وإيران، ولذلك قد ظهر الْكُرْهُ واضحًا جليًا فى شخصه وفى اسمه، وقد اتخذت الناس بل وغالبية الشعب المصريِّ أغنية (تسلم الأيادى، تسلم يا جيش بلادى) سِمَةً فى أفراحهم، وما من فرح من غير الإخوان يمر إلا وهذه الأغنية

تتردد على ألسنة المطربين، ويرددها معازيم الفرح، أو المدعووين، لأن هذه الأغنية أشبعت رغبة المصريين، كما أشبعتهم قبل ذلك فى أيام الزعيم الخالد (جمال عبدالناصر) وقد حانت اللحظة لتنسم نسيم الوطنية فى تلك الأغنية:

نَاصِرْ كُلَّنَا بِنْحِبَّكْ
نَاصِرْ يَهَا نِفْضَلْ جَنْبَكْ
نَاصِرْ ونْعِيشْ وَنْقُولَّكْ
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ
نَاصِرْ وَانْتَ اللِّى حَامِتْنَا
نَاصِرْ وَبَنِيتْ وِحْدِتْنَا
نَاصِرْ وَجَمَعْتِ صُورِتْنَا
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ
نَاصِرْ رَايْتَكْ عَرَبِيَّهْ
نَاصِرْ وَالْخَطْوَا لْجَايَّهْ
نَاصِرْ عَ الصُّهْيُونِيَّهْ
نَاصِرْ يَا حَبِيبِ الْكُلِّ يَا نَاصِرْ

فهذه الأغنية كما كانت تملأ صدور المصريين فى الستينات بنسيم العزة، والوطنية، والشموخ والكبرياء، كذلك فعلت مثيلتها (تسلم الأيادى) فى القرن الحادى والعشرين لأنهما ارتبطا بمشاعر جياشة تدل على حب الوطن، وحب زعماء الوطن، ولكن هناك أناس فى شخص الإخوان يفسدون أفراح المصريين، فيريدون أن يقتلوا بهجتهم فى صدورهم، فإذا تغنى الناس فى أفراحهم قام الإخوان ومن يوالوهم بحديدهم

وقديدهم، وأسلحتهم على أصحاب هذا الفرح ومن معهم بالتعدى عليهم وتحويل هذه الأفراح إلى أحزان، أما إذا وجد الإخوان القوة والحسم فى القائمين على تلك الأفراح انسحبوا مقهورين مرددين (تتقطع الآيادى) بغلٍّ وحقدٍ منقطع النظير، وإليك عزيزى القارئ ما يدل على الأكثر من ذلك أن حلاقًا يُدْعَى (السيد مصطفى محمد على خضير) ٣٩ سنة، وشهرته (السيد اللورد) يقطن فى حى الزهور ببور سعيد، قتله أحد المنتمين لجماعة الإخوان، لأنه قام بتعليق صورة (السيسى) على واجهة المحل، فقام القاتل واسمه (مصطفى فاروق خضر) ملتح من سكان حى السيدة خديجة ببورسعيد، وطرق غرفة نوم القتيل المطلة على الشارع بالدور الأرضى بعد صلاة الفجر، واستدعى القتيل بألفاظٍ نابيةٍ وقال له: (اصحى قطعت لك صورة السيسى) اللى أنت حاططها على المحل، وتعال شوف بنفسك، وعند خروج القتيل ليستوضح الأمر، طرحه الإخوانىُّ أرضًا، وأوسعه ضربًا وطعنًا، ولم يتركه إلا جثةً هامدةً، صارخًا: (ده جزاء من يرفع صورة السيسى) وتبكى الزوجة وهى تنظر إلى ولديها (ياسمين ١٠ سنوات) و(مصطفى ١٢ سنة) اللَّذَيْنِ أصبحا يَتِيمَيْنِ على يد الإخوانى، ويضيف الأب قائلاً: (الكافر قتل ابنى بعد صلاة الفجر، وهو يصرخ حى على الجهاد)، ثم يقول متسائلاً: هل قتل ابنى جهاد؟ وتابع قائلاً: دم ابنى فى رقبة (السيسى) فهو نصيرنا بعد الله، ونحن نعشقه، وأملنا فيه كبير، مضيفًا: أخطأنا بانتخاب مرسى، فيما رفعت الأم وأبناؤها صورة (السيسى) الممزقة، وانهمروا فى نحيبٍ طويلٍ[1].

والضحية الثانية فى حب (السيسى) أيضًا من محافظة الدقهلية، حيث قامت جماعة الإخوان بذبح سائق سيارة أجرة بالمنصورة مساء الاثنين ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م خلال مظاهرة لأعضاء الجماعة بالمحافظة، ويدعى (محمد جمال الدين بدير) من مدينة

(١) جريدة الوطن، الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥هـ ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م، السنة الثانية – العدد (٥٩٦) ص: ١.

(سندوب) حيث قام الإخوان بسحله، وطعنه ٩ طعنات بأسلحة بيضاء، وإشعال النيران فى سيارته بسبب محاولته المرور أثناء تنظيمهم مسيرة بشارع الجيش، واستمعت النيابة لعدد من شهود العيان الذين أجمعوا على أن فتاة لا يتعدى عمرها ٢٥ سنة ترتدى خمارًا لونه (بيج) هى التى بدأت بطعن المجنى عليه حيث أخرجت سلاحًا أبيض من تحت الخمار، وطعنت به الضحية، ثم وجه باقى المتهمين عدة طعنات أودت بحياة القتيل وقد تمكنت قوات الشرطة والمباحث من القبض على ١٤ من المنتمين للإخوان، والمشاركين فى المظاهرات، وأحالت ٩ منهم للنيابة، بعد ثبوت تورطهم فى الحادث وفق تحريات جهاز الأمن الوطنى، وتفريغ فيديوهات صورها عدد من المارة، وقد تم القبض على الدكتور (ياسر شاهين) أستاذ الكبد والجهاز الهضمى، ووجهت له تهم التحريض على القتل، والعنف، وتنظيم مظاهرة دون تصريح، بعد أن أكدت التحريات وشهادة الشهود أنه منظمُ وممولُ المظاهرة التى تسببت فى الحادث [1].

لذلك نقول: أَىَّ فِكْرٍ يُخَيِّمُ على هؤلاء الأقزام؟ وما الضرر الذى يصيبهم فى تعليق صورة (السيسى) على واجهة صالون حلاقة، أو على خلفية سيارة، أو على حائط مبنى؟ نقول: لا شىء، فقد اعتادت الأمم على عادة تعليق صور الزعماء فى الميادين، والشوارع، وعلى خلفيات السيارات، بل وكتابة أسماء البعض على بعض الشوارع والميادين، وَلاَ ضَيْرَ من ذلك أبدًا، ولكن الحقيقة التى لا تضاهيها غيرها أنهم يحقدون على كل وَطَنِىٍّ مُخْلِصٍ لوطنه يعمل لصالح بلده، لأنهم فاقدى الوطنية، والهوية، لأن الوطن عندهم هو المسكن فقط، ولكن إذا تصفحنا التاريخ ورجعنا إلى الوراء قليلاً، لرأينا مدى حقد الإخوان (لعبدالناصر)، وتحالفهم عليه، والتآمرِ وَدَسِّ الفتنِ والمكائِد لَهُ، وحاولوا اغتياله، حيث جرت محاولتان الأولى سنة ١٩٥٤، والثانية سنة ١٩٦٥، وكان الهدف

(١) جريدة المصرى اليوم، الخميس ١٦ صفر ١٤٣٥هـ ١٩ ديسمبر ٢٠١٣م – السنة العاشرة، العدد ٣٤٧٥ – ص: (٤).

من المحاولتين هو الاستيلاء على الحكم، كل ذلك لأنه زعيمٌ وطنيٌّ حتى النخاع، وأن ولائه لله، ثم لوطنه، وهكذا كان كرههم (للسادات) بالرغم من أنه قد أخرجهم من السجون، وأدخلهم فى العمل السياسى، وجعل لهم الحرية فى التَّحَرُّكِ على أرض السياسة، كالأحزاب الأخرى، وبعد هذا كله قاموا بتصفيته واغتياله، فَكُلُّ وَطَنِيٌّ مخلصٌ لوطنه تَصَدُّوا له، وقاموا بتصفيته، واغتياله، لَفْظِيًّا، أو جسديًا، أما لفظياً: فيقومون بالتشنيع عليه، وإلصاق التهم إليه جُزَافًا، وتعريضه، ولبيته باتهاماتٍ ما أنزل اللهُ بها من سلطان، وأما جسديًا: فيقومون بقتله، ولا يتورعون أبداً من ذلك، ولا يفكرون فى القصاص العادل فى الدنيا، والآخرة، ثم نعود لما بدأناه سريعًا، فنقول: لم كل هذا الحب، بالرغم من أن ذلك الحب تُزهق من أجله الأرواح. ولا يكتفى الشعب المحب لهذا الرجل عند هذا الحد فقط، بل ويتحدون بحبهم هذا كل جدران الخوف وجسورها، ويعبرون بذلك الحب كل صعبٍ عسير، ألم يرد على الإخوان حينما اتهموا الجيش بضرب وسحل المتظاهرين حينها قام على الفور وقال: (تتقطع إدينا، إذا اتمدت على أى مواطن مصرى) وقام وقتها أحد المتسلفين الموجودين بين جدران السجون الآن، والمنتمى للإخوان، بالتهكم على ذلك آنذاك فى حكم المعزول، ألم يقل أحد آباء الجنود الـ٢٥ الذين قُتلوا فى ما يسمونه (برفح الثانية)، وبالرغم من مرارة الأسى والحزن على ابنه وفراقه يقول هذا الرجل: (إحنا كلنا خدامينك، ونبوس جزمتك، ونفديك بحياتنا)، ثم قام (السيسى) بِكُلِّ أَدَبٍ جَمٍّ رَفِيعٍ وتناول رأسه، ثم قَبَّلَهَا، من أجل ذلك حاز هذا الرجل على حب الغالبية من شعب مصر، رجالهم، ونسائهم، أطفالهم، وشيوخهم، وشبابهم، لأنه انحاز للشعب المظلوم، المكلوم المصدوم، الذى أُصْدِمَ فى رئيسه الذين اختاروه، ولم يفى بِأَيِّ وَعْدٍ من وعوده الذى أخذها على نفسه، وحلف عليها يمينه عند تسليم السلطة، بل الأدهى والأمر أنهم تجرعوا مرارة الحزن والأسى حينما علموا يقينيًا أنه جاسوسًا، خائنًا لهذا الوطن حريصًا على تدميره،

ووجدوا أيضًا أن ولاءه ليس لمصر، بل كان ولاءه لأعداء مصر، مما جعل المصريين الشرفاء الذين اختاروه يتصورون فى قرارة أنفسهم أنهم قد أخذوا قلمًا على (قفاهم) قَدْ سَمَّعَ الجميع من حولهم، ولما قام الجيش بإزاحة هؤلاء من على عاتق الشعب المصرى، والذين أُطْبِقُوا على صدورهم قرابة الـ(٣٦٨ يَوْمًا) من حكم المعزول، تنفس المصريون أنفاس الحرية، وبالرغم من أنهم يُقتلون، ويتهددون، لكنهم راضون كل الرضا عن هذا الجيش وقادته، ولذلك اختاروا (السيسى) رمزًا لهذا الحب الكبير، وهذا الولاء العظيم، فأصبحوا يَتَغَنَّوْنَ باسمه، لأنه امتلك حُبَّ قُلُوبِ الكثرة من هذا الشعب العظيم وليست القلوب فقط، بل وصل إلى ما هو أكثر من ذلك، لقد وصل إلى شِغَافُهَا، أى: تأصل هذا الحب إلى أن وصل إلى شرايين هذه القلوب لِيَسُدَّ مسامها جميعًا، لأن هذا الشعب قد وَعِىَ الدرس، وعلم أن الإخوان قد جاءوا للسلطة لبيع هذا الوطن وتقسيمه، لتنفيذ المخطط (الصهيو أمريكى) بمساعدة (تركيا، وحماس، والمخابرات الأمريكية، وإيران، وأموال قطر) لكن الله حمى (مصر) بولاء هذا الرجل، وولاء قادة جيشه، وولاء الشرطة، وطيبة هذا الشعب، وما تحرك هذا القائد بهذه القوة التى أزهلت العالم أجمع، إلا لدعم المطلبِ الشعبىِّ، فأوقف النَّزِيفَ الْمِصْرِىَّ الناجم عن عام حكمه (الإخوان) بالإقصاء، والتشويه للمعارضين، ومحاولة التكويش على جميع مفاصل الدولة، وتهميش جميع الفصائل والأحزاب، إلا محبوهم، ومن والوهم، وبالرغم من أنه قد عَرَّضَ نفسه لمخاطر كثيرة، إلا أنه لم ينتزع السلطة لنفسه، ولا للمؤسسة العسكرية، ولكنه اختار الوقوف، والانحياز لهذا الشعب، ورسم معالم خارطة الطريق نحو مستقبلٍ أفضلٍ لهذا الوطن، وَمِمَّا يَدُلُّ على صِدْقِ ما قلناهُ هو ما قاله (السيسى) خلال حضوره المناورة (بدر ٢٠١٣)، والتى نَفَّذَتْهَا قوات الجيش الثالث، حيث قال بوضوح تامٍّ: (لا أحب أن تطالبوا بى رئيسًا للجمهورية، ولن أترك أحدًا ينعم بالراحة حتى تستعيد مصر عافيتها الاقتصادية) وقد أَحَسَّ السيسى من أول يوم

تسلم فيه قيادة القوات المسلحة بشكوك الرئيس المعزول نحوه، وقد أحس أيضًا بمراوغة، ومداهنة المعزول أيضًا تُجاهَ من ارتكبوا مجزرة (رفح الأولى)، والتى قُتِلَ فيها ١٦ جنديًا مصريًا فى رمضان، وعدم حماس رئيس الجمهورية لذلك الأمر آنذاك، ورفضه استمرار عمليات القوات المسلحة فى سيناء لملاحقة الإرهابيين ثانياً: رفضه إلزام حماس بتسليم من اشتبه فيهم فى تلك المجزرة. ثالثًا: استضافت مؤسسة الرئاسة فى احتفالات أكتوبر ٢٠١٢ إرهابيين تورطوا فى اغتيال الرئيس الراحل (أنور السادات)، وبدلاً من أن يجلس على المنصة وبجواره السيدة (جيهان السادات، وأولادها) لأنهم أصحاب هذا الْعُرْس، أجلس على المنصة هؤلاء سافكى الدماء الذكية لهذا الزعيم الخالد، بل الأدهى والأمر، أنه أجلسهم بجوار قادة القوات المسلحة، وكأنه يقولُ لحماةِ هذا الوطنِ، ودرعهُ وسيفهُ (موتوا بغيظكم) وذلك مما أدى إلى ذرعِ غُصَّةٍ فى قلوبِ قادةِ القواتِ المسلحةِ جميعًا، وعلى مَضَضٍ قد كتم الفريق أول (السيسى)، وبقية قادته غيظهم، وتفرغوا لما هو فى أَمَسِّ الحاجة آنذاك، للتدريب الْفَعَّالِ لتقوية هذا الجيش وزرع الثقة به، بعد أن تراخى لمدة عام، أو أكثر فى السيطرة على الوضع الداخلىِّ للبلاد، بعد ثورة يناير ٢٠١١، والذى زاد من حيطة (المعزول) وَكُرْهِهِ اندفينِ (للسيسى) حيث أنه رفض فى تلك الآونة ما طلبه (المعزول) بقيام القوات المسلحة بالتصدى للمتظاهرين فى مدينة (بور سعيد، ومدن القناة، كالسويس، والإسماعيلية) بعد رَفْض خطر التجول، والذين تَصَدُّوا لرجال الأمن، فخرجوا محتجين على الأحكام التى صدرت بحق أبنائهم فى قضية (مجزرة بور سعيد)، ومما زاد الطين بلة أن بعض جنود الجيش الثالث قد شاركوا المواطنين لعب الكرة فى أوقات حظر التجول، مما اعتبره المعزول، ومن معه من هيئة الإرشاد ومعاونيهم دَعْمًا لأهالى مدن القناة، وَدَعْمًا للشعب المصرى، لأن القوات المسلحة قد آثرت أن تعمل جَاهِدَةً من أجل الشعب المصرىِّ فقط، وأن تجعل نفسها مَمْلُوكَةً لهذا الشعب وحده، وليس لِأَىِّ فِئَةٍ، أو طائفةٍ،

أو جماعة تصورت نَفْسَهَا قادرةً على أن تَتَحَكَّمَ فى مصير هذا الشعب الْحُرِّ الأَبِىِّ الكريم، وهذا مَا تَسَبَّبَ فى حالة الهياج النفسىِّ، والغضب الهستيرىِّ الذى انتاب المعزول وجماعته حينما انحازت القوات المسلحة للإرادة الشعبية، وإرادة الثلاثين مليونًا فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ يطالبون برحيل الحكم الدينىِّ الغاشمِّ المستبد، وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة، يختارون فيه ما يرونه لصالح البلاد، والعباد، والشجر، والدوابِّ، ويطالبون أيضًا بتنفيذ خارطة الطريق الذى رسمها (السيسى) آنذاك، ومما أقلق القوات المسلحة أيضًا، الاعتداء على المتظاهرين السلميين، والمحتجين على الإعلان الدستورى أمام الاتحادية، وقيام الإخوان بتعذيبهم فى ساحة القصر الرئاسى، وأمام أعين المعزول، وقد أباح الإخوان لأنفسهم أن يكونوا بمثابة الشرطة فى سؤالهم للمتظاهرين، واستجوابهم، بل والتعدى عليهم، وكأنهم محققين من جهة النيابة، أو الشرطة، وأجازوا لأنفسهم التعدى على المتظاهرين بالضرب، والسحل، والتعذيب، والتزمت القوات المسلحة فى تلك الآونة بالصمت، ولكنها بعين ذكية وجهت اللواء (أحمد جمال الدين) وزير الداخلية السابق، بعدم التورط فى أعمال العنف ضد المتظاهرين، وأن لا يكون كَبْشَ فِدَاءَ، كما كان (حبيب العادلى) والذى تم على إِثْرِهِ إِمْتِعَاضِ المعزول وجماعة الإخوان من موقفه الرافض لاستخدام العنف مع المتظاهرين، مما أدى إلى أن المعزول قد أجبره على تقديم استقالته مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ، ولما كشفت القوات المسلحة المؤامرة، وأعلنت عن خطر بيع الأراضى على الحدود المصرية فى سيناء، وطالبت بملاحقة الذين ارتكبوا مذبحة (رفح الأولى)، وملاحقة الذين خطفوا جنودنا فى سيناء، بدأ الإخوان يستخدمون المكائد والدسائس ضد الجيش، والشرطة وهذا ديدنهم، لإيقاع الشعب ضد الجيش والشرطة، وهذا ما حاولوا فعله تكرارًا ومرارًا، وتصوروا أنهم سينجحون، كما فعلوه فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ولكنهم فى هذه المرة فشلوا، لأن الشعب المصرى قد وعى الدرس جيدًا، وأن المؤمنَ الْكَيِّسَ لا يُلدغ من جحرٍ مرتين، كما قال رسول الله

ﷺ: (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)[1]. وبذلك قد فشلوا، لأن الشعب عندما احْتَكَّ معهم فى ساحة الواقع السياسى عكف عمّا كانوا يدبرونه من مؤامرة وقوف الشعب ضد الجيش والشرطة، وبالرغم من ذلك، قد أدى هذا المخطط الخسيس إلى قلق قيادة الجيش، وَعَبَّرَ عن ذلك (السيسى) فى لقائه مع ضباط الجيش قائلاً: (إن القوات المسلحة كانت تتابع ما يحدث وهى موزعة بين اعتبارين، الأول: اعتبار دورها الذى قبلته وارتضت به، وهو البعد عن السياسة، والثانى: اعتبار القرب من المسئولية الوطنية سواء بالمبدأ، أو بخشية أن تفاجئها ضرورات القرار السياسى فى يد من يملك السلطة، يكلفها بِمَهَامَّ لا تتوافق مع ولائها لشعبها وهذا حقه وحده فى توجيهها وتحديد مهامها) أراد (السيسى) أَنْ يُطَمْئِنَ المعزول ويضع فى (بطنه بطيخه صيفى)، لينام قَرِيرَ الْعَيْنِ من جانبه، ومن جانبٍ آخَرَ قد تعامل (السيسى) مع (المعزول) بذكاءٍ شديدٍ، حيثُ عَمِدَ إلى طمأنته، ليرفع الشك من جانبه، وليزيد من ثقته فيه وفى قادة الجيش، وليعلمه أن قادة الجيش لن تدخل فى الخلاص من حكمه، فقال: (محدش هيشيل حد، والجيش لن ينزل الشارع لغير أنظمة، وإذا نزل؛ فإن مصر ستعود إلى الوراء ٤٠ عَامًا، والوقوف أمام صناديق الانتخاب ولو لمدة ١٢ ساعة، أفضل من تدمير البلد) ولعلم (المعزول) أن هذا الجيش ولاءه لهذا الشعب، ثم الوطن، وقد عَهِدَ ذلك فى زعماء مصر السابقين، لم يهدأ جفن المعزول، ولم يَنَمْ قَرِيرَ العينِ، ولم يطمئنَّ من جانبه، بل أضمر فى نفسه هو وجماعته إزاحته من قيادة الجيش، كما فعل مع (طنطاوى، وعنان) ومن جانبٍ خفىٍّ ظل يُمَجِّدُ فى خطبه للجيش وقيادته، لِيَبْلَعَ (السيسى) ومن معه من القادة (الطُّعْمَ)، لأنه قد أَعَدَّ هو، ومكتب الإرشاد خمسة قرارات كانت جاهزةً على طاولة التنفيذ الفعلى

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجة من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم برقم: (٤٤)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١١٧٥-٤/ ٢٦٠)، وصحيح الجامع برقم: (٧٧٧٩).

لذلك المكتب، وتم تأجيل تنفيذها على أرض الواقع إلى يوم (٥ يوليه ٢٠١٣) بعد أن تهدأ عاصفة الشعب الجارفة والتى تمت يوم (٣٠ يونيو ٢٠١٣) وهذه القرارات الخمس هى كالآتى:

(١) إقالة الفريق أول (عبدالفتاح السيسى)، ورئيس الأركان (صدقى صبحى)، وعدد من قيادات الجيش.

(٢) السيطرة على السلطة القضائية، وذلك بتسريح ٣٥٠٠ قاضٍ، وإحلال من ينوبون عنهم من جماعة الإخوان، ومن يوالوهم.

(٣) إقالة وزير الداخلية، وتسريح عددٍ كبيرٍ من قيادات وضباط الشرطة.

(٤) إصدار قانون لتنظيم الإعلام، لإغلاقِ عددٍ كبيرٍ من القنوات الفضائية المعارضة لحكم المعزول، وطرح العديد من سلبياته هو ومكتب الإرشاد، وطبخ عديد من القرارات فى مجلس الشورى، لمحاولة تركيع الشعب أمامه وأمام جماعته، وأهم هذه القنوات التى تم الموافقة على إغلاقها (الفراعين)، و(سى - بى - سى)، و(أون - تى - فى)، و(القاهرة والناس)، و(دريم).

(٥) اعتقال قائمة من الإعلاميين، والسياسيين الذين تَصَدُّوا للرئيس وجماعته، لأنهم كشفوا عن وجههم القبيح، وخيانتهم لوطنهم مصر، وهذه القائمة قد ضمت على ما يربوا بنحو ٣٨ اسمًا، وقد يَتِمُّ طبخ هذا المخطط فى حينه فى مجلس الشورى، كما أسلفنا سابقًا.

ولما رأى (السيسى) أن الأوضاع فى مصر المحروسة قد تأزمت فى كل المجالات، بل أصبحت تهدد الأمن القومى، بل وتهدد المؤسسة العسكرية أيضًا، وبدأت أنوف الإخوان وأفواههم يتطاولون على قادة الجيش والمتمثلة فى الفريق (السيسى) وبعض قادته، وشيخ الأزهر الدكتور (أحمد الطيب) مطالبين التخلص من فضيلته بدس المكائد فى قضية فساد الأطعمة لطلبة المدينة الجامعية والتى تسببت فى حالة غثيان وإسهال كثير من

الطلبة آنذاك، وقد فشل ذلك المخطط آنذاك، لأنه قد ثبت أنهم هم المحرضون الفعليون لذلك وأن رجال الأزهر بريئون من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وقد تعرضت (الكنيسة) أيضًا لهذا الهجوم الإخوانيُّ السافرُ، لذا فقد أصدر (السيسى) بيان القوات المسلحة الصادر يوم ٢٣ يوليو ٢٠١٣ حيث قال فيه: (إن القوات المسلحة لن تظل صامتةً أمام انزلاق البلاد فى صراع يصعب السيطرة عليه، وأن إرادة الشعب هى التى تحكمها، ولا يمكنُ أَنْ نَسمحَ بالتعدى على هذه الإرادة، وليس من المروءة الصمت أمام تخويف، وترويع أهالينا المصريين، والموتُ أشرفُ لنا من أن يَمَسَّ شعب مصر فى وجود جيشه) هذه الكلمات فى حينها نزلت على الشعب المصرى كَالتِّرْيَاقِ الذى يشفى كُلَّ مجروحٍ، أو عليلٍ، فعلم كل مصريٍّ أنه قد قبل التحدى وأنه ماضٍ لمواجهة غرور الإخوانِ وجحافلهُ، واتضح أيضًا أن الجيش المصرى بقادته، وضباطه، وجنوده جميعهم على قلب رجلٍ واحدٍ، للتصدى لإرهاب (المعزول) و(جماعته) وأن الجميع ماضٍ لرسم خيوط الأمل والمستقبل لهذا الوطن العزيز، وأن الجيش المصرى هو حامى حمى المصريين من بطش الإرهابيين وتعدياتهم على هذا الشعب الطيب المسالم، ولم تقف مؤسسة الرئاسة مكتوفة الأيدى، مغلقة الأفواه تُجَاهَ بيان القواتِ المسلحةِ، فأعلنت أنها ماضية فى طريقها نحو التصدى لكل من يقترب من المعزول وجماعته، كما قال (صفوت حجازى) فى (ميدان رابعة): (اللى حيرش مرسى بالمية، حنروشه بالدم)، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل أعلن الدكتور (أحمد عمران) أحد مستشارى المعزول، والذى قال فيه: (لا توجد مشكلة بالنسبة للتظاهر السلمى، ونحن مطمئنون بأن مؤسسات الدولة تدعم الشرعية، وهناك أعدادٌ كبيرةٌ من المواطنين تَدْعَمُ شرعية الرئيس، سواء القوات المسلحة، أو غيرها، ثم أردف قائلاً: إذا سقطت شرعية الرئيس المنتخب بالعنف، سيجرى الرد بالعنف، سيجرى الرد بالعنف، وهو لن يقدم استقالته، ومستحيل أن يَدْعُوَ لانتخاباتٍ رئاسيةٍ مبكرةٍ، وعلى رقبنا أن تُكْسَرَ شرعيةٍ منتخبة) هذه الكلمات التى ذكرت فى حينها، اتضح بها للقاصى، والدانى أن

(المعزول) ماضٍ نحو المجهول الذى يؤدى إلى الشرِّ المستطير، وأنه لا يترك منصبه، وسيظل فى طريقه المعادى لإرادة شعبه، وأنه سوف يُدافع عن شرعيته ومنصبه بحياته ودمه، لأنه كان يتخيل هو وجماعته أن الأمريكان الذين أَتَوْا به لن يخذلوه، وسيحاربون من أجله، وأن حماس، وتركيا، وقطر سيدعمونه فى ذلك الشأن، كما دعمته قبل ذلك فى انتخابات الرئاسة، بالتزوير فى قاعدة البيانات، والمطابع الأميرية، والأقلام الصينية التى تزول بعد كتابتها بنصف ساعة، وإنفاق الأموال الطائلة على البسطاء، والفقراء من طوائف الشعبِ المصرىِّ الذى اضطرهم الْفَقْرَ وَالْعَوَزَ إلى ذلك، ولكن هيهات. هيهات من هذا التصور، لأن الشعبَ المصرىَّ استوعب الدرسَ كاملاً بعد أن عاش طيلة الـ٣٦٨ يَوْمًا من أيام (مرسى) العجاف فى ذُلٍّ وَتَخَدٍّ وَقَهْرٍ لم يسبق لهما نظير، ولكن إرادة هذا الشعب لا تؤثر فيها الرياح الهوجاء، وأن مصر قادرة على حماية شعبها، وأرضها، وترابها، وحدودها، بفضل الله أولاً، ثم الجيش، والشرطة، والشعب ثانيًا.

حَالَةُ الْغُمُوضِ الَّتِى تَنْتَابُ هَذَا الرَّجُلْ:

أما حالة الغموض التى تنتاب الفريق أول (عبدالفتاح سعد السيسى) حيث يدعمه مظهره بنظارته الشمسية السوداء قد أدى إلى فضولٍ كبيرٍ فى مختلف وسائل الإعلام الغربية التى حاولت التَّحَرِّىَ عن حاضر الرجل وماضيه، فأفردت مجلة (نيوزويك) غلاف عددها ١٦ أغسطس ٢٠١٣ (للجنرال الهادئ) وَرَكَّزَتْ، فى تقريرها المطول عن نشأته على هذا الغموض، مُوَضِّحَةً أن صور (السيسى) أكثر انتشارًا فى شوارع القاهرة من الهدايا التذكارية (لأبى الهول)، فصورهُ تَحَدِّقُ إليك من فوق الجدران، والمقاهى، والنوافذ، والمبانى الحكومية، والمصريون يرفعون لافتة (هذا الرجل هو الذى نثق فيه)، والبعضُ يطلقُ عليه (نِسْرُ الْعَرَبِ)، ومع ذلك، فالرجل الذى يُقارنه المصريون (بناصر) لاَ يُعْرَفُ عنه شىء، وقلة الناس يعرفون شيئًا عن عائلته، فهو نادرًا ما يتحدث للصحفيين،

وأصدقاؤه المقربون يترددون فى التحدث للصحافة، وغالبًا ما يتصلون للاعتذار إذا تسرعوا بالموافقة على الحديث مع أحد الصحفيين، أستاذه الأمريكى البروفيسور (ستيفن غراس) الذى دَرَّسَ (للسيسى) فى كلية الحرب العليا الأمريكية فى الفصل الدراسى ٢٠٠٥-٢٠٠٦ خلال دراسته للزمالة، كشف جانبًا من شخصيته، قال عنه: (كان طالبًا ذكيًا يتقن اللغة الانجليزية، وكان جَادًّا ويعتبرُ من أكثر الطلاب العسكريين الذين كانوا يَدْرُسُونَ الزمالة بجدية) وأضاف غراس: (دعوت السيسى لحفلٍ بمنزلى، ولفت نظرى أن الضابط المصرىَّ الْجَادَّ لم يكن مهتمًا كثيرًا بالألعاب والمسابقات الترفيهية التى أقبل عليها زملاؤه من العسكريين الأجانب، وبدلاً من ذلك اهتم بالحديث مع والدتى التى تبلغ من العمر ٨٠ عامًا، وشرح لها معانى ودلالات كل اللوحات المكتوبة باللغة العربية فى منزلى) (غراس) الذى كان أستاذًا (للسيسى) فى ٣ مواد دراسية بالكلية، يُؤَكِّدُ أن تلميذه السابق لم يكن مثل غيره من العسكريين الأجانب، الذين عادةً ما يعتبرون دراستهم فى أمريكا فرصةً للراحةِ والاستجمام، ووصف (غراس) تلميذه بأنه (مُسْلِمٌ تَقِيٌّ، وَلَدَيْهِ مَعْرِفَةٌ عَمِيقَةٌ بِدِينِهِ) لكن رغم تَدَيُّنِ (السيسى) الواضح، فلا يوجد أَىَّ دَلِيلٍ على انتمائه لتيار الإسلام السياسى، أو الإخوان: حيث انتقد بشدة الإخوان فى حواره مع صحيفة (واشنطون بوست) الذى كشف عَنْ أَنَّهُ لاَ يَكِنُّ لَهُمْ أَىَّ تَعَاطُفٍ.

برهن (السيسى) أنهُ رجلٌ قويٌّ فعلاً: إذ استطاع الحفاظ على استقلال القرار السياسى المصرى، وأرغم الولايات المتحدة على مراجعة مواقفها من ثورة ٣٠ يونيو، ولم يَلِنْ لإدارة الرئيس (باراك أوباما) عقب تجميد المعونات الأمريكية لمصر، لذا نجح وزير الدفاع فى أن يجعل أمريكا كلها تتعامل مع مصر من (منطلقِ رَدِّ الْفِعْلِ)، بعد أن كانت تتصور أنها قادرة على أن تتحكم فى مجرى الأحداث فيها، وأعاد (السيسى) القرار إلى يَدِ القاهرةِ، فارتبكت واشنطن، وظلت تسعى بكل الطرق، لاستعادة ما فقدته من سيطرة، وبالمثل، لم يرضخ (السيسى) لضغوط تركيا، وتجاوزات قيادتها السياسية المنحازة لعهد

الحكم الإخوانى، بل طرد السفير التركى من القاهرة، ولم يَتَرَدَّدْ فى أن يقدمَ الشكر علنًا لدول الخليج العربية على مساعدتها مصر.

(صورة السيسى) لدى واشنطن مرت بعدة مراحل سريعة منذ ظهوره على مسرح الأحداث، ففى ١٢ أغسطس ٢٠١٢ اتخذ المعزول قراراتٍ قويةٍ صادمةٍ، عندما أقال المشير (حسين طنطاوى)، ونائبه الفريق (سامى عنان) وغالبية أعضاء المجلس العسكرى السابق، وعين (السيسى) وزيرًا للدفاع، واعتبر المراقبون أن (المعزول) أخرج الجيش من المعادلة السياسية للأبد، وأنهى ٦٠ عامًا من سيطرة العسكر على السلطة فى مصر، وفى تلك الآونة قَدِ اتُّهِمَ (السيسي) بأنه رجل الإخوان فى الجيش، وذهب البعض إلى وصفه بالإخوانى، بل إن مقدم البرامج التليفزيونية فى قناة الفراعين فى برنامج مصر اليوم، الدكتور (توفيق عكاشة) قال عن السيسى قبل توليه المنصب بنحو شهرين اللواء (عبدالفتاح السيسى) رجل الإخوان فى الجيش، وعندما تولى منصب وزير الدفاع قال (عكاشة) عنه: (الفريق السيسى صاحبى، وصديقى، وأنا اللى قُلْتُ إنه من الإخوان، وأنا اللى قُلْتُ إن المشير (طنطاوى) هيمشى قبل الفطار، وهيجى الفريق أول عبدالفتاح السيسى) وتابع عكاشة: (إيه يعنى إنه من الإخوان).

اعتقد المصريون فى تلك اللحظة أن (السيسى) (إِخْوَانِيٌّ)، أو على الأقل (إِسْلَامِيٌّ) من المتحمسين للتجربة الإسلامية فى الحكم، إلا أن الواقع أثبت غير ذلك تمامًا، وثبت أنه ربما كانت تلك الشائعات مقصودةً، وربما ساهم السيسى شخصيًا، بصفته مديرًا للمخابرات الحربية، فى نشرها، لإيهام (الإخوان) بأن الحكم ومؤسسات الدولة السيادية قد دانت لهم، حتى يكون زمام المبادرة دومًا فى يده فى البداية، إذن كانت هناك قناعةٌ، بأن (السيسى رجل الإخوان) بين صفوف القوات المسلحة المصرية، هذه القناعة عَبَّر عنها بوضوح الباحث الأمريكى (دانيال بايبس) فى نوفمبر ٢٠١٢، عندما كتب فى مجلة (ناشيونا انتريست) تفسيره لنجاح الرئيس المعزول فى إقالة المشير (حسين طنطاوى) فى أغسطس ٢٠١٢، وَبَرَّرَ ذلك بأن (نفوذ ضباط

الجيش المتعاطفين مع الإخوان أكبر مما تخيل الجميع، وهم إما أعضاء بالجماعة، أو متعاطفون معها، والجماعة تُنكر عضوية وزير الدفاع الحالى (عبدالفتاح السيسى) لها، لكن أحد قادتها أَقَرَّ بأنه ينتمى إلى أسرة الجماعة غير الرسمية) وذهب (بايبس) فى تحليله إلى أبعد من ذلك، مُؤَكِّدًا أن (السيسى) أجهض حسب زعمه محاولة لانقلاب كان يُخَطَّطُ له (طنطاوى) فى ٢٤ أغسطس ٢٠١٢، وقال الباحثُ نَصًّا: (استطاع السيسى كرئيس للاستخبارات العسكرية الحصول على انقلاب ٢٤ أغسطس، وتعقب المسئولين الموالين (لطنطاوى) وفصلهم، وهناك شواهد أخرى تؤكد كلامى، (فطارق الزمر) القيادى الجهادى، وأحد مؤيدى (مرسى) وهو ضابط سابق بالقوات المسلحة، اعترف بأن اختيار (السيسى) كان يهدف لانقلاب عسكرىٍّ على (مرسى)، كما أن اللواء (عباس مخيمر) الذى كان مسئولاً عن تطهير القوات المسلحة من (الإخوان)، و(الجماعات الإسلامية الأخرى) كان متحالفًا مع الإخوان، إن لم يكن عضوًا بها) زادت قناعة الأمريكان بإخوانية (السيسى) عندما عثروا على ورقةٍ بحثيةٍ كتبها السيسى ٢٠٠٦ أثناء التحاقه بكلية الحرب التابعة للجيش الأمريكى بعنوان (الديمقراطية فى الشرق الأوسط) وهو البحث الذى وصفه مُحاضر فى كلية الدراسات البحرية العليا، وهو البروفيسور (روبرت سبرنغبرغ) فى مقال نُشِرَ فى (فورين أفيرز) بالقول: (يبدو كوثيقةٍ أعدتها جماعة (الإخوان) الطريق أن البعض ظل مُتَمَسِّكًا بقناعته بإخوانية (السيسى) حتى بعد عزل (مرسى)، وذلك فيه خلطٌ واضحٌ تَدَيُّنِ وزير الدفاع، واعتناق أفكار الجماعة، ومع تَصَاعُدِ الأزمة السياسية بين (مرسى) ومعارضيه، وظهور بوادر أَوَّلِيَّةَ على إمكانية تدخل الجيش فى السياسة مرة أخرى، لم يكن الأمريكان، شأنهم فى ذلك شأن (مرسى) نفسه، قلقين من السيسى، وتولدت لديهم قناعةٌ أن الجنرال الهادئ لن يحرك دبابة باتجاه قصر الاتحادية، وسيأخذ بنصيحة واشنطن التى تكررت على مسامعه يوميًا وفحواها: (لا تقترب من مرسى) لكن ما حدث أن (السيسى) نجح فى إبقاء الإدارة الأمريكية فى (الظلام) بشأن ما يحدث فى مِصْرَ من تطوراتٍ رَافِضًا الكشف عن خططه، حتى فوجئت (واشنطن) بقرار عزل (مرسى)

فى ٣ يوليو ٢٠١٣ ضَارِبًا بنصائح واشنطن عَرْضَ الْحَائِطِ، وَعَبَّرَ تقرير صحيفة (وول ستريت) عن حجم الصدمة والإحباط الأمريكى من تجاهل (السيسى) لـ(٨ مكالمات مع وزير الدفاع الأمريكى) (تشاك هيغل)، مليئة بالنصائح والتحذيرات أيضًا) ونجح (السيسى)، لتخرج (مصر).من أَزْمَةٍ عَامٍ مُثْقَلٍ بِالْأَزَمَاتِ والكوارثِ فى عهد الإخوانِ.[1]

هذا هو الجيش الذى لا يعرف الخيانة، ولا يعرف الجاسوسية، ولا يكن فى عُرْفِهِ، ولا فى دَمِهِ إلا الواجب، والفداء لهذا الوطن بكل مَا أُوتِىَ مِنْ قُوَّةٍ، هذا الجيش والذى يُطلقون عليه (الإخوان) بـ(العسكر) هو أنا، وأنت - أبى، وأبيك - أخى، وأخيك - خالى، وخالك - عمى، وعمك، هو أولاد الطبقات العليا الراقين. وهو أولاد الطبقات الدنيا الفلاحين، هذا الجيش هو كل المصريين.

وما أصدق مقالة الشاعر (أحمد فؤاد نجم) وهو يَصِفُ الْجَيْشَ الْمِصْرِىَّ (بالورد البلدى) فيقول:

دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ
دُولاَ عَسَاكِرْ مَصْرِيِّنْ
دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ
دُولاَ، ولاَدِ الْفَلاَّحِينْ
دُولاَ الْوَرْدِ الْبَلَدِى
يصْحَى يَفَتَّحْ اَصْحِىَ يَا بَلَدِى
دُولاَ خُلاَصِةْ مِصْرِ يَا بَلَدِى
دُولاَ عُيونِ الْمَصْرِيِّنْ
دُولاَ مِين، ودُولاَ مِينْ

(١) جريدة الصباح الاثنين - ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١٣م السنة الثانية - العدد: (٢٥) ص: ١٣.

* * *

دُولاَ الْقُوَّهْ، وِدُولاَ الْعِزْ
دُولْ رَاضْعِينْ مِنْ أَطْهَرْ بِزْ
هِزْ يَا هَلاَلَ هِلاَلَكْ هِزْ
وِاحْنَا وَرَاكْ مَلايِينْ جَايِيِّنْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ

* * *

دُولاَ اخْوَاتْنَا، وِدُولاَ بَنِينَا
دُولاَ الأَمَلِ اللِّى خَلِّينَا
دُولاَ الْمَجْدِ اللِّى خَلِّينَا
فُوقْ الْجَرْحِ نِعُودْ سَالْمِينْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ

* * *

دُولاَ يَا سِينَا وِلاَدِ الشُّهَدَا
دُولاَ التَّارْ لاَ يْنَامْ وَلاَ يْهْدَا
خَلِّى تُرَابِكْ يِسْكِنْ يِهْدَا
وِيْضُمِّ الشَّهَدَا الْجَايِيِّنْ
دُولاَ مِينْ، وِدُولاَ مِينْ
دُولاَ عَسَاكِرْ مَصْرِيِّنْ

الشعارُ الثامنُ: (دَعْنَا نَتَعَاوَنُ فِيمَا نَتَّفِقُ عَلَيْهِ، وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ)

كان (حسن البنا) يرفعُ هذا الشعار الذى سمعه من شيخه (رشيد رضا) وكان هذا الشعار هو مفتاح السيطرة فى أخذ مزايا مَا اتُّفِقَ عليه، ثم يحاصرون الخصم ويدفعونه إلى الحائط ويجبرونه على التسليم فيما اخْتُلِفَ فيهِ، هذا هو أسلوبهم، وتلك هى وسائلهم، لقد راقبوا جميع حكام الدول العربية التى عملوا بها، وفتحت لهم أبوابها، كم جمعوا عنهم معلومات؟ وكم استعملوا تلك المعلومات ضدهم أحيانًا، أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع فى تلك الدول؟ وعندما ينكشف عوارهم يستعملون شعارهم: (دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) لأنهم يستخدمون جميع الوسائل للحصول على ما يريدون، لقد تعاونوا مع جميع الحكام ما داموا يحصلون على ما يريدون، ثم ما يلبثون أن ينقلبوا عليهم حين تختلف المصالح، وأكبر مثال على ذلك ما حدث فى الجزائر، حين تحالفا مع جبهة الإنقاذ، ودفعوا الأمور نحو الحافة، ولما حدث الصدام تركوهم لمصيرهم وهم يشاركون فى الحكومة ويتعاونون مع رئيس الجمهورية، بينما زعماء الجبهة ما زالوا تحت التحفظ!

هم دائمًا يتصرفون على أنهم أوصياء على الإسلام، ويقيمون الناس على أساس فهمهم، ولابد أن يتفق الجميع مع وجهة نظرهم، وإلا واجهُوه، وحاربوهُ، وَجَرَّحُوا فهم الآخرين للدين، هكذا فعلوا مع الصوفية، وهكذا فعلوا مع الجمعية الشرعية، ثم باركوهم حين سلموا لهم القيادة، إنهم يتعاونون مع (الشيعة) ما دامت هناكِ مصالح مشتركة بين الطرفين، لقد استغلوا (الوهابية) وركبوا موجتهم فى السعودية حتى تركوا لهم القيادة فى تربية الشباب وتوجيههم، وكل ذلك حدث بفعل جمع المعلومات المختلفة واستعمالها، إنهم يركزون على الأحزاب الموجودة فى الساحة، يكثفون عمليات المراقبةِ، والاختراقِ بُغْيَةِ السيطرة على أكبر عدد ممكن من الأحزاب الموجودة[1].

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان. مذكرات على عشماوى ص: ٧٣.

وفى عام ٢٠١٠ وقبل ثورة يناير صرح المرشد العام (محمد بديع) فى برنامج العاشرة مساءً، (أن مبارك أب لكل المصريين، وأنه لا يمانع هو شخصيًا فى أن يرشح جمال مبارك نفسه للرئاسة) ولما تولى المعزول حكم مصر ظلت أفواههم تردد (القصاص. القصاص) يريدون إعدامه، وهم من تسببوا فى قتل المتظاهرين فى أحداث (محمد محمود) وموقعة (الجمل) وغيرهما وسيشهد التاريخ والأيام على ذلك، ثم تحالفوا مع الشباب الأنقياء، أصحاب ثورة ٢٥ يناير الحقيقيين، وعندما تملكوا زمام الأمور، قالوا لهم (باى، باى)، ثم تحالفوا مع الأحزاب الوطنية، والذين سَمَّوْا أنفسهم جبهة الوفاق الوطنى ويجتمعون معهم ويناورون، وتتكرر الاجتماعات اجتماع تلو الآخر، ولا يخرجون بأى نتيجةٍ سوى المناورة، وعندما تمكنوا من السلطة، أطلقوا عليهم جبهة الخراب الوطنى، وفى الفترة الانتقالية التى تسلم فيها المجلس العسكرى مقاليد البلاد خرج الإخوان يهتفون: (يا مشير. يا مشير، ألف تحية من التحرير) (يا مشير. يا مشير، من النهارده انت الأمير) وعندما تسلم (مرسى) مقاليد البلاد دفعو المشير إلى الحائط وأجبروه على التسليم، هذا هو هدفهم، وهذا هو ديدنهم، يناورون طالما المصلحة ما زالت على أرض الواقع فإذا دانت لهم، وَرَأَوْ أنهُ قد طاب قِطَافُهَا هجموا عليها بمخالب القط، ولا يتركونها إلا وهى بين أيديهم، ولكنى أقول: أين هم الآن؟ فكل ما جاء بباطلٍ يذهب أدراج الرياح، وكما خرجوا من السجون إجبارًا وقهرًا، زُجُّوا فى السجون أيضًا إجبارًا وقهرًا، لأن إرادة الله لابُدَّ وأن تسود قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦).

الشِّعَارُ التَّاسِعُ وَهُوَ: إِشَارَةُ رَابِعَةُ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلَائِلَ، وَحَقَائِقَ

الشعاراتُ تَصِفُهَا الكلماتُ، والإشاراتُ تصفها الحركاتُ، ولكل واحدةٍ منهما لهُ اتجاهاتهُ، وأهدافهُ، ومعناهُ، وإشارة (رابعة) هى إشارة أخذت من رئيس الوزراء التركى (رجب طيب أردوغان) وَفَعَّلَهَا الإخوان بعد ذلك فى ميدانى (رابعة)، و(النهضة) وجميع الاعتصامات التى تخص الإخوان حتى الآن، والإشارة تكون كالآتى: يفردُ من يطلق الإشارة أصابع كف اليد الواحدة، ومنهم من يفرد الكفين، وهم كالآتى: الخنصر، والبنصر، والوسطى، والسبابة وَيُقْبَضُ على الأبهة، وهذه هى الإشارة، ولكن مدلولاتها، وحقيقتها، ليس كما يتصوره الغالبية من شعبنا الطيب الكريم، ولكن حقيقة هذه الإشارة وواقعها، هى شعار الماسونية الصهيونية، و(الإخوان) قد خرجت من باطن الماسونية، أى: الصهيونية العالمية، وكُتب فى (ملحق الأهرام) مَا نَصُّهُ: (ما أن أشار (رجب طيب أردوغان) رئيس الوزراء التركى بأصبعه الأربع، خلال كلمة ألقاها بمدينة (بورصة) غرب تركيا، فإذا بجماعة الإخوان تتلقف هذه الإشارة وتنشرها بسرعة البرق كشعارٍ لأعضائها يستعملونه كصور لهم على (الفيس بوك) وفى التظاهر وشارة للقنوات التابعة لهم، وفى الوقت نفسه انتشرت التعليقات والصور المضادة لهذه الإشارة، فظهرت مجموعة كبيرة من (الكوميكس) تعطى أشكالاً ومضمونًا مختلفًا لهذه الإشارة، وقد انتقد (دولت بهتشلى) زعيم حزب الحركة القومى بتركيا موقف أردوغان وقال: كأن إشارة (رابعة العدوية) صارت الهواية المفضلة لدى إردوغان، أينما ظهر يُشير بها، وكأنه يُنَصِّبُ نَفْسَهُ ممثلاً للإخوان فى تركيا، وكان يتعين علينا إسداء النصح لإخواننا بمصر بالاستماع إلى صوت العقل والضمير وممارسة أقصى درجات ضبط النفس للحيلولة دون إراقة الدماء) ويأتى هذا بعد أن ظل المصريون طوال العام الماضى يُتابعون حديث الرئيس المعزول عن الأصابع التى تعبث بأمن البلاد مما جعل الحديث عن الأصابع مادةً للسخرية اللاذعة

استغلها الإعلامى (باسم يوسف) بطرقٍ مبتكرةٍ، وجاء أقوى تعليق من الصحفى (إبراهيم عيسى) على هذه الإشارة فَسَّرَهَا، بأن الشعب قد عزل (مرسى) فى أربعة أيام، وأرجح الكثيرون هذه الإشارة إلى أنها علامة أساسية فى (الماسونية) ومعناها الحرفى هى (البناؤون الأحرار) وهى عبارة عن منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكارًا واحدةً فيما يخص الأخلاق وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالقٍ إلهىٍّ، وتتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض، وبالذات فى شعائرها فى بدايات تأسيسها ما جعلها مَحَطَّ كثيرٍ من التحليلات كما تقول عنها (موسوعة ويكيبيديا) وهناك الكثير من نظريات المؤامرة حول تسمية الماسونية، فهى تعنى هندسة بالإنجليزية ويعتقد البعض أن فى هذا رمزًا إلى مهندس الكون الأعظم، ومنهم من ينسبهم آخرون إلى فرسان الهيكل الذين شاركوا الحروب الصليبية، كما يرى بعضهم أنه إحياء للديانة الفرعونية المصرية القديمة، وهناك العديد من المُنَظِّرِينَ العرب الذين يرجعون الماسونية إلى الملك (هيرودس) أكريما عام ٤٣ ميلادية، وكان الأزهر قد أصدر فتوى نَصُّهَا: (أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونيا، لأن ارتباطه بالماسونية انْسِلاَخٌ تَدْرِيجِيٌّ عن شعائر دينه ينتهى بصاحبه إلى الارْتِدَادَ التَّامِّ عن دينِ اللهِ) وَفَسَّرَ البعض كلمة R4BIA، بأن حروفها تشير إلى:

R= Ready　　B= brother hood for

I=independent　　A=Army

وتعنى جاهزون من أجل الجيش الإخوانى الحر، ويستخدم (عبدة الشيطان) هذه الإشارة أيضًا فى أكثر من موقع على الشبكة الدولية لنشر أفكارهم المسمومة، التى يصنعها سيد الأصابع الأربع (Mr – Four – Fingers) في دهاليزه المخيفة، والموقع التالى يمثل أحد المواقع المُؤَمَّنَةِ برمزية الأصابع الأربعة، وما تنطوى عليه من توجهاتٍ

إجراميةٍ مريبةٍ، وَسَيُصَابُ من يَتَصَفَّحَ هذا الموقع بصدمةٍ كبيرةٍ)[1].

(ويدعم هذا الطرح (ثروت الخرباوى) المحامى، وهو أحد قيادات الإخوان سابقًا في كتابه (سر المعبد) حيث ربط تنظيم الإخوان بالماسونية، وكشف الكاتب عن صلة التنظيم بأمريكا، والطرق السرية التى اتبعها هذا التنظيم لعقد تلك الصلة وسرد كيف أن جماعة الإخوان هى عبارة عن مجموعةٍ مغلقةٍ تضمر في نفسها حقائق مفزعة لا يعرفها معظم أفرادها، فالأسرار محفوظة عند الكهنة الكبار في صندوقٍ خَفِيٍّ لا يستطيع أحد أن يطلع على ما فيه، وسرد واقعة قديمة تدعم تشبيهه هذا فعندما قرأ كتاباً للشيخ (محمد الغزالى) وجد فيه أن (حسن الهضيبى) المرشد الثانى لجماعة الإخوان كان ماسونيًا) وقال أيضًا عن جماعة الإخوان: (لقد زعمت أنها تريد أن تصلح السياسة بالدين، فأفسدت دينها بالسياسة) أما المطرب (محمد عساف) (نجم أراب إيدول) والذى نشرت له عدة صور يشير فيها بأصابعه، فقد صَرَّحَ أن الرقم الذى يظهر في صوره يمثل الصيغة (٤٤٢) والذى ينص على إرجاع إسرائيل للأراضى العربية التى احتلتها قبل الحرب، ونفى إنتماءه، أو تأييده لأى تيار سياسى ونشر بعض النشطاء صورًا للممثلة الأمريكية (جريس كيلى) والتى تعتنق الماسونية وهى تشير بنفس الإشارة بعد حصولها على جائزة أوسكار عام ١٩٥٤، وصورة أخرى لأعضاء في الكنيست الإسرائيلى في سبعينات القرن الماضى وهم يشيرون بالإشارة نفسها أيضًا، وقد استغلت الصين كعادتها الموقف وسارعت بصنع الكثير من المنتجات التى تحمل نفس العلامة مثل التيشيرتات وأغلفة المحمول[2].

وتهدف هذه المنظمة على القضاء على الدين المسيحى، فمنذ بداية نشأتها كانت تهدف إلى القضاء على انتشار الدين المسيحى منذ عام ٤٤ ميلاديًا، وحتى الآن، ونحن فى القرن الواحد والعشرين، هدفت أيضًا إلى نشر ثقافة الانحلال والقضاء على الأخلاق، ومحاربة الدين الإسلامى.

(١) http://www.mrfourfingers.com

(٢) ملحق جريدة الأهرام، ليوم الجمعة ٣٠ شوال ١٤٣٤ هـ - ٦ ديسمبر ٢٠١٣م (ص: ٨).

تأسيسها:

لقد أسسها (هيرودس أكريبا) (سنة ٤٤م) ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين - (حيران أبيود) : (نائب الرئيس) ، (مواب لامى): (كاتم سر أول)

التحرك على أرض الواقع:

هذه المنظمة بدأت تتحرك على أرض الواقع من خلال مرحلتين:

المرحلة الأولى:

منذ نشأتها، فقد اعتمدت على المكر، والتمويه، والإرهاب حيث اختاروا رموزًا وأسماءً، وإشارات للإيهام والتخويف، وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل (سليمان عليه السلام).

قال (الحاخام لاكويز): (الماسونية يهودية في تاريخها، ودرجاتها، وتعاليمها، وكلمات السر فيها، وفى إيضاحاتها ... يهودية من البداية إلى النهاية)

وأما تاريخ ظهورها، فقد اخْتَلِفَ فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٤ م. وَسُمِّيَتْ القوةُ الخفيةُ وهدفها التنكيل بالنصارى واغتيالهم، وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار، وكانت تُسمى في عهد التأسيس (بالقوة الخفية) ومنذ بضعة قرون تَسَمَّتْ (بالماسونية) لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها، ثم التصق بهم الاسم دون حقيقة.

المرحلة الثانية:

وقد بدأت سنة ١٧٧٠م عن طريق (آدم وايزهاويت) المسيحى الألمانى، والذى ألحد واستقطبته الماسونية، وَوَضَعَ الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، وَوُضِعَ أول محفل في هذه الفترة باسم (المحفل النورانى)

نسبة إلى الشيطان الذى يقدسونه، ومع غياب المؤسسات التعليمية، كان يتم توريث المعلومات، والخبرات الحيوية اللازمة لاستمرار المجتمع من خلال نقابات الحرفيين، وبدون هذه العملية، لم يكن المجتمع ليحقق أى استمرار، وكانت جماعات الْبَنَّائِين من أقوى الجماعات الحرفية، ذلك لأن العصور الوسطى كانت في العصر الذهبى لبناء الكاتدرائيات، والأديرة، والمقابر، وكان البناؤون يعيشون على أجرهم وحده، على عكس الحرفيين الآخرين، مثل النساجين، والحدادين الذين كانوا يتقاضون من زبائنهم مُقَابِلاً عَيْنِيًّا من خلال نظام المقايضة، ولذلك فكان المنشغلون بعملية البناء عليهم الانتقال من مكانٍ إلى آخر بحثًا عن عمل، ولذا، يمكن القول بأن البنائين كانوا من أكثر القطاعات حركية في المجتمع الوسيط في الغرب، وكان على البنائين أن يجدوا إطارًا تنظيميًّا يتلائم مع حركيتهم، فالنقابات الحرفية بتنظيمها المألوف كانت ملائمة للحرفيين الثابتين، أما بالنسبة لِلْبَنَّائِينَ، فكان لابد من ابتداع إطارٍ حَرَكِيٍّ خَاصٍّ بهم، ومن هنا كانت فكرة البناء الذى يُقَالُ له بالإنجليزية: (لودج lodge) أى (المحفل) والمحفل هو عبارة عن كوخ يُبنى من الطين، أو مادة بناء أخرى تَسْهُلُ إزالتها بعد عملية البناء، وكان المحفل هو المكان الذى يلتقى فيه البناءون حيث يتبادلون المعلومات، ويعبرون عن شكواهم وضيقهم من أحوال العمل، ويتبادلون الأخبار، والمشروبات، كما كان بوسعهم النوم في المحفل وقت الظهيرة، وكان العضو الجديد من جماعة البنائين يذهب إلى المحفل لمقابلة أبناء حرفته، ومن هنا ظهرت فكرة السرية والرمزية، إذ كان لابد أن يتوصل هؤلاء البناءون إلى لغةٍ، أو شفرةٍ خاصةٍ بهم لا يفهمها سواهم، ولا يستطيع صاحب العمل، أو غير المشتغلين بحرفة البناء فهمها، وقد أخذت الشفرة شكل عباراتٍ خاصةٍ وطرقٍ معينةٍ في المصافحة، وإشاراتٍ بالأيدى الهدف منها أن يتمكن الْبَنَّاءُ من التفرقة بين أبناء حرفته الحقيقيين الذين تلقوا التدريب اللازم، وينتمون إلى نقابة الحرفيين وبين الدخلاء على الحرفة، وقد التزم البناءون بمجموعةٍ من الواجبات ضمها مَا يُسَمَّى (كتب

الواجبات، أو كتب التعليمات، أو الدساتير) ومن أهمها مخطوط (ريجوس) الذى يعود إلى عام ١٣٩٠م، (وتذكر كتب الواجبات) أن الْبَنَّاءَ يَتَعَيَّنُ عليه مساعدة زملائه، وعدم ذَمِّهِمْ، وعليه تعليم المبتدئين منهم، كما أن عليه إيواء الدخلاء.

الْمَبَادِئُ وَالطُّقُوسُ الْخَاصَّةُ بِالْمَاسُونِيَّةِ:

يصف الماسونيين حركتهم بمجموعة من العقائد الأخلاقية مثل الحب الأخوى، والحقيقة، والحرية، والمساواة، واستنادًا على الماسونيين، فإن تطبيق هذه المبادئ يتم على شكل طقوس يتدرج العضو فيها من مرتبة متبدأ إلى مرتبة خبير، ويتم التدرج في المراتب اعتمادًا على قدرة العضو على إدراك حقيقة نفسه، والعالم المحيط به وعلاقته بالخالق الأعظم الذى يؤمن به بغض النظر عن الدين الذى يؤمن به العضو، وهناك الكثير من الغموض حول رموز وطقوس وتعاملات الماسونية وفى السنوات الأخيرة أدرك قادة الماسونية أن كل هذا الغموض ليس في صالح الماسونية وأن السرية التى كانت ضرورية في بدايات الحركة قد تم استعمالها لنشر الكثير من نظريات المؤامرة حول الحركة، فقامت الحركة بدعوة الصحافة، والتليفزيون إلى الاطلاع على بعض الأمور الْمُتْحَفِيَّةِ، وتصوير بعض الجلسات، ولكن لم يسمح الإعلام بتصوير، أو مشاهدة جلسات اعتماد الأعضاء، واستنادًا على الماسونيين، فالطقوس المستعملة والتى يصفها البعض بالمرعبة، ماهى إلا رموزٌ استعملها البناؤون الأوائل في القرون الوسطى ولها علاقة بفن العمارة والهندسة، وَيُعْتَبَرُ الزاوية القائمة والفرجار من أهم رموز الماسونية وهذا الرمز موجود في جميع مقرات الماسونية إلى جانب الكتاب المقدس الذى يتبعه ذلك المقر، وعند اعتمادِ عضوٍ جديدٍ يُعطى له الحق باختيارِ أىِّ كتابٍ سماوىٍّ يعتبره ذلك الشخص مقدسًا، ويستخدم الماسونيين بعض الإشارات السرية ليتعرف بواسطتها عضوٌ في المنظمة على أىِّ عضوٍ آخر، وتختلفُ هذه الإشارات من مقرٍّ إلى آخرَ.

أفكارهم، ومعتقداتهم:

(١) يكفرون بالله ورسله، وكتبه، وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خُزَعْبَلاَتٍ، وَخُرَافَاتٍ.

(٢) يعملون على تقويض الأديان.

(٣) العمل على إسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمةالحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.

(٤) إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

(٥) العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكلٍ دائمٍ.

(٦) تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

(٧) بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

(٨) تهديم المبادئ الأخلاقية، والفكرية، والدينية، ونشر الفوضى، والانحلال، والإرهاب، والإلحاد.

(٩) استعمال الرشوة بالمال، والجنس مع الجميع وخاصة ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية تبرر لوسيلة.

(١٠) إحاطة الشخص الذى يقع في حبائلهم بالشباك من كل حانبٍ لإحكام السيطرة عليه وتيسيره كما يريدون، ولينفذ صاغرا كل أوامرهم.

(١١) الشخص الذى يلبى رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابطٍ دينيٍّ، أو أخلاقيٍّ، ولينفذ صـ غرًا كل أوامرهم.

(١٢) إذا تململ الشخص، أو عارض في شيءٍ تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

(١٣) كل شخص استفادوا منه، ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

(١٤) العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

(١٥) السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة.

(١٦) السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

(١٧) بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

(١٨) دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى.

(١٩) الدعوة إلى العقم الاختيارى وتحديد النسل لدى المسلمين.

(٢٠) السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين، كمنظمة الأمم المتحدة للتربية، والعلوم، والثقافة، ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة، والشباب، والشابات في العالم.

وللحركة الماسونية تاريخ أسود، وتردد اسمها عند نشأة كثير من الحركات السرية، والعلنية، وفى مؤامراتٍ عديدةٍ، وعُرفت بطابع السرية والتكتم، وبالطقوس الغريبة التى أخذت الكثير من رموزها من التراث اليهودى، وكُتبت حولها الآلاف من الكتب في الغرب، وفى الشرق، ومن أهم الحركات والثورات التى كانت الماسونية وراءها (الثورة الفرنسية)، وحركة الاتحاد والترقى التى قامت بحركة انقلابية ضد السلطان (عبدالحميد الثانى) ووصلت إلى الحكم، ثم ما لبثت أن ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية

الأولى مما أدى إلى تمزقها وسقوطها، والماسونية حركة بدأت في أوربا (في العالم الغربى) إلا أنها انتشرت في العالم بأسره، ورغم انتشارها هذا إلا أنها لم تصبح حركة عالمية، إذ لا يوجد نمط واحد للتطور، فالماسونية في الغرب مختلفة عنها في العالم الثالث، وهى في إيطاليا مختلفة عنها في أمريكا اللاتينية، وكما أن الحركات الماسونية المختلفة خدمت دولها لذا قامت الحركات الماسونية البريطانية بخدمة الاستعمار البريطانى، وقامت الحركة الماسونية الفرنسية بخدمة الاستعمار الفرنسى، ولذا نشب صراعٌ بين الحركتين، والماسونية وراء عدد من الويلات التى أصابت الأمة الإسلامية. ووراء جُلِّ الثورات التى وقعت في العالم، فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية، وعزل السلطان عبدالحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية، والبلشفية، والبريطانية، وقد تم إغلاق المحافل الماسونية في (مصر) لأنها رفضت أن تخضع لتفتيش وزارة الشئون الاجتماعية نظرًا لأن هذا يتعارض مع ما تتطلبه الحركةِ من سريةٍ وكتمانٍ فيما يتصل بالطقوس، وقد أغلقت محافل الماسونية في (مصر سنة ١٩٦٥م) بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل.

الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ الْمَاسُونِيَّةِ :

قال الشاعر (إبراهيم اليازجى) الذى كان ماسونيا من لبنان، وقد كتب القصيدة التالية في أواخر القرن الماضى قائلاً:

الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِى هَدْمِ الْجَوَامِعِ وَالْكَنَائِسْ
وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ مَا بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَالْقَلَانِسْ
مَا هُمْ رِجَالُ اللهِ فِيكُمْ، بَلْ هُمُ الْقَوْمُ الأَبَالِسْ
يَمْشُونَ بَيْنَ ظُهُورِكُمْ تَحْتَ الْقَلَانِسِ وَالطَّلَانِسْ

تمنى هذا الماكر الخبيث، والذى ارتدى رداء الأباليس أن يهدم الإسلام، والديانة الإسلامية والمتمثلة في الجوامع، أو مساجد المسلمين، وكنائس الأقباط، وأشار في البيت

الثانى أن كل الشرور تكمن بين (العمائم) وهم رجال الأزهر الشريف، (والقلانس) والمتمثلة في القساوسة رعاة الكنائس ويهدف كذبًا أن كل الشرور ما بين الرؤوس التى تتغطى تحت (العمائم، والقلانس)، ويستطرد في البيت الثالث أن هؤلاء، والمشار إليهم سابقًا، ليسوا من رجال الله، ولكنهم قومٌ من الأباليس والشياطين، وهم يمشون بين المسلمين، والأقباط متسترين تحت غطاء الرأس من العمائم، والطلانس، أو القلانس، وهما غطاء رأس (القس) أثناء الْقُدَّاسِ، أو غطاء رأس (الرهبان) أقول لك أيها الماكر العربيد: (كبرت كلمة تخرج من فاهك إلا كذبا)، ولن تبلغ أمنياتك الشيطانية، لأن الله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

وقد أصدرت (جامعة الدول العربية) عام ١٩٧٩ القرار رقم ٢٣٠٩ والتى نصت على: (اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية، لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذى يدعم اقتصادها ومجهودها الحربى ضد الدول العربية) وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ أصدر الأزهر فتوى كان نصه: (أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونيا، لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخٌ تدريجيٌ عن شعائر دينه ينتهى بصاحبه إلى الارتداد التامِّ عن دين الله) وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بيانًا، بشأن الماسونية، والأندية التابعة لهذا مثل الليونز، والروتارى جاء فيه: (يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ وناد، بل واجبه أن يتمثل لأمر رسول الله ﷺ حيث يقول: (لاَ يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً يَقُولُ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتَ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتَ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ) وواجب المسلم أن يكون يَقِظًا لاَ يُغَرَّرُ به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها، وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه، ولا ما نخفيه والله أعلم، وأصدر المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الإسلامى فتوى جاء فيها: (قد قام أعضاء

المجمع بدراسةٍ وافيةٍ عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كُتِبَ عنها من قديمٍ وجديدٍ، وما نُشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفاتٍ، ومن مقالاتٍ في المجلات التى تنطق باسمها وقد تبين للمجمع بصورةٍ لا تقبل الرَّيْبَ من مجموع ما اطُّلِعَ عليه من كتاباتٍ ونصوصٍ ما يلى:

(١) أن الماسونية منظمة سرية تخفى تنظيمها تارةً، وتعلنه تارةً، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها، إلا خواصَّ الخواصِّ الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عُلْيَا فيها.

(٢) إنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساسٍ ظاهريٍّ للتمويه على المغفلين، وهو الإخاءُ الإنسانِيُّ المزعومُ بين جميع الداخلينَ في تنظيمها دون تمييزٍ بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

(٣) أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساسِ أَنَّ كل أخ ماسونى مجند في عون كل أخ ماسونى آخر، في أى بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوى الطموح السياسى ويعينه إذا وقع في مأزقٍ من المآزقِ أيًّا كان على أساس معاونته في الحق، لا الباطل، وهذا أعظم إغراءٍ تصطاد به الناس في مختلف المراكز الاجتماعية، وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

(٤) إن الدخول فيه يقوم على أساسِ احتفالٍ بانتسابِ عضوٍ جديدٍ تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التى تصدر إليه بطرق التسلسل في الرتبة.

(٥) أن الأعضاء المغفلين يتركون أحرارًا في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من

توجيههم وتكليفهم في الحدود التى يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة، أو المستعدون للإلحاد فترتقى مراتبهم تدريجيًا في ضوء التجارب، والامتحانات المتكررة للعضو حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة.

(٦) أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة، أو خفية.

(٧) أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية، وصهيونية النشاط.

(٨) أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

(٩) أنها تحرص على اختيار المنتمين إليها من ذوى المكانة المالية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذًا لأصحابها في مجتمعهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفى الدولة ونحوهم.

(١٠) أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهًا وتحويلاً للأنظار، لكى تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيطٍ ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة (الروتارى، والليونز)، إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التى تتنافى كليًا مع قواعد الإسلام وتناقضهُ مُناقضةً كُلِّيَّةً)[1].

يقول الأستاذ (على عشماوى) والذى قد تم تجنيده فى الجهاز السرى، أو التنظيم الخاص للإخوان: (لقد أصبح الإخوان يعيشون فى مجموعة مغلقة فى جميع أنحاء العالم لهم طقوسهم بأنهم فرقة من الفرق الإسلامية، وإن بعض الدول والحكومات يتخوفون

(١) شبكة الانترنت – موسوعة ويكيبيديا.

منهم بشدة نتيجة هذه السلوكيات الغربية، وينظرون إليهم كما لو أنهم يتشبهون (بالماسونية، أو نوادى الروتارى المنتشرة فى العالم كله) [1].

عِلاَقَةُ الإِخْوَانِ بِالْمَاسُونِيَّةِ :

يقول الأستاذ (ثروت الخرباوى): (انكببت فى فترة من حياتى على القراءة عن الماسون والماسونيين وكان مما قرأته أن الأفراد العاديين للماسون لا يعرفون الأسرار الْعُظمى لتنظيمهم العالمى، تلك الأسرار تكون مخفية، إلا على الذين يؤتمنون على الحفاظ على سِرِّيَّتِهَا، وتكون هى الهيكل الذى يحفظ كيان الماسونية، وعند بحثى فى الماسونية استلفت نظرى أن التنظيم الماسونى يُشبه من حيث البناء التنظيمى جماعة الإخوان، حتى درجات الانتماء للجماعة وجدتها واحدة فى التنظيمين، وبعد الاطلاع والبحث قد وقع تحت يدى طبعة قديمة لأحد كتب الشيخ (محمد الغزالى)، وإذ جرت عينى على سطور الكتاب وجدته يتحدث عن أن المرشد الثانى (حسن الهضيبى) كان مَاسُونِيًّا! ولم تتحمل عينى استكمال القراءة، فأغلقت الكتاب ووقعت فى حيرة مرتابة [2].

وفى أحد حوارات الكاتب مع الأستاذ (أحمد أبو غالى) قال: (إن بعض الإخوان لهم صلات بالماسونية، وهناك صلة بين كل الجمعيات السرية فى العالم، فطريقتها واحدة، حتى ولو اختلفت الأفكار والتوجهات، ولا تقوم جمعية سرية إلا لتُعد نفسها ليوم مشهود تكون فيه فى منتهى الجاهزية لفرض أفكارها على العالم، والماسونية من هذه الجمعيات، وقد كانت لها هيمنةٌ وتأثيرٌ على المجتمع المصرى فى بدايات القرن العشرين إلى منتصفه، وبعد أن ألغاها (عبدالناصر) أخذت تظهر فى صورٍ أخرى، لذلك كُن على يقين أن الماسونية استطاعت دخول جماعة الإخوان، ودخولِ جمعياتٍ أُخرى) [3].

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان. مذكرات على عشماوى ص: ٧٥.

(٢) سر المعبد، للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: ٢٦.

(٣) المصدر السابق ص: ٢٣٦-٢٣٧.

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: كيف يقبل أعضاء الجماعة هذا الأمر؟

فيجيب الأستاذ (أحمد أبو غالى) مُعَلِّقًا: (ومن قال لك إنهم يعلمون عند صحة هذه الفرضية أنهم يعملون لتحقيق مصالح الماسونية، هذا أمر شبيه بمواطن مصرى مسلم ومتدين يعمل فى مؤسسةٍ أمريكيةٍ كُبْرَى، هو فى الحقيقة فى عمله هذا يخدم توجهات مؤسسته حتى ولو كانت تنتج آلة من آلات الدمار التى ستقوم أمريكا فى يومٍ ما باستخدامها لتدمير أهله وبيته، وليس شرطًا أن يعلم أن مؤسسته هذه تنتج هذه الآلة وأنها ستدمر بها أهله، ومع ذلك عمله ساعدها فى ذلك، وبالتالى ووفقًا لهذا الاستنباط من الممكن أن تعمل مؤسسة كُبرى كمؤسسة الإخوان بكل أفرادها فى خدمة بعض أهداف الماسونية، أو الأمريكان، أو الصهيونية، دون أن يعلم أفراد الإخوان أن جماعتهم حين تقوم باتخاذ موقفٍ مَا إنما تخدمُ جهةٍ مَا، لأن شكل القرار سيكون وكأنه يصب فى مصلحة الإسلام، وبالتالى سيكون أىَّ مُعَارِضٍ لهذا القرار وكأنه يقف ضد تمكين الإسلام) ثم يعلق الكاتب مُتَعَجِّبًا فيقولُ: (يا ربى !! المسألة أكبر مما كنت أتوقع، بل أكبر من أى توقع لأى فرد سليم الطوية، هذا خليطٌ بشرىٌّ مدهشٌ مكونٌ من الماسونية والإخوانية والأمريكية، (ماسيو إخوانكية)، وهذا مصطلحٌ سياسىٌّ جديدٌ!) [1].

ولكى نحلل عزيزى القارئ، وعلى أرض الواقع أن الإخوان قد خرجت من باطن الماسونية، أى: الصهيونية العالمية، فيجب علينا أن نحلل أفكار ومعتقدات هذه المنظمة أولاً، وثانياً: نربط هذه الأفكار والمعتقدات بواقع (الإخوان) لنجد بها تشابهًا كبيرًا على واقع التطبيق، فمثلاً نجد فى النقطة رقم (٣) من الصفحات السابقات، والتى تقول: (العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة والسيطرة عليها) وهذا ما تم بالفعل فى ثروات ما يدعون بأنها ثورات (الربيع العربى)،

(١) المصدر السابق ص: ٢٤٧-٢٤٨.

ولكنها كانت ثورات انضباب، واخراب العربى، فنجد أن الإخوان قد استولوا على الحكم فى (تونس)، وقد فشلوا بعد اغتيال العديد من قيادات الأحزاب المخالفة لحزب النهضة والبارزين فى مجتمعهم، وإراقة دماء الكثيرين من شباب هذه البلدة، ثم يليها (ليبيا) وقد دَمَّرَ الإخوان الكثير من المنشآت، وكثير من الاغتيالات، وفشل الإخوان أيضًا، وما زال الخلاف والتقسيم قائمًا، ثم يليها (مصر) وقد قامت الإخوان بليلٍ بالاستيلاء على السلطة، ومحاولة تركيع المصريين على مفاصل الدولة، وتهميشهم فى كل متطلابتهم، بل ورفعوا أنوفهم وتطاولوا على هذا الشعب المخلص لبلده، وقدِ صُمَّتِ الآذان على أبسط حقوقهم، وطبقوا المثل الدارج (وِدْنٌ مِنْ طِينٍ، وَأُخْرَى مِنْ عَجِينٍ)، ثم قاموا باغتيال الشباب الأطهار الذين هم أصل الثورة ووقودها، والذين كانوا ينادون: (بالعيش والحرية، والعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية) ثم قاموا بإحراق المنشآت الحكومية، واغتيال بعض أفراد الشرطة، وبعض أفراد الجيش، واستخدام العربات المفخخة، والأحزمة الناسفة، مما أدى إلى كُرْهِ المصريين لهؤلاء، فأزاحهم الشعب عن الحكم وأعادهم إلى ما كانوا عليه فى السجون مرة أخرى، وإذا نظرنا إلى النقطة الرابعة، والتاسعة، والثامنة عشر، وهم كالآتى: (إباحة الجنس، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة)، و(استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية تبرر الوسيلة عندهم)، و(دعوة الشباب، والشابات إلى الانغماس فى الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى) وهذا ما تم بالفعل فى اعتصام (رابعة العدوية) فهيا لنقترب من المشهد، ولنعلم حقيقة مَن يُقَالُ، يقول: (عبدالله فتحى) وهو شاب فى منتصف الثلاثينات: (اتصل بى أحد كبار الإخوان بالمنوفية وقد تحفظ على ذكر اسمه، وقد أعطانى ٥٠٠٠ جنيه، وقال: دى فلوس لك علشان تجمع الناس وكل راجل تجيبه هياخد ٢٠٠ جنيه، وممكن يصل إلى ٤٠٠ جنيه، ثم يستطرد قائلاً: فى أول مرة ذهبت أنا

والناس إلى (رابعة) وقعدت اليوم كله، ولما حاولت أن أمشى، قالوا لى: رايح فين؟قلت: مروح، قالوا: ليه؟ قلت: علشان عيالى، وبيتى، وكده، فقالوا لى: لو انت مروح علشان تمارس حقك الشرعى مع زوجتك، فأنت مش محتاج تروح، فقلت: يعنى إيه؟ قالوا: هنا حريم مستعدين لجهاد النكاح، فمفيش داعى تروح) [1]، وقد حدث ذلك بالفعل، وسمعنا من مصادر صحيحة أن أكثر البيوت قد خُرِبَتْ من جَرَّاءِ ذهابِ السيداتِ، والشاباتِ إلى (رابعه) وعندما عُرفت الحقيقة وظهر آثار الحمل على الشابات عقب فض الاعتصام وعودتهن إلى بيوتهن ظهر المستورُ، واتضحت الحقائق وقد قادت الناشطة التونسية (سلمى اللومى) أكبر حركة احتجاج ضد استمرار هذه الظاهرة فى بلادها وانتقالها فى عدد من البلدان العربية ومن بينها (مصر) والتى سافر منها عددٌ كبيرٌ من الشباب المنتمين للتيار الإسلامى من الجنسين إلى (سوريا) فى أثناء حكم الرئيس المعزول (محمد مرسى)، قالت الناشطة فى بيان لها: (هذه الفتوى كلها عار على تونس) ودعت للتصدى لتدفق الدعاة الوهابيين، وفى مصر بدأ الأمر مرتبطًا بشدة فيما يدور بتونس حول هذه المظاهرة، ففى ميدان (رابعة العدوية) المكان الذى تجمع فيه أنصار الرئيس المعزول، لإرباك الدولة، ومحاولة صنع ازدواجية فى الحكم وذلك قبل فَضِّ الاعتصامِ فى قرارٍ بدأ للمتطرفين بعيدًا عن التحقق مع وجود سلاح وتهديد من الإرهابيين بتفجير مصر، لو تم فض الاعتصام، وكانت قضية (جهاد النكاح) من القضايا المطروحة خاصة وأن شهادات متعددة روت أن هذا النوع من الزواج يتم الحث عليه، وكالعادة نفى الإخوان والإرهابيون الموالون لهم ذلك، لكن بعض الْفَضِّ عُثِرَ أسفل المنصة وداخل خيام الاعتصام على كُتَيِّبَاتٍ تتحدث عن (الحور العين) التى تنتظر المجاهدين، لو استشهدوا على أرض المعركة، وأحد هذه الكتيبات كانت تتحدث عن (جهاد النكاح) ووجود تأصيل فقهى له ودعم وجهة النظر هذه وجود سوريين كثيرين بين المعتصمين من

(١) جريدة الوفد - السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م العدد (٨٣٥٠) ص: ٧.

مُنَظر فى الشام الذين وُجِدُوا فى حكم (مرسى) ملاذًا آمنًا للهاربين من أحكامٍ قضائيةٍ فى بلادهم، أو الموضوعة أسماؤهم فى قوائم التنظيمات المتطرفة، وقد نفى (الإخوان) وجود حالات (زواج مناكحة) قبل أن تُكشف هذه الكتيبات التى تم تحريزها والاحتفاظ بها فى ملفات قضايا من حَرَّضُوا على العنف والموجودين فى الاعتصام بهذا النوع من (الجهاد) وقد كان معروفًا أن (صفوت حجازى) وكما قال هو نفسه فى تصريحاتٍ مسجلةٍ له، قد أرسل عشرات الشباب المصرى إلى سوريا، بل اعترف أيضًا بإمداد المتطرفين هناك بالسلاح وهو لم يُنكر بشكلٍ حاسمٍ وجود توافق بين قيادات التطرف على ضرورة (التسرية والترفيه) عن المقاتلين من أجل ما يعتقدونه (حكم الشرع والشريعة)، ولوحظ ذلك فى حكم تونس ومع وجود حكم (إخوانى) لم يسقط حتى الآن رغم سقوط حكم الجماعة الأم فى القاهرة، ولم يتم نفى كلام أكبر مسئول أمنى هناك، ولم يخرج (راشد الغنوشى) رئيس الوزراء الإخوانى هذا الكلام رغم صدوره من مسئول من حكومته يعرف بحكم منصبه للمعلومات الحقيقية والكاملة عَـمَّـا يتحدث فيه، وَلُوحِظَ أَيْضًا أن الجماعة سواءً فى القاهرة، أو تونس ليس لديها وجهات نظرٍ متعددة فى قضيةٍ، بل على العكس ما يُؤمن به مَنْ هُنَا هو نفس ما يؤمن به مَنْ هُنَاكَ، فالجماعة فاقدة العقل تثبت الأحداث أنها فاقدة الأخلاق، ولقد استفز كشف حقيقة وجود (جهاد النكاح) وما يُعتقد فيه ويُنفذه مُجَاهِدُوا الإخوان والجماعات المتطرفة مُفَكِّرًا إسلاميًّا فلسطينيًّا قال بعد تصريحات وزير الداخلية التونسى: (إن مضمون جهاد المناكحة أن يقوم المجاهد بالزواج لساعاتٍ محدودةٍ من سوريات وذلك لكى يفسح المجال الآخرين، ذلك أن هذا النوع من الزواج يَشِدُّ من أزر المجاهدين وَيُعْتَبَرُ من موجبات الجنة لمن يقمن به، وهذه الفتوى لا تختلفُ كثيرًا عن الفتاوى التى تَعِدُ (المجاهدين) بالحور العين فى جنات النعيم، وبعشاءٍ فاخرٍ فى صحبة الرسول الأعظم فى ذلك اليوم الذى تصعد فيه روح المجاهد إلى السماء، وَيُعَقِّبُ على نَصِّ الفتوى قائلاً: (تقول الفتوى: يَنُصُّ على أن يقوم المجاهد بعقدِ

زواجٍ على الفتاةِ التى لابد أن يكون عمرها أربعة عشر عامًا فأكثر، أو من المطلقات، أو من الأرامل، ثم يقضى حاجته الجنسية بطريقةٍ شرعيةٍ، ثم يتم بعد ذلك إلغاء العقد ليعقد لذات الفتاة على مجاهدٍ آخرَ رُبَّمَا فى نفس النهار، أو ذات الليلة، والحقيقة أنه إذا لم تكن هذه هى الدعارة، أو البغاء بعينه، فماذا يمكن أن تكون)؟ (١).

وإذا نظرنا إلى النقطة الخامسة فى أفكار ومعتقدات الماسونية والتى تقول: (العمل على تقسيم غير اليهود إلى أممٍ متنابذةٍ تتصارع بشكلٍ دائمٍ) لنجد حقيقة ذلك على أرض الواقع، فالسودان قد قُسِّمَتْ إلى جزئين (الشمالى، والجنوبى) الشمالى بقيادة (البشير)، و(الجنوبى) بقيادة (سالفاكير)، وتتنازع الجنوب الآن لتنقسم هى الأخرى وحتى تتفتت السودان إلى دويلاتٍ صغيرةٍ، كما هو مخطط الشرق الأوسط الكبير، وقد حدث ذلك فى ليبيا، ويحاولون ذلك أيضًا فى سوريا، ونجحوا فى ذلك المخطط فى العراق ونجحوا أيضًا فى تونس، ونجحوا أيضاً في اليمن ولكنهم فشلوا فى مصر، لأن الله راعيها، بفضل شيوخها، وأطفالها، وعلمائها الربانيين، وكل ذلك قد تم بتخطيط من الصهيونية العالمية والمتمثلة فى أمريكا وإسرائيل، وبعض الدول الأفروآسوية مثل إيران، وتركيا، وقطر، وحماس، أما التنفيذ على أرض الواقع فهم (جماعة الإخوان) الموجودين فى تلك البلاد، ولكننا لم نجد ذلك التقسيم فى أرض فلسطين المحتلة، أى: التى اغتصبتها إسرائيل، ألم يجب علينا، كأمة الإسلام والعرب جميعًا أن نتمسك بوحدتنا ووحدة أراضينا، ويكون التقسيم لعدونا الغاشم المتربص بنا وبأرضنا؟ وأما النقطة الثامنة والتى تقول: (تهديم المبادئ الأخلاقية، والدينية، ونشر الفوضى، والانحلال، والإرهاب) وقد حدث ذلك بالفعل على يد (الإخوان) وفى حكم (مرسى المعزول وأيامه) العجاف، من هدمٍ للأخلاقِ، وذلك بتسليط الإخوان للبلطجية أن يندسوا بين المتظاهرين فى ميدان (التحرير) وغيرها

(١) جريدة الصباح الاثنين ١٧ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ - ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣ م. - السنة الأولى - العدد: ١٤ - ص: ٢٠.

من الميادين، بالتعدى على السيدات والتحرش بهن، حتى يُمنعوا من أبسط حقوقهن، وهو حق التظاهر والتعبير عن الرأى، وهذا يؤدى إلى طمث الحريات، وهدم المبادئ الأخلاقية والدينية، ولم يكتفوا بذلك، بل أثاروا الذعر والفوضى العارمة حتى يُظهروا للدول المتحالفة معهم مثل أمريكا وغيرها أن مصر غير قادرة على حماية شعبها، وأنها تعيش فى فوضى، ثم أرادوا أن يُبيحو لأنفسهم أنهم جهة تحقيقٍ مكان السلطة التنفيذية والمنوط بها جهاز الشرطة، وقد ظهر ذلك واضحًا أمام قصر الاتحادية من إرهابٍ وإرعابٍ للمتظاهرين، والتعدى عليهم بالسبِّ والضرب، وغير ذلك من أنواع الإرهاب والتعذيب، ثم قاموا بتصفية أجساد كل من عارضهم، فاستخدموا الإرهاب الأسود فى إزهاق الأرواح، وإحراق المساجد، والكنائس، والمنشآت بالمولوتوف، والأحزمة الناسفة، والسيارات المفخخة، والقنابل المدمرة، وهذه شهادة المهندس الزراعى (سعيد عبدالعاطى) يقول: (إن أبناء عمومته قد ضغطوا عليه بشدة لكى يُشارك فى إحدى التظاهرات التابعة (للإخوان) وهددوا بمقاطعته إلى الأبد إذا لم يفعل، ويستطرد قائلاً: أمام ضغوط أبناء عمومتى اضطررت للذهاب إلى إحدى تظاهراتهم وياريتنى مارحت؟ ثم يُكْمِلُ حديثه قائلاً: كنت وسط المظاهرة وأثناء سيرنا وعلى بُعد ١٠ أمتار منى رأيت أحد المتظاهرين يُخرج من ملابسه مُسدسًا وبسرعةٍ غريبةٍ أطلق الرصاص على أحد المتظاهرين، ثم أدخل المسدس فى حقيبة كان يحملها، وأعطاها لمتظاهرٍ بجواره ربما كان على ثقة منه ثم أسرع بالجرى عكس اتجاه المظاهرة وهو يهتف الجيش بيضرب نار .. الجيش بيضرب نار، ثم يقول: حاولت أن أتتبعه وأمسكه ولكنه اختفى وسط الزحام وعجزت عن الوصول إليه خاصةً، بعد أن ساد هرجٌ، ومرجٌ بين المتظاهرين، ثم ينهى حديثه قائلاً: إن الإخوان يقتلون بعضهم بعضًا فى التظاهرات لكى يلصقوا التهمة بالجيش والشرطة)[1].

(١) جريدة الوفد – السبت ١٩ من المحرم ١٤٣٥ هـ – ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م السنة (٢٧) العدد: (٨٣٥٠) ص: (٧).

أما النقطة السادسة عشر والتى تقول: (السيطرة على أجهزة الدعاية، والصحافة، والنشر، والإعلام، واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية) وهذا مَا تَمَنَّوْهُ، ولكنهم فشلوا مع الجرائد الحكومية، لأنهم قد حاولوا مرارًا وتكرارًا إبعاد الأستاذ (جمال عبدالرحيم) رئيس تحرير جريدة (الجمهورية) وأوقفوه عن عمله، ولكنه أبى أن يخرج من مكتبه وحافظ على حقه، ثم قاموا بمحاصرة مدينة (الإنتاج الإعلامى) ليُرْهِبُوا، ويُرْعِبُوا مذيعى، ومقدمى البرامج فى القنوات الفضائية، ولم يُخيفهم ذلك، ولم يُثْنِيهِمْ عن الصدق، وقول الحق، وطرح الأحداث على أرض الواقع وهم كُثُر، ثم حبهم لهذا الوطن، أما (جماعة الإخوان) فقد قاموا ببث الكذب فى قنواتهم، وجرائدهم مثل قناة (مصر ٢٥) و(الحافظ) و(الجزيرة) وغيرهما فى بث الكذب على المخدوعين منهم واستئجار محاورين مأجورين ينعقون بما لا يعلمون، ثم قام (عبدالمقصود) وزير الإعلام السابق بسرقة عَرَبَتَىْ بث مباشر بملايين الجنيهات من التليفزيون المصرى ووضعها فى (رابعة) لتساعد قناة الجزيرة فى بث الكذب، وليتطاول الأقزام على أسيادهم فى تلك الآونة.

وأما النقطة السابعة عشر، والتى تقول: (بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق، لتحويل عقول الجماهير، وطمس الحقائق أمامهم) وهذا ما فعله بعض الإخوان وكان أكثرهم حرصًا على ذلك (مسيلمة الحداد، أو جهاد الكذَّاب)، فلو كان لك أن ترسم صورةً للكذب المحض، فما عليك إلا أن تستلهم ملامح هذا الشاب المتحذلق (جهاد الحداد)، فهو الذى يميز بإتقانٍ أكثر ما يميز الجماعة وقياداتها، فهو الأكذب، والأكثر على تزييف الحقائق وتبديل الأدوار، والتى تعدت كل الحدود، فقد أصبحت شهرته فى الكذب (عالمية) وصار وصفه وصفته هو أنه أكذوبةٌ عالميةٌ على أرضٍ مصريةٍ، ووصلت درجة أكاذيب الحداد إلى اختلاق وقائع وليس تزييفها فحسب، فكتب تغريدة على موقع التواصل الاجتماعى تويتر، يَدَّعِى فيها أن هناك طائراتٍ تُلقى النار

على مُعْتَصِمِى (النهضة) وأن وَابِلاً من الرصاص يَنْصَبُّ على رؤوس المعتصمين، ثم نشر (هاشتاج) دعا إليه بالإنجليزية بعنوان (أنقذوا مصر من الانقلاب) وهو الأمر الذى أثار فزع مراسلة أجنبية هى (بيل ترو) مراسلة شبكة (روسيا) والتى قالت له عبر حسابه الرسمى: (أين أعمال العنف وإطلاق لنار التى تتحدث عنها؟ ولم أسمع، أو أشاهد شيئًا، ولم يتحدث أحد عن أَىَّ شَىْءٍ من هذا القيل .. ما كل هذا التضليل؟ ثم قالت فى تغريدة أخرى: هذا القدر الكبير من المعلومات لمغلوطة من قبل الجماعة، جعلنى أشعر بأننى مشوشة بصورة كبيرة .. أين الحقيقة؟؟!!، أما مراسل صحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية (مات برادلى) قد رد فى تغريدةٍ قائلا: (كذب قيادات الإخوان يفقدهم أى مصداقية مستقبلية، وهذا الأمر خطير) ثم نقل برادلى مجموعة من الصور التقطها (لميدان التحرير)، و(فى محيط قصر الاتحادية) على متن طائرة هليكوبتر تابعةً للقوات المسلحة، واصفًا إياها بقوله: (الملايين ينشرون فى ميادين مصر تأييدًا لدعوة السيسى للتصدى للإرهاب) هذا بخلاف ما قاله المحلل السياسى فى معهد (بروكنجز) (شادى حامد) قائلاً: (رغم إدانتى الكبيرة لسقوط ضحايا فى طريق النصر، فإن على قيادات الجماعة أن تتحرى الدقة فى بياناتها، لأن تناقض تصريحات، وتغريدات (جهاد الحداد) مع الواقع أَمْرٌ مُفْزِعٌ لكل وسائل الإعلام العالمية، وَيَهْدِمُ مِصْدَاقِيَّةَ الجماعة إلى الأبد)[1].

وأما الثانية عشر، والثالثة عشر وهما كالآتى: (إذا تململ الشخص، أو عارض فى شىءٍ تُدَبَّرُ له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره القتل) و(كل شخص استفادوا منه، ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة) يقول الأستاذ/ على عشماوى فى مذكراته: (أُصِبْتُ بإحباطٍ شديدٍ وغضب وثورة داخلية تكاد تقتلع قلبى من مكانه حُزْنًا على عمرى الذى أضعته كله مع هذه الجماعة، وقررت الانسحاب حتى

(١) جريدة اليوم السابع، ليوم الخميس ٢٣ من رمضان ١٤٣٤ هـ - أول أغسطس ٢٠١٣م - العدد (٧٩٣) ص: (٧).

قبل أن تُداهمنا الاعتقالات ودخول السجون، ولكن الأحداث كانت أسرع، وما إن تم الانفصال داخل السجن، إلا وتبعهُ اضطهادٌ من الجماعة، وتتالت الفتاوى فى حقى، (بالتكفير تارة)، و(بالنفاق تارة أخرى) ورأيت وعشت، كيف تخرج الفتاوى من ترزية هذا النوع من الفقه؟ ثم ساعد على قسوة الأمور ما صاحب الفتاوى من سمعٍ وطاعةٍ من أفراد الجماعة دون أن يُعْمِلَ أحدهم فكره ويعترض، ثم فوجئت بعد أن انتهت المحاكمة، جائنى الأخ (عباس السيسى) بعرضٍ محددٍ وهو نسيان ما كان فى أثناء المحاكمة، ونسيان الفتاوى إذا حَدَّدْتَ موقفى من الحكومة وهو ما كان إذا كنت أنوى تأييدها، أم لا ، فأجبته أن الحقَّ أحقَّ أن يُتَبَعْ، وأننى انتهيت منهم تمامًا، فزادت جرعة المقاطعة والتشهير، وبعد أن خرجت من السجن وجدتهم قد أَلَّفُوا كتبًا كثيرةً تقول عنى الكثير من التشهيرِ، وَالسَّبِّ، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا، وجدت التعليمات إلى الإخوان فى أمريكا قد سبقتنى إلى هناك، وهكذا فهم يجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترة من الزمن ثم انشق عليهم، وخرجت من (أمريكا) إلى (قطر) حيث ذهبت للعمل فى (الدوحة) فى مؤسسة (المسند)، وكان الشيخ (ناصر المسند) رحمه الله صديقًا عزيزًا، وقد ذهبت معه فى سنة ١٩٨١ للعمل فى مؤسسته بعد أن عدت من أمريكا، وقد كنت أعمل فى الماضى ببعض النشاط الإخوانى مع الأخ (سليمان الشناوى)، فاتصلت به، وجاء لمقابلتى وَرَحَّبَ بى فى (قطر) ثم دعانى إلى الطعام فى بيته، ولكنه قد دُسَّ لى السم فى الطعام، وخرجت من عنده لإفراغ ما فى معدتى، وفطن زملائى أنه تسمم، فنقلونى إلى المستشفى حيث أُجريت لى عملية غسيل معدة، وأخبرتهم أننى ربما قد تناولت طعامًا فاسدًا، ثم طلبت من الشيخ (ناصر المسند) أن يسمح لى بالعودة إلى مصر، وبعد إلحاحٍ منى، والرجل لا يعرف سبب إلحاحى على العودة وافق وأعادنى إلى مصر، وتلك تجربة لم أَبُحْ بها لِأَحَدٍ من قبل، لأنهم يُوزعون كتابًا يتضمنُ هُجُومًا عَلَىَّ، ولكل من حولى إمعانًا فى التشهير بى، حتى إن إحداهن قد التقت بابنتى وهى عائدةً من الدرس، لتقرأ عليها ما

كُتِبَ عنى من سَبٍّ وَقَذْفٍ [1].

ويقول الأستاذ ثروت الخرباوى: (وأنا جالس فى مكتبى أقلب الأفكار حلنى بساط الزمن إلى عام (١٩٥١) لأجد فى قلب القاهرة حواراً محتدمًا بين الشيخ (محمد الغزالى)، وبعض شباب الإخوان، وكان الغزالى قد ترك الإخوان وانشق عنهم بعد أن لم يَرْتَضِ البيعة للمستشار (حسن الهصيبى)، سأل (الغزالى) شباب الإخو ن: هل نحن جماعة من المسلمين) أم جماعة المسلمين؟ قال له بعضهم: بل نحن جماعة المسلمين، وقال آخرون: بل نحن جماعة من المسلمين، ثم بادرهم بِرِدِّهِ قائلاً: (إجابتكم هذه يترتب عليها نتائج ذات بال، بل نتائج ترتبط بها صيانة دماءٍ وأموالٍ! فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ (حسن الهضيبى) ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار)!

خرج (الغزالى) من هذا اللقاء وهو يتعجب من طريقة تفكير بعض الإخوان، ولكنه لم يتوقع أن تُصبح نغمة (جماعة الإخوان هى جماعة المسلمين) نغمةً سائدةً وَمُسَيِّدَةً عند الشباب، أنظر إلى (الغزالى) وهو فى زمنه، والآن، وبعد تحاوره مع هؤلاء الشباب يصطحب رفيقه وصديقه الشيخ (سيد سابق) فى نزهة سَيْرٍ قريبًا من شعبة الإخوان فى (المنيل)، فمرَّ بهما اثنانِ من شباب الإخوان من أولئك الشبان المفتونين بقيادتهم وأبيا إلا إسماعهما رأيهما فيهما فقالا لهما بألفاظٍ صريحةٍ فجةٍ فظةٍ: أنتما من أهل جهنم! وصادف ذلك من الشيخين ساعة تبسط، وَضَحِكًا فمضيا فى طريقهما وقد سقط طنين الكلمة النابية على الثرى قبل أن يتماسكا فى آذانهما) [2].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: (وعندما كنت أقلب بعض صفحات الكتب إذ أمسكت بأناملى كتاب الأستاذ (سعيد حوى) وهو بعنوان (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين)

(١) التاريخ السرى لجماعة الإخوان مذكرات/ على عشماوى ص: (١٢-١٣).

(٢) سر المعبد للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: ٢٧٦-٢٧٧.

وبينما كنت أُقلب صفحات الكتاب فوقع بصرى على عبارة غريبة يقول فيها: (إننا فى هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين، وَبَرْهَنَّا على أنها موجودة فى دعوة (الأستاذ البنا) ثم يقول: وعندما كنتِ أُقِرُّ الصفحات إذ وقعت عينى على عبارةٍ أُخرى، والتى تقول: (إن مواصفات الجماعة التى يُصبح أن تعتبرها جماعة المسلمين موجودة فى جماعة الإخوان كما أقامها البنا) إذن جماعة الإخوان، بلا مواربةٍ، أو توريةٍ هى جماعة المسلمين !! [1]

وهؤلاء يصدق فيهم قول الحق تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠) والاستفهامُ هنا إنكاريٌّ للنفيِ، أى: لا أحد أضل منه، وكيف لا؟ وهو أظلم الظلمة، بتقديم هواهُ على هدِى اللهِ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أى: الذين ظلموا أنفهسم بالانهماك فى اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين [2].

ثم يذكر (القرضاوى) فى مذكراته قبل نحو ٦٠ عامًا قائلاً: (بأنهم غدارون، ولا أمان لهم، ولا يبحثون سوى عن مصالحهم) ثم يكشف لنا فى جانبٍ آخر من تلك المذكرات، حقيقة تبادل الاتهامات بينه وبين الإخوان، عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتحديدًا فترة الخلاف بين الجماعة مع الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر)، حيث روى ذكرى مؤلمة عليه، بحسب تعبيره، عندما اتهمه الإخوان بالخيانة؛ لأنه أَيَّدَ الصلح بين الإخوان والثورة حرصًا على مستقبل الدعوة، ووصف الشيخ قيادات الجماعة بالغدارين قائلاً: (يُعاب على الإخوان أنهم إذا أحبوا شخصًا رفعوه إلى السماء السابعة، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى، والمفروض فى الإنسان المؤمن الاعتدال فى الحكم على الناس، الإخوان نشروا نبأ أن (القرضاوى) انضم إلى ركب الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منه، لأننى أيدت الصلح بين

(١) المصدر السابق ص: ٢٧٩.

(٢) تفسير القاسمى: (٧/ ٥٤٨).

الإخوان والثورة حرصًا على مستقبل الدعوة) ثم يتحدث الشيخ عن نشرة أصدرتها الجماعة فى هذه الفترة قائلاً: (لقد أذاعت هذه النشرة نبأ قالت فيه: إن (القرضاوى) و(العسال) مرقا من الدعوة وانضما إلى الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منهما، وقد استجاب الإخوان لذلك حتى قابلنى بعض الإخوة الذين كانوا يعتبرون من تلاميذى، فأعرضوا عنى، ونأوا بجانبهم، وبعضهم قال لى: لم يعد بيننا وبينك رباط) وتابع: (هذا أمرٌ شائعٌ فى الإخوان، أذكر حين صدر أمر بفصل الشيخ (الغزالى)، والأستاذ (صالح عشماوى)، والدكتور (محمد سليمان)، والأستاذ (عبدالعزيز جلال)؛ وكنا فى معتقل (العامرية) وكنت أتحدث مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين، وجاء ذكر الشيخ (الغزالى) فقال: (الغزالى لم يَعُدْ أَخًا لَنَا، لا هو، ولا إخوانه المفصولين من الجماعة، فقلت له: لم يعد أَخًا لنا فى الجماعة، لكنه بقى أَخًا لَنَا فى الإسلام، فَرَدَّ عَلَيَّ بقولِهِ: (إن عمله فصل ما بيننا وبينه، فقلت له: وهل يهدم تاريخ الشخص وجهاده كله بزلة واحدة يزلها؟ إن الله سبحانه، لو عامل الناس بهذه الطريقة، لدخلوا جميعًا جهنم) وتساءل (القرضاوى): (لو كان هذا هو تعامل الإخوان مع أعضاء جماعتهم، فما ظنك بغيرهم) [1].

ثَالِثًا: مَا فِكْرُ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانُ؟

عندما يقف المرء أمام أفكار هذه الجماعة، ليفتح بابها يجد نفسه واقفًا أمام حقيقة تصدمهُ، بل تَفْجَعُهُ، لأنه يرى مجموعة حقائق تدميرية، فالمظهر العام أنها دعوية، لأن الغطاء الخارجى لتلك الأفكار تراه أنت أنه دعويٌّ، أما فى داخل القشرة أى: فى اللب، أو العمق صادمٌ وكأنك تغوص فى بحرٍ متلاطم الأمواج، فإذا خضت فى ظلمته داهمتك الأخطار التى تودى بحياتك، وكذلك (جماعة الإخوان) حقيقتهم من وراء الستار دموية، أو تدميرية، وذلك ما قد شاهدناه صادمًا صارخًا بعد فَضِّ اعْتَصَامَىْ (رابعة،

(١) جريدة الوطن الاثنين ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ - ١٦ ديسمبر ٢٠١٣ هـ - السنة الثانية، العدد (٥٩٦) ص: (٥).

والنهضة) يوم ١٤ أغسطس ٢٠١٣م، لأن الأقوال، والتهديدات أُعْلِنَتْ على منصة (رابعة) من تهديدٍ ووعيدٍ، وحرقٍ لمصر ومنشآتها، وتدميرٍ لجيشها وشرطتها، وقتلٍ لأبناءِ هذا الشعبِ دون ذنبٍ، أو جريمةٍ يُقتل عليها، وكل ما قالوه، أو هددوا به طبقوه قولاً وعملاً، فتعال معى عزيزى القارئ ندخل سويًّا فى هذه الأفكار ودهاليزها حتى ندرس حقيقة هؤلاء، لنتعامل معهم على قَدْرِ هذه الأفكار، وتلك الأخطار:

(الْجَانِبُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، هُوَ فِكْرُ الْخَوَارِجِ):

عزيزى القارئ قبل أن ندخل فى خِضَمِّ هذا الملف المحفوف بالمخاطر، لاَبُـدَّ لنا أن نُمْسِكَ بطرف الخيط من أوله، وأول الخيط فى ذلك الخلاف هو الذى نشب أيام النبى ﷺ من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر به، أو ينهى عنه، وَاعْتُبِرَ حديثِ ذِى (الخويصرة التميمى) هو أول ذلك الخلاف، وهذا الخلاف لم يكن مع شخصٍ عاديٍّ، بل كان مع نبيٍّ ارتبطت أقواله بحبل ممدودٍ من السماء إلى الأرض إذ قال هذا الشقيُّ: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، حتى قال عليه الصلاة والسلام: (إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، فَمَنْ يَعدِلْ؟؟!!) فعاد اللعين فكررها وقال: هذه قسمة ما أُرِيدُ بها وجه الله تعالى، وذلك خروجٌ صريحٌ على قول النبى ﷺ، وقد صار من اعترض على الإمام المحق، أو الرئيس خَارِجيًّا، فما بالك بمن اعترض على أقوال الرسول ﷺ، أليس أحق بأن يكون خَارِجيًّا، أو ليس ذلك حكمًا بالهوى فى مقابلة النص؟ أو ليس ذلك استعلاءً بالعقل على النقل؟ حتى قال ﷺ: (سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِىءِ هَذَا الرَّجُلِ قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) (١).

فينطبق وصف (الخوارج) على كل من خرج على الأئمة، أو على الناس، أو على عَلِيِّ بن أبى

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٣٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٤٧٣٢، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبى سعيد - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري .

طالب كانت حقًا فى نظرتهم، وقد أجمع مؤرخو الفرق على تسميتهم بهذا الاسم (الخوارج) [1].

لذلك فقد انطبق هذا المسمى على جماعة الإخوان قولاً واحدًا لا لبس فيه ولا غبار، لأنهم خوارج هذا الزمان، (وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ).

- ألم يقوموا باغتيال (النقراشى باشا) رئيس وزراء مصر فى عهد الملك (فاروق) فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م عندما أمر بحل جماعة الإخوان.

- ألم يقوموا أيضًا باغتيال (أحمد باشا ماهر) رئيس وزراء مصر فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥، لأن التنظيم الخاص داخل (جماعة الإخوان) قرر الانتقام منه بعد إسقاط (البنا) فى دائرة انتخابات بالإسماعيلية.

- وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، يقول (عبدالناصر): (أثناء ماكنا نتعاون مع الإنجليز من أجل جلائهم عن مصر كان الإخوان يعقدون اجتماعات سرية مع السفارة البريطانية، للإطاحة بالثورة المصرية، فحركة (الإخوان) كاذبة ومتاجر بالدين وَمُمَوَّلُ، وتعملُ لدى الاستعمار، ويقول أيضًا: حاولت التعامل معهم ولكن بكل أسفٍ وجدت فكرهم يتلخص فى الوصول إلى السلطة بأىِّ ثمنٍ، ولا يوجد أى مستقبلٍ لديهم فى رفعة وإعلاء الوطن، وعندما انتقدتهم حاولوا اغتيالى، ولا يوجد لديهم أىَّ مانعٍ على الإطلاق)، ولذلك فقد حاولوا اغتياله بالفعل والاستيلاء على الحكم فى عامى (١٩٥٤ و ١٩٦٥) والمحاولتان قد بائتا بالفشل.

- ألم يقوموا باغتيال الزعيم الراحل (محمد أنور السادات) فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ خلال احتفال الرئيس الراحل بنصر أكتوبر فى (حادث المنصة)، وكان الزعيم الراحل كان يُدرك ما يحيط به، إذ صَرَّحَ لجريدة (لوفيجارو الفرنسية) فى ٢٦ سبتمبر من نفس العام فقال: (السلام يضايق البعض ... وإذا تم اغتيالى ابحثوا عن المستفيد من الجريمة).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ١٧٠).

ثم يستطرد قائلاً: (الإخوان مُساقون إلى الهاوية، لأنهم يلتزمون طريقة العلم فى سِرِّيَّةٍ حتى بعد أن قام الشعب بثورته، ويقول أيضًا: (الإخوان يحرصون على العملِ السِّرِّىِّ والتنظيمات والتشكيلاتِ الخاصةِ، وكأنهم أمةٍ أُخرى وشعبٍ آخر، غير هذه الأمةِ، والشعب المصرىِّ)، لِذَا لم يتغير منهجهم، ولا طريقتهم، ولا هويتهم فى الخيانة لأوطانهم، وكأن التاريخ يعيدُ نفسهُ فمصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، لا تختلف كثيرًا عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ففى الحالتين حاول (الإخوان) الوصول إلى الحكم، بكل الطرق، لكنهم فشلوا فى الأولى، ونجحوا فى المرة الثانية وَمَنْ يقرأ المقالات التى كتبها الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) عام ١٩٥٤ عن الجماعة يُدْرِكُ أَنَّ التاريخَ يُعِيدُ نَفْسَهُ، وأن الجماعة لم تتغير، بل يمكن ببساطةٍ القولَ إن ما كتبهُ (السادات) ينطبق بالضبط على ما يحدث الآن، إِذْ يتحدث (السادات) عن (الإخوان) قبل ٦٠ عامًا وكأنه يتكلم عنهم الآن، يتحدث عن المرشد الثانى (حسن الهضيبى) وكأنه يتحدث عن المرشد الثامن الدكتور (محمد بديع)، أو المهندس (خيرت الشاطر)، أو المعزول (محمد مرسى)، أو بقية أعضاء مكتب الإرشاد عن إدمانها العملُ السِّرِّىُّ [1].

أما الدليل من كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ، فهى تفوق الحصر، ولا كنا سنتكلم عنها باختصارٍ بإذنه تعالى:

من السنن الكونية الاختلاف، والاختلاف بين الأمة رحمة، إذا كان اختلافاً دعويًّا منهجيًّا يَصُبُّ فى الصالح العام، ولا يكن اختلافًا دَمَوِيًّا يُبِيحُ الْقَتْلَ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ (الأنعام: ١٥٩) قال عدد من العلماء: نزلت هذه الآية فى اليهود والنصارى، وَقِيلَ: (هُمُ الخوارجُ)

(١) شبكة الانترنت - عن جريدة التحرير - الأربعاء ١٧ أكتوبر ٢٠١٢م.

وقيل: هُمُ أَصْحَابُ الْبِدَعِ، والظاهر أن الآية عامة فى كل من فارق دين الله، وكان مُخالفًا له، فإن الله بعث رسله بالهدى ودين لحق ليظهره على الدين كله، وشرعهُ واحدٌ لا اختلاف فيه، ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وكانوا شيعًا) أى: فِرَقًا كأهلِ الملل، والنحلِ، والأهواءِ، والضلالاتِ، فإن الله تعالى قد بَرَّأ رسول الله ﷺ مِمَّا هُمْ فِيهِ، حيث قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الشورى: ١٣) (١).

(فهؤلاء الخوارج) لا يقتلون تحت راية الجهاد فى سبيل الله، ولكنهم يقتلون أبناء جلدتهم وقتالهم ليس تحت راية الإسلام، ولكن قتالهم تحت راية عَمِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، و(تحت راية التنظيم السرى للإخوان) حيث قال رسول الله ﷺ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةِ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلاَ يَتَحَاشَا مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِى لِذِى عُهْدَةٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّى، وَلَسْتُ مِنْهُ). (٢)

وقال ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِّيَّةٍ، يَنْصُرُ الْعَصَبِيَّةَ، وَيَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ) (٣).

أما: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ) (٤)

أَمَّا مَا نَحْنُ بصدده من اختلافاتٍ، فهذه الاختلافاتِ ليست عَقَدِيَّةٍ ولكنه اختلافٌ سِيَاسِيٌّ، لأن السياسة تقوم على فن الممكن، والسياسة أيضًا تقومُ على المصالح المتغيرة،

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (٢/٩٦).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٢٣٢)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٩٨٣)، وصحيح الجامع برقم: (٦٢٢٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه مسلم، والسنائى عن جندب، وابن ماجة عن أبى هريرة - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة برقم: (٤٣٤)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤٤٢).

(٤) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد والبخارى، ومسلم، والأربعة (أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة) من حديث أبى موسى رضي الله عنه - وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٠٨٨)، والمشكاة برقم: (٣٨١٤)، وصحيح الجامع للألبانى برقم: (٦٤١٧).

أما الدين فيقوم على اليقين المطلق، ولذلك ترى (الإخوان) وبقية الشعب المصرى يُصَلُّونَ بجوارِ بعضهم البعض، ولكنهم إذا اتجهوا (للسياسة) يحدث الاختلاف والفرقة، والقتل، وسفك الدماء، قال رسول الله ﷺ: (سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ) (١).

فخروج الخوارج على عثمان - رضي الله عنه - وعلى عَلِيٍّ - رضي الله عنه - لم يكن خُرُوجًا، أَوِ اخْتِلَافًا عقائديًا، لأن هذه (الفرقة) لم يكن لها أثرٌ فكريٌّ، أو عقائديٌّ يُذْكَرُ، وكذلك خروج (جماعة الإخوان) على الشعب المصرى، ولذلك قد أُطلق عليهم (خوارج هذا الزمان) ويصدق فيهم ما قاله رسول الله ﷺ، بأنهم شرار هذه الأمة الآن حيث قال: عندما سألت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن الخوارج، فقال: (هُمْ شِرَارُ أُمَّتِي يَقْتُلُهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي) (٢).

وقال ﷺ عنهم أيضًا فى رواية ابن الجوزى والذى ينتهى سنده إلى عبدالله بن أبى أوفى - رضي الله عنه - حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ) (٣).

وقد واجهنا هذا الشر المستطير من (خوارج هذا الزمان) من فتاوى تُبِيحُ القتل، وتساعد على سفك الدماء، فقد أطل علينا الشيخ (محمد عبدالمقصود) بفتواه قائلاً: (أن كل من خرج يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فهو كافر، وكل من فعل هذا فهو مرتد خارج عن الإسلام، يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم فى الشرائع، لأن الخوارج كانوا يقتلون أصحاب النبي ﷺ، فما وجه الشبه يا شيخ بين متظاهرين سلميين خرجوا علي رئيس

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، والحاكم عن أبى سعيد، وأنس معًا، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن أوس وحده وجاء فى المشكاة برقم: (٣٥٤٣)، وصحيح الجامع برقم: (٣٦٦٨).

(٢) الحديث إسناده حسن: أورده الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٣٩) رواه البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها -، وجاء فى الحافظ فى الفتح (١٢/ ٢٩٨).

(٣) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وابن ماجة، والحاكم عن عبدالله بن أبى أوفى - رضي الله عنه -، ورواه الإمام أحمد عن أبى أمامة - رضي الله عنه -، وجاء فى الروض النضير برقم: (٩٠٦، ٩٠٨)، والمشكاة برقم: (٣٥٥٤)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٣٤٧).

ظالم يقتل شعبه، فهل تشبه هذا المرسى ببعض الخلفاء الراشدين الذين خرجت عليهم الخوارج؟ والله إنه لتشبيه ينقصه الدليلُ اليقينيُّ من الكتاب والسنة، وقد وصف رسول الله ﷺ الخوارج فقال فيهم: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تُحَقِّرُونَ، صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامِكُمْ مَعَ صِيَامِهِم، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القرآن لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ الرَّامِي فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فلا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ، هَلْ عَلِقَ بِهِ مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ)[1]

وقال أيضًا: (سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2].

فمن شابه هؤلاء فهو الذى يستحق القتل حَقًّا، لأن مُتَظَاهِرِى ٣٠ يونيو خرجوا مطالبين بحقوقهم التى لم تُلَبَّى فى ثورتهم الأولى وهى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ والتى نادت جموع الشعب المصرى فى كل الميادين بـ(عيش - حرية - عدالة اجتماعية - كرامة إنسانية) ولم يتحقق من أىٍّ المطالب مطلبٍ واحدٍ، بل على العكس تطاول أنف الحاكم، وأنوف الإخوان، وأنوف أعضاء مكتب الإرشاد على الشعب المصرى، بل الأدهى والأمرَّ من ذلك بأنهم قاموا بالتعدى عليهم وسحلهم وإراقة دمائهم إذن أيها الشيخ الفاضل أقول لك: (من يستحق هذا الوصف؟) الشعب الذى خرج مسالمًا مطالبًا بحقه، أَمْ مَنْ سَوَّلَتْ لهم أنفسهم بإرهاب وإرعاب، واستخدام أعمال العنف مع كل طوائف المصريين، فبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الحرام، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، لأن الله تعالى

(١) الحديث صحيح: رواه البخارى، ومسلم، وابن ماجة عن أبى سعيد - رضي الله عنه - وجاء فى السنة برقم (٩٢٣-٩٢٦-٩٣٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٨٠٥٣).

(٢) الحديث رواه البخارى، ومسلم عن عَلِيٍّ - رضي الله عنه -، وجاء فى الإرواء برقم: (٢٤٧٠)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٦٥٤).

قال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء: ٩٣) فإن الله سبحانه وتعالى يتوعد القاتل الذى يقتل النفس الحرام بأشد الوعيد، لأن القاتل الذى يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرًا كبيرًا، أما القتل السياسى فهو مطمئن النفس راضى القلب اعتقادًا منه أنه يفعل خيرًا بسبب الفتاوى التكفيرية، التدميرية التى لُوِّثَتْ بدماء الأبرياءِ. قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلاَ عَدْلاً) (١).

وَالْجَانِبُ الثَّانِى مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، هُوَ فِكْرُ الشِّيعَةِ:

سنحاولُ الآن أَنْ نُعَرِّجَ على معنى (الشيعة) فى اللغة، وفى السنة، وفى القرآن، وفى الإسلام.

- المعنى اللغوى للشيعة: يُقَالُ تَشَيَّعَ الرَّجُلِ أى: انتحل مذهب الشيعة، والشيعة: هى الْفِرْقَةُ والجماعةُ، والأتباعُ والأنصارُ، وهى فرقةٌ كبيرةٌ من المسلمين اجتمعوا على حُبِّ عِلِيٍّ وآلِهِ وَأَحَقِّيَّتِهِمْ بالإمامة، وَجَمْعُهَا شِيَعٌ، وَأَشْيَاعٌ. (٢)

- أما لفظ الشيعة فى السنة، فقد جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى الرجل الذى قال للنبى ﷺ: لم أرك عدلت ...، قال فيه عليه الصلاة والسلام: (سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِى الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ) (٣).

- أما لفظها فى كتابه تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجر: ١٠)

---

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود، والضياء عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، وجاء فى الترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٤)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٦٤٥٤).

(٢) المعجم الوجيز ص: ٣٥٧.

(٣) الحديث صحيح: وهذه اللفظة أخرجها أحمد (٧٠٣٨)، وابن أبى عاصم فى السنة (٩٣٠) وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٢٨)، ورجال أحمد ثقات، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، وَجَوَّدَ الألبانى فى إسناده فى السنة (٩٣٠).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ (القصص: ٤)، وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ (الروم: ٣٢).

- أما لفظها فى التاريخ الإسلامى: ففى الأحداث التاريخية فى صدر الإسلام ورد لفظ الشيعة بمعناه اللغوى الصرف، وهو المناصرة والمتابعة، بل وجد فى وثيقة التحكيم بين الخليفة عَلِيٍّ، ومعاوية - رضى الله عنهما - ورود لفظ الشيعة بهذا المعنى، حيث أُطلق على أتباع عَلِيٍّ وشيعته، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع عَلِيٍّ فقط، ومما جاء فى صحيفة التحكيم: (هذا ما تقاضى عليه عَلِيٌّ بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان (وشيعتهما) ...، (ومنها): وأن عَلِيًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، وَرَضِىَ معاوية وشيعته بعمرو بن العاص... (ومنها): فإذا توفى أحد الحكمين، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه ...، ومنها: وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية، فلشيعته أن يختاروا مكانه رَجُلاً يرضون عدله) [1].

ومن هذا يتضح: أن اسم (الشيعة) كان لَقَبًا يُطْلَقُ على أية مجموعة تلتف حول قائدها، وإن كان بعض الشيعة يُحاول أن يتجاهل الحقائق التاريخية وَيَدَّعِى بأن الشيعة هم أول من سُمُّوا باسم التَّشَيُّعِ فى هذه الأمة، ويتناسوا بأن (معاوية) أُطلق أيضًا على أتباعه كلمة الشيعة، ولكن الوقائع التاريخية تقول بأن لقب الشيعة لم يختص إطلاقه على أتباع عَلِيٍّ إلا بعد مقتل (عَلِيٍّ) - رضي الله عنه - كما يرى البعض، أو بعد مقتل (الحسين) كما يرى آخرون [2].

- ثُمَّ يَسْأَلُ سَائِلٍ، وما شأن هذا الكلام بما هو قَائِمٌ بين أيدينا الآن؟ يُقَالُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ كانت أفكار (حسن البنا) تدور فى فلك لتقريب بين المذاهب، لأنه كان يحلم بالخلافة الإسلامية فأراد أن يقرب بين (مذهب الشيعة)، (ومذهب أهل السنة)، واللافت للنظر

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. فضيلة الشيخ مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (١٦٧).
(٢) المصدر السابق ص: (١٦٨).

أن (الشيعة) وأصابعها التى بدأت تتحرك فى سريةٍ تامةٍ من خلال حديث (هادى خسرو شاهى) عن التقريب بين (السنة، والشيعة) يظهر لنا سبب هذا الاختفاء غير العادى! وكان سبب الاختفاء لم يرد فى كتابات الإخوان يقول الأستاذ (ثروت الخرباوى): (المعروف أن الإخوان يقولون: إن حسن البنا ساهم فقط فى إنشاء دار التقريب، ولكن الذى أفتى بجواز التعبد لله على مذهب الإمامية الاثنا عشرية هو الشيخ (محمود شلتوت) شيخ الأزهر بعد وفاة (حسن البنا) بعدة سنوات، ولكن (خسرو) يكشف الغطاء عن شيءٍ آخر، كان (حسن البنا) هو أول من اعترف بالمذهب الإمامى الشيعى، كاد (خسرو) يقول فى بحثه: إن البنا اعتنق المذهب الإمامى الاثنا عشرى، ولكن (خسرو) اكتفى فقط بمسألة الاعتراف! فقال: وقد اعترف الشيخ بالمذهب الإمامى الشيعى) وقد أورد (خسرو) أسباب إيمان (البنا) بهذا المذهب الشيعى فقال: إنه آمن به (نظرًا للحقائق، والدور الْقَيِّم للشيعة فى اعتلاء الإسلام والحضارة الإسلامية) آمن حسن البنا بالشيعة ومذهبهم، كما قال (خسرو)، لأن هناك حقائق وبراهين تُثبت أن الشيعة ساعدوا فى اعتلاء الإسلام! كان هذا هو ما وقر فى عقيدة (البنا)، بل إن هذا التأثر وهذه العقيدة لا تمكث فى نفسية (البنا) ولا تتحرك ولكنها كانت فاعلةٌ ومؤثرةٌ لدرجة أن عددًا من سيوخ الأزهر تأثروا بما اعتنقه (البنا)، ومن أجل (البنا)، والبنا فقط، أصدر الشيخ (محمود شلتوت) فتواه [1].

كان (البنا) حريصًا غاية ما يكون الحرص على نشر المذهب الشيعى فى مصر، وَتَخْلُصُ القصة التى رواها (آية الله السيد رضا الصدر) ونقلها عنه (خسرو) فى أنه (احتج بعض المصريين فى أحد المراسم التى أقيمت فى موسم الحج، والتى كان قد حضرها (البنا) من منطلق عدم معرفتهم لحقيقة التشييع، على الشيعة المشاركين فى الحج... وعندما عرف المرحوم (حسن البنا) بالأمر حضر فى مركز تجمع الحجاج المصريين وألقى كلمةً تَنْوِيرِيَّةً

(١) أئمة الشر - للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (٢٣٤).

مُحَذِّرًا فيها من مغبة هذا الشيء، وقال: لاَ يَحِقُّ لِأَيِّ فردٍ آخر أن يُهاجم المسلمين الآخرين، وأضاف بعد ذلك فى كلمته قائلاً: إِنَّ الْفَرْقَ الْـمَوْجُودَ بين بعض أهل السنة، وبين الشيعة هو أن الشيعة يُحبون أهل بيت رسول الله ﷺ أكثر من غيرهم، وهذا الشيء أَدَاءٌ لهم للدين، فينبغى أن يشكل هؤلاء القدوة لنا نحن المصريين الذين لنا ولاء لأهل البيت).

وبذلك التصريح قد هَوَّنَ (البنا) الفرق بين (الشيعة، والسنة)، بل جمع أمرًا مُمَيَّزًا خصَّ الله به الشيعة، فهم فقط يحبون آل البيت أكثر من حب السنة لآل البيت! وبما أننا فى مصر نحب آل البيت فلا تثريب علينا إن اتبعناهم، فهم قُدْوَةٌ لَنَا، وهم أحبوا آل البيت؛ لأن هذا كان أداء لهم للدين!

كانت هذه دعوةٌ صريحةٌ لا لبس فيها ولا غموض، ولا تمويه، ولا تقية، الشيعة قدوةٌ لكم أيها المصريون البسطاء، فاتبعوهم يحببكم الله، لأن هذا أَدَاءٌ للدين، هل هناك أكثر من ذلك حتى يَخْتَفِى اشيعة (بحسن البنا) وحتى يُطلق (الخمينى) على نفسه لقب (المرشد) إيمانًا بالدور الذى لعبه (البنا) فى فتح الطريق أمام الشيعة فى مصر؟

ويقول (خسرو) فى دراسته وهو يعترف بجميل البنا نحو (لسيعة) وقد أرسى البنا علاقاتٍ طيبةٍ مع علماء الشيعة، وكان يعتبر من جملة الطلائع فى حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة إلى جانب العلامة الشيخ (محمد تقى القمى).

لم يكن البنا إذن مؤمنًا فقط بالشيعة، ولم ينقل إيمانه إلى البسطاء فقط من المصريين، ولكنه نقل ما آمن به لرجال الأزهر القريبين منه، ثم أقام علاقات طيبة مع رجال الدين من الشيعة، كان هذا هو رأى البنا إذن فى الشيعه، وهذا هو سبب حب الشيعة (للبنا)، لقد اقترب البنا من الشيعة اقترابًا كبيرًا، ولكن هذا الاقتراب أثار غضب علماء السنة على (البنا)، حتى أقرب المقربين من البنا اتهموه بخيانة عقيدته مقابل دراهم معدودة، يقول الكاتب: ليس هذا كلامى، ولكنه كلام أساتذة البنا المقربين [1]

(١) المصدر السابق ص. (٢٤٤-٢٤٥).

ولذلك فإن بعض الإخوان قد ترك المذاهب السنية، والتحق بالشيعة دينًا ومذهبًا، فها هو أحد أقطاب (الإخوان) القدماء المستشار (الدمرداش زكى العقالى) الذى كان مُتَيَّمًا بحسن البنا وتاريخه، ها هو يُصبح شِيعِيًّا كبيرًا له تقديره فى المجتمع الإيرانى، بل يُصبح المسئول الأكبر عن شيعة مصر، وهذا المستشار له حالة فريدة على الساحة الإسلامية، فالرجل كان رئيسًا لمحكمة (الاستئناف)، و(عضو مجلسى الشعب والشورى)، و(نائبًا لرئيس حزب العمل المصرى قبل إغلاقه)، و(مستشارًا للرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك)، نشأ (الدمرداش) وتربى فى كنف (حسن البنا) مؤسس جماعة الإخوان، ومع ذلك فقد فاجأ الجميع بتحوله من التسنن إلى التشيع، وفى كل حواراته يعتبر أن البنا هو أستاذه ومعلمه وصاحب الفضل عليه، ومن بعده فى التَّشَيُّعِ أيضًا الدكتور (أحمد راسم النفيس) الذى ظل ولا يزال يُمارس نشر العقائد الشيعية فى مصر بدأب وإصرارٍ كبيرين. وهو لم يكن واحدًا من عَوَامِّ المسلمين، ولكنه كان من زعماء طلبة الإخوان فى الجامعة فى السبعينات من القرن العشرين، وكان رئيس اتحاد طلاب كلية الطب بجامعة (المنصورة) عن الإخوان من عام ١٩٧٥ : ١٩٧٧م.

وهو حاليًا من أبرز شيعة مصر، ومن أكثر المتحمسين لنشر مذهب الإمامة الإثنا عشرية، وهو مع فريقٍ من الشيعة المصريين من أصحاب الجذور الإخوانية كانت هناك جماعة الإخوان الأم التى كانت تُمارس أنشطتها بشكلٍ مستمرٍ رغم التضييق الأمنى، والسياسى فى بعض الأحيان، واللقاءات المحرمة تتم ليلاً فى التجمع الخامس الذى كان منطقةً نائيةً وقتئذٍ، وفى أذهان الجميع دار التقريب التى يراهنون على أنها ستؤتى ثمارها، ولن يجنى الشيعة هذه الثمار إلا بالتوافق مع الإخوان، والاتفاق معهم، فهم حُلفاء الأمسِ، وما زال الحلف قائمًا بينهم[1].

(١) المصدر السابق ص: (٢٠٨).

الْغُلُوُّ فِى الْأَشْخَاصِ:

استدلت الشيعة على أن الإمامة لا تكون إلَّا بِنَصٍّ، وأن الرسول ﷺ نَصَّ على عَلِيٍّ وأولاده، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة، فهذه هى عقيدتهم والتى ظهرت على يد السبئية، والهاشمية، والشيطانية، إلا أن شيوخ الشيعة ادعوا أن هذا الأمر هو من شرع الله ورسوله ﷺ، وأقوال أئمة أهل البيت، فأخذوا يستدلون على ذلك بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، فأصبح أكثرها موضوع، أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة [1].

وتقول الشيعة: أن الإسلام بُنِىَ على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية ويقول (ابن بابويه القمى) فى رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين عَلِيِّ بن أبى طالب، أنه كمن جحد نُبُوَّةَ الأنبياءِ، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أَقَرَّ بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد ﷺ وقال (مقداد الحلى): أن مستحق الإمامة عندهم، لابد أن يكون شخصًا معهودًا من الله تعالى ورسوله، لا أى شخص، ويقرر كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثنى عشرية فى هذا العصر: أن الإمامَة مَنْصِبٌ إلهىٌّ كالنبوة: فكما أن الله (سبحانه) يختار ما يشاء من عبادهِ للنبوةِ والرسالة ويؤيده بالمعجزة التى هى كنصٍّ من الله عليه ... فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده، فمفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفى الله (سبحانه) من خلقه أنبياء، يختار (سبحانه) أَئِمَّةً، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، ويُنزل عليهم الكتب، ويُوحى إليهم، ولا يقولون، أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه ... أى: أن الإمامة هى النبوة، والإمام هوالنبى [2].

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (٢٧٣).

(٢) على بن أبى طالب - شخصيته وعصره د/ على محمد محمد الصلابى: (٢/ ٢٣٥).

ولذلك قالوا: أن الإمامة صنو النبوة، أو أعظم، وهى أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، ولهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحدٍ من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود فى النار، وخصصوا باللعن والحكم بِالرِّدَّةِ جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية [1].

والشيعة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم فى عداد الكفار، مع أن عَلِيًّا بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوجهم وتسرى من جهادهم، ولما وَلِيَ الخلافة سار على نهجهم، ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، ومن مبالغتهم فى عصمة الأئمة أنهم قالوا: لا يسهون، ولا يُخطئون، ولا ينسون، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله [2].

وهذا مما جعل الشيعة تُنْزِلُ (عَلِيًّا) بمنزلة الأنبياء، لأن مفهوم الإمامة عندهم كمنزلة النبوة لأن الله يقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحى إليهم، ولا يقولون ولا يفعلون إلا بأمر الله ووحيه، وهذا هو الغلو فى الدين، وفى الأشخاص، فكان أحق بالغلو رسول الله ﷺ، ولكنه نهى عن ذلك، فيقول: لا تمدحونى فتغلوا فى مدحى، كما غلت الأمم السابقة فى مدح أنبيائهم، فقد جاء فى الحديث الذى رواه البخارى من حديث عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَطْرُونى كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا، عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ) [3].

وقد حذر رسول الله ﷺ من الغلو فى الدين فقال: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ

(١) المصدر السابق: (٢/ ٢٣٧).

(٢) أ. هـ أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. الشيخ / مصطفى بن محمد بن مصطفى ص: (٢٨٩).

(٣) أخرجه البخارى (٢٤٦٢) (٣٤٤٥) (٣٩٢٨) (٤٠٢١) (٦٨٢٩) (٦٨٣٠) (٧٣٢٣)، ومسلم (١٦٩١)، وأبو داود (٤٤١٨)، والنسائى (كبرى) (٧١٥٧) (٧١٥٨)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وابن حبان (٤١٣) (٤١٤)، والدارمى (٢٣٢٢) (٢٧٨٤)، وأبو يعلى (١٥٣)، وأحمد (١٥٤) (٣٣١) (٣٩١)، وصحيح الجامع برقم: (٧٣٦٣) عن عمر - رضي الله عنه -.

كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ)[1].

وهذا الطرح يسوقنا إلى غُلُوِّ الشيعةِ فى شخصِ عَلِيِّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - كما غلت الإخوان فى شخص (حسن البنا) ومن بعده، وفى فترة رئاسة المعزول (محمد مرسى) غلت الإخوان فى أشخاصهم ورموزهم.

الْغُلُوُّ فِى شَخْصِ الْبَنَّا :

عندما وجد (البنا) أن الجماعة ضمت بعض الشباب الذى يفكر ويناقش ويجادل أراد أن يخضعهم لطريقته وأسلوبه وفهمه وحده، لذلك قال فى أحد الأيام للشيخ الشاب الدكتور (عبدالعزيز كامل) عندما وجده يفكر: (أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة، وستأتى أيامٌ وظروفٌ قد نختلف فيها، وَأَوَدُّ فى هذه الظروف أن تترك رأيك لرأيى، ألا تطمئن إِلَىَّ) وبذلك قد أغلق على (الإخوان) أبواب الفهم، واحتكرها لنفسه، وما ذلك إلا لأنه (الإمام المهدى) الذى طال انتظاره، والذى يصحح للناس أفهامهم الدينية ويجعلهم قالبًا واحدًا، أما أولئك الفقهاء الكبار الذين اجتهدوا ووضعوا قواعد ذهبية فى تنوع الأفهام، وتعدد الصواب، واختلاف الفتوى باختلاف الزمان والمكان فأولئك ليست الجماعة منهم فى شىء، إذ أنهم لا يعرفون إلا (حسن البنا) وحده، ولا يفهمون غير أفكاره، ولا يتقربون بالدعاء إلا من خلال الأدعية التى جمعها (البنا) وجعل منها أذكارًا للجماعة لذا كان قتل (البنا) نكبة وقعت على رءوس الإخوان، فبكوه وأسرفوا فى البكاء، ورثوه وأسرفوا فى الرثاء، قال الأستاذ (عمر التلمسانى) بعد مقتل البنا: (وكف القلب

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (٢/ ١٨٠)، وأحمد (١٨٥١)، والنسائى (٥/ ٢١٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وأبو يعلى (٢٤٢٧)، وابن الجارود (٤٧٣)، وابن حبان (٣٨٧١)، والطبرانى (١٢٧٤٧) (١٢٧٤٨)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -، وصححه الألبانى فى (الصحيحة) (١٢٨٣)، وصحيح ابن ماجه (٢٤٥٥).

المعلق بالعرش عن النبض فى هذه الحياة لينبض فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)[1].

ونقول: وكأن الإخوان يكشفون الغيب من وراء ستر رقيق، وما ذاك إلا رَجْمٌ بالغيب ولا يعلم الغيب إلا الله، ثم يستطرد الكاتب قائلاً: يقول الأستاذ (مصطفى السباعى) (فما هو إلا النور المرسل من السماء؛ ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم، ثم يظل فى السماء دائمًا وأبدًا، ولن يختلط بتراب الأرض؛ إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها)[2].

ونقول أيضًا: هذه الفيوضاتُ، والنورانياتُ، والتجلياتُ الربانيةُ لا تَتَأَتَّى إلا للأنبياء والصالحين، أمَّا مَا يُصَرَّحُ به فى هذا الشأن ما هو إلا خُزَعْبَلاَتٍ شَيْطَانِيَّةٍ ثم يُكْمِلُ الكاتب كلامه قائلاً: لذلك لا يأخذنا العجب حينما نقرأ فكرة (الإمامية) وَاضِحَةً جليةً فى عيون الإخوان، إذ اعتبروا (حسن البنا) الإمام الملهم الموهوب الذى لم يقع فى حياته فى خطأ قط، فيقول الإخوانى السورى (سعيد حوى) رحمه الله: (ونعتقد أنه لا جماعة كاملة إلا بفكر الأستاذ البنا، وإلا بنظرياته وتوجيهاته)

فشيخهم (البنا) قد حَيَّرَ ألبابهم وسلب عقولهم، وأصبح فى نظرهم مساويًا لسيدنا محمد ﷺ حتى إن الأستاذ (محمود عبدالحليم) رحمه الله يقول عنه فى كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ الجزء الأول): (لقد كنت أحار فى تصور قول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ إنه كان خلقه القرآن، حتى لقيت (حسن البنا) وَصَاحَبْتُهُ، فبدت الصورة تتضح أمامى).

وعلى ذات النسق يقول المرشد الثالث الأستاذ (عمر التلمسانى) عن حسن البنا: (لما كان الأمر أمر تجميع، وتكوين، وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة، لما كان الأمر عودة المسلمين

(١) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٨١-١٨٢).

(٢) المصدر السابق ص: (١٨٢).

إلى الإيمان، لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا)

ولذلك فيقارن (حسن البنا) بين إيمان الإخوان، وإيمان غيرهم، فيقول فى رسالة دعوتنا: (والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان، أنه عندهم إيمانٌ مخدرٌ نائمٌ فى نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمانٌ ملتهبٌ مشتعلٌ قويٌّ يقظٌ فى نفوس الإخوان المسلمين) أنزل (البنا) حكمه، فوصف أن إيمان غير الإخوان مخدر، أما إيمان الإخوان، فهو الإيمان الملتهب المشتعل القوى اليقظ!، وبعد سنواتٍ من مقتل (حسن البنا) بات من المعروف داخل الإخوان أن لقب البنا هو (الإمام الربانى) أو الملهم الموهوب، بل إنَّ كتابات الإخوان كانت فى صحفهم ومواقعهم تأخذ منحىً آخر إذ يكتبون دائمًا عبارة: (حسن البنا رحمه الله!) وكان من أعلام الإخوان الذين استخدموا هذه العبارة الشيخ (محمد عبدالله الخطيب) حيث وضعها كعنوان فى جريدة الحرية والعدالة، وكأن البنا كان من الصحابة المقربين [٣].

ويصرح الأستاذ (على عشماوى) بأن الإخوان كانوا يُنْزِلُونَ (البنا) بمنزلةٍ تقترب من منزلة الأنبياء، حتى أنه حين دَبَّ الخلاف بين الإخوان وهم فى السجون، وكانت خطة الأستاذ (سيد قطب) وأفكاره قد بدأت تنتشر بشدة بين الإخوان فى السجون، ولما انقسم الإخوان على قسمين، طالب المعترضون أن يتم الاحتكام إلى أقوال (حسن البنا) لحسم الخلاف، ولم يقل أحدهم لنحتكم إلى كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ، بل كان الاحتكام إلى أحاديث البنا [٤].

ولما جاءت فترة حكم المعزول (محمد مرسى) بدأت أنوف الإخوان تتعالى على أفراد الشعب المصرى وكأنهم هم الأنقى، والأتقى، فيقول (صبحى صالح): (أن الإخوان أنقى من ماء المطر، ولو لم أكن إخوانيًا، لوددت أن أكون إخوانياً، واللهم أمتنى على الإخوان).

(٣) المصدر السابق ص: (١٨٤-١٨٥).

(٤) التاريخ السرى لجماعة الإخوان المسلمين - مذكرات على عشماوى ص: (٣٢).

ثم يثير الداعية الإسلامى الدكتور (جمال عبدالهادى) التابع لجماعة الإخوان جدلاً واسعًا على مواقع التواصل الاجتماعى بعد حديثه عن ثلاث رؤى لمؤيدى (محمد مرسى) يظهر فيها الرئيس وكأنه وَلِيٌّ من أولياء الله الصالحين، فأول هذه الرؤى يقول عنها: (أن أحد الأشخاص رأى رؤية بها الرسول ﷺ، والرئيس (محمد مرسى)، وقد حان وقت الصلاة، فقدم الناس الرسول ليؤم الناس، فقال لهم: بل يصلى بكم الرئيس (محمد مرسى)

وَقَصَّ رُؤْيَا أُخْرَى لنفس الشخص قال فيها: (رأيت أن الناس كانوا فى الصحراء ومعهم خمسون جملاً، فاستغاث الناس بالله لعدم وجود ماء، فانفجرت ساقية ماء وصدر صوتٍ قال: ارعوا إبل الرئيس (محمد مرسى).

أما الرؤيا الثالثة، فكانت رسالة للدكتور (عبدالعزيز سويلم): (رأى فيها ثمانية حمامات خضراء على الكتف الأيمن للرئيس محمد مرسى، وَفَسَّرَها صَاحِبَهَا، بأن الرئيس سيكمل الثمانى سنوات فى حكم مصر).

أنصح هؤلاء أنهم لا يأكلون كثيرًا قبل أن يناموا، ويحتسون كوبًا من اللبن، ويضعون الغطاء على أجسادهم حتى لا يحلمون، ولا يهرفون بما لا يعلمون، ولكنى أَوَدُّ أن أطرح عليهم سؤالاً: أين مرسى الآن ومساعدوه؟ وأين هو من الثمانى سنوات من حكم مصر؟

الْجَانِبُ الثَّالِثُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّقِيَّةِ:

تَعْرِيفُهَا: (التقية: هى كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقبُ ضررًا فى الدين والدنيا).

ويرى بعض أهل السُّنة: (أن أصحاب هذه العقيدة، هم أشر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فَيَرَوْنَ أن مَا يُبْطِنُونَ هو الحق، وأن طريقتهم هى منهج الرسل والأئمة) [1].

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية. الشيخ – مصطفى بن محمد بن مصطفى – ص: (٢٨٨).

إذن المستفاد من تلك المقدمة (أن التقية بخفون فى صدورهم، أكثر ما يظهرونه ممن يطلقونه بأفواههم، أو تصريحاتهم، وذلك هو بعينه ما يحدث فى الماسونية، والتنظيمات السرية).

ولكى نقترب من المشهد أكثر فنقول: وما سبب هذا الطرح لما نحن بصدده؟

نقول: أكثر الناس معرفة بك، هم من عاملوك، واقتربت منهم، واقتربوا منك، وكما يقول المثل الدارج: (فلان تعرفه؟ أيو أعرفه – عاشرته ؟ فإذا كانت الإجابة بلا، يُصْبِحُ الرَّدُّ: يبقى إنت متعرفوش).

- **وأكبر الناس معرفة (بالإخوان) هم الملوك، والرؤساء الذين تعاملوا معهم، وانخرطوا سَوِيًّا فى العملِ السياسىِّ، والدليل على ذلك:**

فى أيام حكم الملك (فاروق) قاموا بالتحالف معه على سبيل الظاهر للعيان، وأما فى الخفاء فطالت أيديهم باغتيال كبار رجال الدولة آنذاك وهم: (أحمد باشا ماهر) رئيس الوزراء، والمستشار (أحمد الخازندار)، ورئيس الوزراء أيضًا (محمود فهمى النقراشى).

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت (جماعة الإخوان) بالتحالف معهم فى السنتين الأوليتين، ثم تحول التحالف إلى خصامٍ، ثم أصبح صِدَامًا، إلى أن تم محاولة اغتيال عبدالناصر الفاشلة، والاستيلاء على الحكم مرتين فى عام (٥٤، ٥٦) فاعتقل الكثيرين منهم وأدخلهم السجون، وأعدم من تسبب فى من حاول قلب نظام الحكم، يقول (عبدالناصر) عندما سألت المرشد العام (حسن الهضيبى) عن الحرب فى مدن القناة، وما موقفهم من ذلك؟ قال: إحنا حنشوف بلد تانيا نحارب فيها.

وعندما تولى (السادات) حكم مصر، قام بإخراجهم جميعًا من السجون، ثم انقلبوا عليه واغتالوه يوم نصره فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١، وفى إحدى خطبه أعلن قائلاً: (جماعة الإخوان هم التقية، لأنهم يُخفون أكثر ما يُظهرون).

ولكى نقترب من المشهد أكثر تَعَالَوْ نُطَالِعُ ما كتبهُ الأستاذ (ثروت الخرباوى) فى

كتابه أَئِمَّةُ الشَّرِّ:

يقول الكاتب: للتقية قصة مع الإخوان، وهذه القصة مستمرة منذ عهد (البنا) والذى يطلقون عليه الإمام إلى وقتنا هذا، فقد آمن (البنا) بها واعتبرها أصلاً من أصول العمل الحركى للجماعة، وتقية (الإخوان) لا تختلف عن تقية (الشيعة) فى شىء، فهم يعتبرونها وسيلة من وسائل (التمكين) يسلكون سبيلها ليتقوا (الأعداء) ويتوسعون فيها حتى أصبحت أصلاً، فتقية الإخوان والشيعة هى هى، لا فرق بينهما، وهى تختلف قطعًا عن (التقية الشرعية) فالتقيه الشرعية هى مجرد فرع من الفروع، بينما هى عند الإخوان، والشيعة من الأصول، والتقية الشرعية تستخدم مع الكفار، لا مع المسلمين، ويقول (سعيد بن جبير): (ليس فى الإسلام تقية إنما التقية لأهل الحرب) بينما الشيعة والإخوان يستخدمون التقية مع غيرهم من المسلمين، والتقية الشرعية إنما تكون باللسان فقط، بينما تقية الإخوان والشيعة إنما تكون باللسان والأفعال.

إذن ما هى قصة الإخوان تاريخيًا مع التقية؟

يحدثنا التاريخ أن الجماعة عندما كانت فى بدايتها، وبينما الإنجليز كانوا يتلاعبون بالملك (فؤاد) كما يشاءون، ويأخذون منه ما يريدون، ويسلبون إرادته حتى صار مَطِيَّةً لهم، فكرهه الشعب أيما كراهية، إلا أن الإخوان كانت لهم حاجة عنده، وعند نظامه، لذلك استخدم (البنا) التقية مع (فؤاد) وهو يخاطب الجماهير قائلاً: (إن الملك فؤاد هو زخر الإسلام!) وأخذ (البنا) يُداعب مشاعر (فؤاد) وينادى بأن يكون هذا الملك التابع للإنجليز (خليفةً للمسلمين) وبعد أن انتهى عهد (فؤاد) جاء عهد ابنه (فاروق الأول)، والذى أصبح ملكًا على مصر، فأراد (البنا) الاستحواذ على (فاروق) فأرسل له فرق الإخوان لتصطف فى الطرقات لاستقباله، ولتهنئه على سلامة العودة للبلاد لاستلام الحكم، وتمر السنوات ويقع (فاروق) فى أتون الفساد، فخرجت المظاهرات ضده منددةً

بفساده ورعونته، وعلاقاته النسائية، وإدمانه للقمار، إلا أن (البنا) رسم لنفسه طريق (التقية)، فوصف (فاروق) ساعتئذٍ بقوله إنه: (ضم القرآن إلى قلبه ومزج به روحه) وعندما تحرك (مصطفى النحاس) رئيس حزب الوفد على المستوى الشعبى والبرلمانى مطالبًا بتقليص الصلاحيات الدستورية للملك (فاروق) خرجت المظاهرات الشعبية من كل الأحزاب والتوجهات السياسية تهتف (الشعب مع النحاس) فإذا بمظاهرات إخوانية تخرج لهم وكأنها جحافلَ مختبئةً فى كهوف سريةٍ، والغريب أن هتافات الإخوان لم تنضم لمظاهرات الوطن، ولم تطالب بما طالب به الشعب، ولكنها انحازت لفاروق، فأخذت تهتف وتقول: (الله مع الملك) [1].

وتحالف (البنا) مع (إسماعيل صدقى) والذى قام بالتعديل الدستورى الذى كان يخالف المصالح الوطنية بكل المعايير، وقد أطلق عليه الشعب وقتها (عدو الشعب) وحينما استقبل الإخوان فى الجامعة (إسماعيل صدقى) قاموا بالاعتداء بالضرب على باقى طلاب الحركة الوطنية ليمنعوهم من الهتاف ضد (صدقى) وكانت المفاجأة، بل والكارثة الكبرى، عندما وقف (مصطفى مؤمن) زعيم طلاب الإخوان بالجامعة خطيبًا أمام (إسماعيل صدقى) مُفْتَتِحًا خِطْبَتَهُ، مُسْتَشْهِدًا بالآية الكريمة قَائِلاً: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ (مريم: ٥٤) [2].

والتقيه تظهر صارخة أيضًا فى تعامل (جماعة الإخوان) على أرض الواقع، وعندما اغتيل (محمود فهمى النقراشى) رئيس الوزراء فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، لأنه أصدر قراراً بحل جماعة الإخوان باتهامها فى قضية السيارة الجيب فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ حيث قام عدد من أعضاء النظام (الخاص) بالجماعة فى مصر بنقل أوراق خاصة بالنظام وبعض الأسلحة، والمتفجرات فى (سيارة جيب) من إحدى الشقق بحى (المحمدى) إلى شقة

(١) أئمة الشر للأستاذ ثروت الخرباوى، ص: (١٨٦-١٨٧).

(٢) المصدر السابق: ص (١٨٩).

أحد الإخوان بالعباسية، إلا أنه تم الاشتباه فى السيارة التى لم تكن تحمل أرقامًا، وتم القبض على أعضاء التنظيم والسيارة لينكشف بذلك النظام الخاص السرى لجماعة الإخوان، وأدى هذا الحادث إلى إعلان (محمود فهمى النقراشى) رئيس الوزراء آنذاك أمرًا عسكريًّا بحل الجماعة، واعتقال أعضائها، وتأميم ممتلكاتها، وفصل موظفى الدولة والطلبة المنتمين لها، وكان هذا القرار سببًا لجعل النظام الخاص يقوم بقتل النقراشى وقبل ذلك قام النظام الخاص باغتيال (أحمد باشا ماهر) فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ رئيس الوزراء حينما كان متوجهًا لمجلس النواب لإلقاء بيان، واغتيل فى قاعة البرلمان، لأنه أسقط (البنا) فى انتخابات الدائرة بالإسماعيلية، وقام النظام الخاص باغتيال المستشار والقاضى (أحمد الخازندار) فى ٢٢ مارس ١٩٤٨ على خلفية مواقف الخازندار فى قضايا سابقة أدان فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم على جنود بريطانيين فى الاسكندرية بالأشغال الشاقة المؤبدة، وفى إحدى جلسات المرشد (حسن البنا) مع رئيس التنظيم الخاص (عبدالرحمن السندى) وبعض أعضاءه ذكر المرشد أنه قال تعليقًا على أحكام الخازندار فى قضايا الإخوان: (لو حد يخلصنا منه) يقول المرشد: أن كلماتى لا تزيد على الأمنيات، ولم تصل إلى حد الأمر، ولم أكلف أحدًا بتنفيذ ذلك، ففهم (عبدالرحمن السندى) هذه الأمنية على أنها أمر، فاتخذ إجراءاته التنفيذية وفوجئت بالتنفيذ، وعلق (عمر التلمسانى) قائلاً: (ففى كل حزب، وفى كل هيئة قد يتصرف بعض أفرادها تصرفات لا تقرها رئاسة هذا الحزب، وقد تحمل الإخوان كل الأعباء التى حدثت من بعد، ولذلك عندما طلب من الإمام الشهيد أيام (النقراشى باشا) أن يصدر بيانًا يستنكر فيه ما حدث كان الإمام على أتم الاستعداد، ونشر فى الصحف بيانًا عنوانه: (هذا بيان للناس) وبيان آخر بعنوان: (ليسوا إخوانًا، وليسوا مسلمين) فالخطأ نحن لا نتمسك به، ولا ندافع عنه) [1]

فقل لى بالله عليك عزيزى القارئ، كيف تتعامل مع أناس تضمر شرًّا فى بواطنهم،

(١) شبكة الانترنت.

وتعلن خيرًا فى تصريحاتهم، أليس ذلك هو التقية بعينها.

وَعِنْدَمَا نُكَمِلُ هذا الملف الصادم للعقول، والمطبق بِهَمِّهِ على الصدور ونحن قد ذكرنا قبل ذلك بقليل مدى تحالفهم مع ثورة ٥٢ ومع من قاموا بها فى السنتين الأوليتين، ثم تحولوا سريعًا، فانقلبوا عليها، وقد كانت لجمال عبدالناصر علاقات قبل الثورة بالقوى السياسية فى مصر، وأبرزها الشيوعيون، والإخوان، وقد عطى للطرفين انطباعاً على أنه منهم، وملتزم بفكرهم وتنظيمهم، حتى أنه قد بايع (عبدالرحمن السندى) رئيس النظام الخاص فى الإخوان على المصحف والمسدس، وعلى السمع والطاعة، وفى نفس الوقت كان له علاقة (بصلاح شادى، وحسن عشماوى) وغيرهم من قيادات الإخوان، واستغل (عبدالناصر) هذه القيادات فى تنفيذ أهداف الثورة فى أول أيامها للسيطرة على الشارع المصرى والجماهير، وكانت هذه فرصة ذهبية، ولكن بغبائهم السياسى لم يستطيعوا كعادتهم استغلالها، فحين قامت الثورة أيدها الإخوان فى كل مكان، وقد حفظ رجال الثورة حسن علاقتهم بالإخوان، ولكن الإخوان لم يُحسنوا قراءة رجال الثورة، ولم يعرفوا كيف يتعاملون معهم، حتى بعد أمرت القوى بحل جميع الأحزاب، لم يتم حل الإخوان وتركوا لهم السيطرة على الشارع وحدهم ولكن (الإخوان) تصوروا أنهم فعلاً القادة الوحيدون لهذه الثورة، وأرسل إليهم المرشد العام (حسن الهضيبى) ليعلنهم أنه يتوجب عليهم استئذان مكتب الإرشاد قبل أن يتخذوا أى قرار، وكان هذا الأمر هو القشة التى قسمت ظهر البعير، واستفزت رجال الثورة، وبدأ الإخوان يسيئون التصرف فى الواقعة تلو الأخرى حتى أن (عبدالناصر) حين اختار اثنين من الإخوان للعمل كوزيرين فى الوزارة الجديدة أجبرهم (حسن الهضيبى) المرشد العام للجماعة على الاستقالة لأنهما قبلا الوزارة قبل أن يرجعا إليهم، واعتبرها عبدالناصر إهانة موجهة له، وبدأ الجفاء بينهما حتى أنه كان سعيدًا حين اختلف الإخوان وحدثت بينهم انشقاقات، واستمر الإخوان بتصعيد الموقف حيث قامت جماهيرهم بمظاهرة كبرى فى مارس

١٩٥٤، واصطدموا برجال الأمن [١].

وقد تعرضنا لذلك فى شرح شعار (يسقط. يسقط حكم العسكر)، ولكن الإخوان فى كل زمان ومكان طبيعتهم مغرورون ومتسلطون ودائمًا يريدون كل شىء حتى على حساب مصلحة الوطن، حيث قاموا بتدبير محاولة اغتيال (عبدالناصر) وقلب نظام الحكم فى (المنشية بالاسكندرية) وبعد محاولة الاغتيال الفاشلة قد حدثت مناقشة بين (حسن عشماوى، ويوسف طلعت) قائد النظام الخاص الجديد حين سأل (حسن عشماوى ويوسف طلعت) ألم تعد العدة لخلع (عبدالناصر) فهذه هى الفرصة السانحة؟ لكن يوسف طلعت اعتذر لأمرين، أولهما: أنه يخشى أن يقتلوا الإخوان المحبوسين. أما الأمر الثانى: هو خوفهم من التدخل الخارجى، لأنهم لا يحسنون التصرف قبل التصادم مع الحكومة، لأنهم ليس لهم رؤيةً ثاقبةً، ولكنهم يندفعون بإشارة من قوى خارجية، لأنهم إذا أشار إليهم أحد القادة الأمريكيين بإشارةٍ غامضةٍ، تراهم يندفعون ملبين قائلين: (لبيك أمريكا لبيك) محركين كل قواهم دون أن يعلموا أو يستوثقوا من النتائج، والغريب أن هناك سِرًّا يُذَاعُ لأول مرة، أنه منذ قامت الثورة والمرحوم (عبدالرحمن السندى) كان مقتنعًا وساعده على هذه القناعة (جمال عبدالناصر) حيث كان يعطيه الانطباع دائمًا أنه ما زال على البيعة له، وأنه يُعتبر (السندى) رئيسًا له، وأنه حقق للجماعة أهدافها بإقامة الحكم الإسلامى، وقد تحققت بقيام الثورة، ولذلك وبناء على هذه القناعة، فقد قام (السندى) ورجاله بتسليم (عبدالناصر) قوائم بأسماء رجال النظام الخاص ومخازن الأسلحة الرئيسية، وقد استخدم ذلك ضد النظام الخاص فى سنة ١٩٥٤، ويقول (عشماوى): لقد سمعت ذلك بأذنى فى تحقيقات ١٩٦٥ حيث كان (أحمد عادل كمال) جالسًا فى غرفة العميد (سعد عبدالكريم) قائد البوليس الحربى حيث دَبَّرَ لى أن أقف خلف (أحمد عادل) وأسمع بنفسى وهو يعترف بأنهم سلموا الإخوان سنة

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوى آخر قادة التنظيم الخاص ص: (٤٤).

١٩٥٤ بكامل أسماء قوائم (النظام الخاص) ومخازن الأسلحة إلى جماعة (عبدالناصر)، وكان يُدَلِّلُ على ولائه للثورة واستحالة تآمره عليها [١].

وبعد أن جاء (السادات) لسدة الحكم قام بإخراجهم من السجون بعد أن ظهروا له الولاء والطاعة، وما أن مَرَّ الأمر سريعًا حتى انقلبوا عليه بأيد أثيمة، فقاموا باغتياله يوم انتصاره، ولما جاء نظام (مبارك) وفى عام ٢٠٠٥ خرجت القيادات تقسم (بالله العظيم، والعيش والملح، وتُربة أبيهم) إن الإخوان لم يعقدوا صفقة وإنهم أبرياء من هذه الفرية اللعينة والكذبة المفضوحة، ثم أَنْ مَرَّ على السنين سنون وقامت الثورة المصرية حتى خرج المرشد السابق، والرجل الصريح الأستاذ (مهدى عاكف) وقال: (نعم عقدنا صفقة مع النظام السابق عام ٢٠٠٥ وجلسنا مع شخصياتٍ أمنيةٍ كبيرة واتفقنا على كل شىء، ثم التزم نظام (مبارك) بالصفقة مع المرحلة الأولى للانتخابات وقتها، ثم نُكِّلَ عن الاستمرار فى الصفقة فى المرحلتين الثانية والثالثة!) ولا ننسى صفقة الإخوان لبيعة الإخوان لمبارك عام ١٩٨٧، إذ وقف المستشار (مأمون الهضيبى) وهو المستشار السادس لجماعة الإخوان وقت أن كان رئيسًا لهيئة البرلمانية ليعلن بيعة الإخوان (لمبارك)، وقال فى بيعته: (وجدناك شريفًا فبايعناك، ووجدناك أمينًا فبايعناك، ووجدناك وطنيًّا فبايعناك) وبعدها أعلن الدكتور (عبدالستار فتح الله سعيد) استقالته من عضوية مكتب إرشاد الجماعة احتجاجًا على هذه البيعة لأنها تخالف اعتقاد جماعة الإخوان فى (مبارك) [٢].

وعندما وعد مرشد الإخوان (محمد بديع) الشعب المصرى بأنه لن يترشح أحد من الإخوان فى انتخابات الرئاسة، بل قامت الجماعة بفصل ابنها (عبدالمنعم أبو الفتوح) لأنه خالف قرار الجماعة وقرر خوض الانتخابات، إذا بالجماعة بعدها تقرر خوض انتخابات الرئاسة بمرشح أصلى هو (خيرت الشاطر)، وآخر احتياطى هو (محمد

(١) المصدر السابق ص: (٤٥).

(٢) أئمة الشر للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٩٥-١٩٦).

مرسى) الذى أصبح فيما بعد رئيسًا، والأمر الذى يعتبر نكولاً عن الوعد، حيث كتب أحد شيوخ الإخوان، ويُدعى الشيخ (فوزى شداد) ينشر فى موقع إخوان (أون لاين) يوم ٢١/ ٤/ ٢٠١١ دراسة شرعية تدور حول جواز النكول عن الحلف والوعد، ثم أداء الْكَفَّارَةِ، وفى الدراسة استدلالاتٍ فقهيةٍ فاسدةٍ فى غير موضعها مثل (جواز الصلح مع غير المسلمين، أو إيهامهم بالصلح للحصول على منفعةٍ منهم بذلك) واستدل الباحث الإخوانى فى دراسته، بأن الرسول ﷺ تصالح فى غزوة الخندق مع قادة عطفان على أن يمنعوا عنه الكفار من ناحيتهم على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، ثم نكل الرسول ﷺ عن وعده لأن الصحابة لم يوافقوا على هذا الوعد!! والاستدلالات طبعًا فى غير موضعها والقياس فيها فاسد، لأن فقه الحرب مع الكفار يختلف عن فقه السلام والدولة المسلمة إلا إذا كانوا يعتبرون أن مصر ليس فيها إسلام وأنها دولة حرب مع المسلمين (الإخوان) وفى ٢٠١٠ قبل ثورة يناير صرح المرشد (محمد بديع) فى برنامج العاشرة مساء بأن (مبارك أبٍ لكل المصريين وأنه لا يمانع فى أن يرشح (جمال مبارك) نفسه للرئاسة) رغم أن المظاهرات كانت قد انتشرت فى الشارع المصرى رافضةً مسلسل التوريث، وفى الفترة الانتقالية والتى أدار فيها المجلس العسكرى، و(المشير طنطاوى) شئون البلاد خرج الإخوان فى جمعة ٢٩ يوليو ٢٠١١ – يهتفون له (يا مشير . يا مشير ألف تحية من التحرير) وأيضًا (يا مشير . يا مشير .. م النهارده انت الأمير) وعندما وصل مرسى للحكم وحانت له لحظة التمكن قام بالإطاحة بالمشير (طنطاوى) رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ووزير الدفاع، فلم ينل المشير مع الإخوان إلا الطرد والإقصاء [1].

وموقف آخر لتفعيل فقه التقية (السياسى، لا الشرعى) للإخوان، وهذا الفقه الذى يستخدم فى التخفى والسرية والكذب والنفاق، فإذا نظرنا إلى مشروع (النهضة) والتى أعلنته الإخوان فى مشروع انتخابات مرسى، وهذا المشروع افتضح أمره بعد انتخابات

(١) المصدر السابق ص: (١٩٩-٢٠٠).

الرئاسة وإعلان النتيجة المزورة بنجاح (مرسى) أن هذا المشروع هو (الفنكوش) والذى أعلن عنه (عادل إمام) فى أحد أفلامه بعد أن أعلن عنه جماعة الإخوان بأنه المشروع الذى سيأتى بالنهضة لمصر وتقدمها فى جميع المجالات، واتضح أن هذا المشروع لا يمثل شيئًا عند الإخوان وأنهم لا يستوعبون فهمه على المستوى النظرى، لا التطبيق العملى، لأنه كما قلت سابقًا هو (الفنكوش)، وأما النقطة الأخرى أن (مرسى) حنث بالقسم الذى أخذه على نفسه ثلاث مرات، فى ميدان التحرير، وجامعة القاهرة، ومقر المحكمة الدستورية، وهو أن (يكون مخلصًا لجمهورية مصر العربية) وقد لحس هذا القسم واتفق مع الأمريكان وإسرائيل، وقطر وتركيا بتنفيذ خطة الشرق الأوسط الكبير وهو إعطاء ٣٠٪ من صحراء سيناء إلى غزة وفلسطين وإخلاء أرض فلسطين للإسرائيليين، وذلك لتمويت القضية الفلسطينية وإنهائها إلى الأبد، وإعطاء جزء من حلايب وشلاتين للسودان، ثم يُكمل مرسى القسم فيقول (وأن أرعى مصالح الوطن والمواطنين) وهو يحق قد دمر مصالح الوطن بالتفجيرات وتدمير بعض المنشآت العسكرية والشرطية، والمواطنين، بأنه قام باغتيالات بعض جنود الجيش والشرطة، وسحل واغتيال المواطنين من الشباب والأطفال والشيوخ، وبهذا يتضح من أفعال الإخوان أن المخبر سوء، بل هو السم الزعاف، والمظهر هُمْ دُعَاةٌ تنحنى الرؤوس أمامهم فكلامهم وشعاراتهم أحلى من رحيق الزهور، وأنقى من ماء المطر، كما يَدَّعُونَ، وأطعم من العسل، وأما ما خلف الصدور من تدميرٍ للمنشآت الحكومية واغتيالاتٍ، وتفجيراتٍ لكل من عاداهم، أو خالفهم، لم يكن له تبريرٌ إلا التقية، والنفاق بعينها ويصدق فيهم قول الحق تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء: ١٤٥) ويستثنى من ذلك من تابوا من ما فعلوه واقترفوه، ثم أصلحوا بعد ذلك أعمالهم، واعتصموا بحبل الله أى: قرآنه وسنة نبيه ﷺ، فأخلصوا عبادتهم ونيتهم لله الواحد الأحد، فى تلك الحالة سيصبحون فى عداد المؤمنين المتقين وسوف يؤتيهم الله أجرًا عظيمًا، وكما أن الإسلام

يَجُبُّ ما قبله، فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، كما جاء فى الآية التى تلى الآية السابقة حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ (النساء: ١٤٦).

الْجَانِبُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْمَلَفِّ، وَهُوَ فِكْرُ التَّكْفِيرِ عِنْدَ الْإِخْوَانِ:

فِكْرُ التكفير عند الإخوان مَنْشَؤُهُ (سيد قطب)، وتقول القاعدة العامة: (سُلُوكُ الْإِنْسَانِ وَلِيدُ لِفِكْرِهِ)، فقد تأثر (سيد قطب) بفكر (ابن حزم - ابن تيمية - عباس محمود العقاد - حسن البنا - سيد أبو الأعلى المودودى)، ومن تأثروا به (عبدالله عزام - أسامة بن لادن - محمد قطب - عاصم المقدسى - محمد فرج - صالح سرية - عبدالحميد كشك - الشاذلى - أيمن الظواهرى - شكرى مصطفى - محمد بديع - خيرت الشاطر - محمد مرسى - أعضاء التنظيم السرى، ومكتب الإرشاد للإخوان).

ولَعَلَّ مأساة (سيد قطب) بقدر ما هو المأزق الثقافى الذى كابدته مصر عندما اختلطت الأفكار بالأفعال، ولم يعد الأمر مجرد آراء، وإنما ممارسات تتلبس بالعنف، وتختلط بالإرهاب، فيما وقع (سيد قطب) فى كتاب (معالم فى الطريق) فى خطأ استعارة رؤية (المودودى) مؤسس الجماعة الإسلامية بالهند عن (المفاصلة) وهى رؤية لها سياقها التاريخى، والنفسى المغاير فى شبه القارة الهندية حيث يشكل المسلمون أقلية، ومثل هذا الفكر القائم على المفاصلة والتقسيم لفسطاطين شحيح فى مسألة (النقد الذاتى) لأنه يُعانى دَوْمًا من إرهابِ الآخرَ وتحميله كل الأوزار، ولا ريب أنه يفضى عمليًا داخل الدولة المتعددة لانشطارٍ مجتمعىٍّ يُهَدِّدُ فى الصميم الأمن القومى للدولة بأى معيارٍ وبكل المقاييسِ، ولا جدال أن مصر عانت من هذا الفكر المُتَشِحِ بالدينِ، والذى تحول إلى مأزقٍ ثقافىٍّ كما تُعانى من اتجاهاتٍ عمياءٍ، تسعى لهدم الدولة متشحة بأفكارٍ ثوريةٍ مزيفةٍ، أو فى أفضل الأحوال مراهقة تبغى

تحويل الوطن لمختبرٍ لأفكارٍ وفلسفاتٍ فوضويةٍ ثبت فشلها فى مواطنها بالغرب منذ عهد بعيدٍ، وغنىٌّ عن القولِ أنَّ الكثير من هذه الأفكار التى تُنكر الدين على إطلاقه، لا محلَّ لها فى مصر المؤمنة برسالات السماء ونداء التوحيد، وتبدو أفكار (سيد قطب) بعيدةً عن مكونٍ أصيلٍ فى الفكر الحضارىِّ الإسلامىِّ مُمَثَّلاً فى أفكار (ابن رشد) التى شكلت بعقلانيتها أساسًا هامًا من أسس النهضة الغربية المعاصرة بفضل مَا عُرِفَ بتيار (الرشدية اللاتينية) الذى شاع فى جامعات فرنسا وإيطاليا منذ القرن الثانى عشر ومن مُفارقات التاريخ أن (ابن رشد الحى فى الغرب والميت فى الشرق) تعرض فى زمنه بالقرن الحادى عشر باتهاماتٍ بالتكفير من بعض الفقهاء، لأنه تأثر بالفلسفة اليونانية القديمة فى التأكيد على رفضِ الفكرِ المتشددِ، والمتشحِ بأرديةٍ دينيةٍ لأى نسقٍ فكرىٍّ مفتوحٍ، وتشبثه بالنسق المغلق، ونبذ الآخر والمغاير، والنسق هو (الربط بين جملة أفكار رُبِطَا عُضْوِيًّا بحيث لا يتيسر معه فصلُ فكرةٍ عن الأفكارِ الباقيةِ إلا بالقضاءِ على النسقِ كلهِ) ويوضح (هنرى برجسون) الفيلسوف الفرنسى فكرته فيقول: (إن الفكرَ يتصلبُ فيعندُ، ومن يعندُ ينتهى إلى أن يَلْوِىَ الأشياء وفقًا لفكرهِ بدلاً من أن ينظم فكره وفقًا للأشياء) والفارق بين الأنساق المغلقة، والأنساق المفتوحة يكمن فى النظرة للزمان، فالأنسقة المغلقة لا تفرق بين الحاضر والماضى والمستقبل، فهى كلها حاضرةٌ ومتكررةٌ، وأما النسق المفتوحة، فتخلو من التكرار كما تخلو من العودة لنقطة البداية، ومن ثم تُنكر مقولة أن (كل ما حدث فى الماضى سيتكرر حدوثه فى المستقبل) كما يوضح المفكر المصرى الدكتور (مراد وهبه)، ولعلّ (قضية النسق المغلق والمفتوح) تتجلى بوضوح فى عالم السياسة ووقائع دالة فى عديد من المجتمعات ومن بينها المجتمع المصرى حيث يبدو أحيانًا وكأن بعض المجتمعات تعيش بالفعل فى حلقةٍ مُفْرَغَةٍ، أو كأنها أصيبت بِلَعْنَةٍ تمنعها من التغييرِ الفعلىِّ والجوهرىِّ رغم تغير الأنظمة، فالنسق المفتوح (يعنى قابلية

الديمقراطية الحقة، والتعدد، والتنوع الذى يثرى المجتمعات، ويفتح لها أبواب التقدم فى الحاضر والمستقبل)

أما النسق المغلق (يكمن فى الأفكار الجاهزة، وجمود التطور، ووأد الخيال، واستمرار الممارسات القديمة ولو بأوجه جديدة، وفتح أبواب التخلف فى الحاضر والمستقبل، وغلق الفكر المتطور والمستنير)، فليست الهزيمة قدر مجتمعات بعينها، ولا الموت يقصد بشرًا بعينهم، ولا العالم يقصد شعوبًا بعينها، إنما هى لعنة (النسق المغلق).

- فهل حان الوقت لتبنى فلسفة (النسق المفتوح، وكسرِ الحلقةِ المُفْرَغَةِ)؟!

- هل حان الوقت لمراجعةٍ جوهريةٍ لأفكارِ (سيد قطب) المنتمية للنسقِ المغلقِ بمنظورٍ ثقافىٍّ؟!

تقول الدكتورة (هدى عبدالناصر) كريمة الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر) إن قضية (سيد قطب) بدأت فعليًّا بقراءة والدها لكتاب (معالم على الطريق) الذى طرح فيه (سيد قطب) أفكاره التكفيرية للمجتمع والجاهلية المعاصرة، وأن (جمال عبدالناصر) هو الذى بادر بالاستفسار من أجهزة الأمن حول أنشطة جماعة الإخوان، حينئذٍ وبعد أن استشعر خطورة ما ورد فى هذا الكتاب من أفكارٍ أَحَسَّ أن لها ما بعدها من أفعالٍ حَرَكِيَّةٍ، واكتشفت أجهزة الأمن بناءً على هذا الاستفسار من (جمال عبدالناصر) أن هناك بالفعل أنشطةٍ خطيرةٍ (لجماعة الإخوان)، وأن الأمر يتضمن اغتيال (عبدالناصر)، وَهَدْمِ الدولةِ ليبدأ على حَدِّ قَوْلِهَا صِرَاعًا وسباقًا مثيرًا بين (الدولة المصرية) و(جماعة الإخوان) قبل أن تُنَفِّذَ مخططها وتنال من (عبدالناصر) صِرَاعٌ كان لصاحب قصيدة (الْكَأْسُ الْمَسْمُومَةُ) ودورهُ الخطيرُ فيهِ حَيًّا، وَمَيِّتًا [1].

(١) شبكة الانترنت، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وإليك عزيزى القارئ القصيدة وهى بعنوان:

(الْكَأْسُ الْمَسْمُومَةُ)

أَقْلاَكِ. أَقْلاَكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلاَكِ ... أَقْـلاَكِ كَالسُّمِّ يَسْرِى جَدَّ فَتَّاكِ

أَقْلاَكِ: إِنَّكِ فِى نَفْسِى وَفِى زَمَنِى ... وَفِى حَيَاتِى أَفْعَى ذَاتُ أَشْـوَاكِ

سَمَّمْتُ عَيْشِى وَأَحْلاَمِى وَأَخْيِلَتِى ... وَأَنْـتِ شَيْطَانَةٌ فِى سَمْتِ أَمْلاَكِ

وَعِشْتُ أَرْعَاكِ فِى قَلْبِى وَأَنْتِ بِلاَ ... قَلْبٍ يُحِسُّ وَيَرْعَى كَيْفَ أَرْعَاكِ

مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنِّى حَائِرٌ قَلِقٌ ... أَأَنْـتِ أُسْطُورَةٌ فِى سِفْرِ أَفَّـاكِ؟

أحياناً تعبرُ الكلماتُ عن مكنونِ الإنسانِ وبواطنهُ، فإذا كانت متفائلةً تكونُ كلماتهُ تدلُّ على التَّفَاؤُلِ والأملِ والفرحةِ والابتهاجِ، وما إلى ذلك، وإذا كانت حزينةٌ، تَدُلُّ على الحزنِ والألمِ، وإذا كانت صادمةٌ تدميريةٌ، تدل على ذلك، والمقطع الأول من القصيدة يدل على معاناة الكاتِبِ وَكُرْهِهِ للواقعِ المؤلِمِ الحزينِ، ومدى تألمه لهذا الواقع وكرهه له، وقد شبه هذا الكره بالشيطان الذى يبث السم فيسرى فيه، فيسير فيه فَتَّاكًا، فَكُرْهَهُ الكامنُ فى نفسهِ، وفى زمنهِ كالأفعى التى تَنْفُثُ سُمَّهَا فينطبعُ ذلك على حياته، فلا تَصِيرُ فى نفسه إلا أشواكًا، حتى أنها بما تحمل من معاناةٍ، قد سَمَّمَتْ عَيْشَهُ، وبدنهُ، وخيالاتُه، إلا أنها كالشيطانِ فى هيئةِ ملاكٍ، فعاش يرعاها فى قلبٍ بلا قلبٍ حتى جَرَّدَتْهُ من كل شىءٍ يحسهُ ويرعاهُ، فيتعجبُ، ويتحسرُ من هذه الرعايةِ حتى تُسَائِلَهُ نَفْسُهُ مَنْ هُوَ؟ وَمَنْ أَنْتَ؟ فَيُجِيبُهَا، فَمَا أَنْتِ فِى قلبِى إلا إنسانٌ حائرٌ قلقٌ مضطربٌ، لا يستطيعُ أن يحددَ هَوِّيَتَهُ، حتى شَبَّهَهَا بالأسطورةِ فى سفرٍ، أى (الكتابِ) الساكنِ المقتضَى بهِ.

ثُمَّ يُطَالِعُنَا الكَاتِبُ فى المقطع الثانى من القصيدةِ، فيقولُ:

أَنْسَى اللَّيَالِى الَّتِى قَضَّيْتُهَا قَلِقًا ... وَأَنْـتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيَّـاكِ

أَنْسَى الدُّمُوعَ الَّتِى أَرْسَلْتُهَا غَدَقًا ... وَلَسْتُ لَوْلاَ هَوَاكِ الْـمُرُّ بِالْبَاكِى
وَكِبْرِيَائِى الَّتِى مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا ... مِنْ قَبْلُ، أَوْ بَعْدُ فِى دُنْيَاىَ لَوْلاَكِ
أَنْسَى وَأَذْكُرُ أَحْلاَمِى وَأَخْيِلَتِى ... كَـأَنَّهُـنَّ نُـجُـومٌ بَـيْنَ أَحْـلاَكِ
وَكُلُّهُنَّ نَسِيجُ الْوَهْمِ فِى خَلَدِى ... وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْـوَاكِ

أما المقطع الثانى من القصيدة، فهو تَذْكِرَةٌ لِعَالِمِ الكاتِب رَغْمَ مَا يُعَانِيهِ، فَيُعَبِّرُ عَنْ لَيَالِيهِ، وَأَيَّامِهِ التى قضاهَا قلقًا حائرًا مضطربًا، وبالرغم من ذلك، فهى ساكنةٌ، راضيةٌ عن وجودها، فينسى الدموعُ التى سالت غزيرةً، بالرغم من هواها الْـمُرِّ الذى أبكاهُ طويلاً، ولولا كبرياؤُهُ، وَعِزَّتَهُ وكرامتهُ، ما كان يتنازلُ عنها أبدًا، من قبلِ، أو بعدِ فى هذه الدنيا، ولولا الهدفُ الذى عاهدتهُ نفسهُ عليها، وذكرياتُ أحلامِه التى عاشَ من أجلها، وكأنها نجومٌ بين زِينَتِهَا، وبين حِلْيَتِهَا كالنجومِ المتزينةِ، وَكُلُّهُنَّ نسيجٌ واحدٌ، ألا وهو نسيجُ الوهمِ الذى يدورُ فى خَلِدَهِ، أى: بَالَهُ، وليست حِيَلٌ، أو مصائبٌ، بل كلهنَّ صِعَابٌ.

● ثم يُسَطِّرُ الكاتبُ فى المقطعِ الأخيرِ من القصيدةِ، فيقولُ:

أَقْلاَكِ. لَيْتَ! فَإِنِّى لَسْتُ أَقْلاَكِ ... أَهْوَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّى لَسْتُ أَهْوَاكِ
أَهْـوَى وَأَقْـلَى وَأَيَّـامِـى مُوَزَّعَةٌ ... بَيْنَ الْهَوَى وَالْقِلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِى
هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السُّمُّ قَدْ مُزِجَا ... وَلَسْتُ أَرْوَى بِكَأْسٍ غَيْرَ رَيَّاكِ
هَاتِى لِىَ السُّمَّ صِرْفًا، لاَ يُمَازِجُهُ ... هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّى لَسْتُ بِالشَّاكِى
مَلَلْتُ كَأْسَكِ لاَ أَلْتَذُّ نَشْوَتَهَا ... وَلاَ أُحَطِّمُهَا تَحْطِيمَ سَفَّاكِ

أما المقطع الثالث، والأخير من القصيدة، فهو رغبةُ الكاتبِ، وسعيهِ فى تحقيقِ الهدفِ رغم ما عاناهُ حتى ولو كان الهدف تَدْمِيرِيًّا، فيقولُ: مُتمنيًّا، متعجبًا، سائلاً: هل حقًّا أنتِ

أقلاقِي التى أحبها؟ ليتك كنت أنت، ولكننى لست أحبك حُبَّ كُرْهِى وَأيَّامِى، وهى موزعةً بين الهوى مثل الضاحكِ الباكِى، وهذا الرحيقُ، وهذا السمُّ الذى قد مُزِجَ، ولم يَرْوِ كأسًا غيرَ غَيَّاكِ أى: ما أتعطش منه فيروى ظمئى، فأتِ لِيَ السمَّ خالصًا نَقِيًّا من أيةِ شائبةٍ لاَ يُخَالِطُ بالرحيقِ الفانِى، ومع ذلك، فلستُ بالشاكى، فقد سَئِمْتُ هذا الكأس الذى تجرعتُه، فلم أستلذَّ بفرحتى، وإلا أُفتِّتُهَا، وأستبيحُهَا كالدمِ المستباحِ، أو القاتِلِ الذى يُرِيقُ الدماءَ ولا يبالى هل هى لطفلٍ رضيعٍ، أو شيخ وقورٍ؟ لأن الإرهاب الأسود يقوم على مبدأ الجبانَ (اضْرِبْ وَاهْرَبْ)، لأنه ليس له عقلٌ، ولا وطنٌ، ولا دينٌ، ولا يفرقُ بين التَّقِىِّ الْوَرِعِ، وَلاَ الْفَاجِرِ الْعِرْبِيدِ، وهذا الصراع الذى توالت صفحاته الدامية حتى دخلت اللحظة الفاصلة، والتى أذهلت جميع الشعوب العربية، وغير العربية فى انتفاضة الشعب المصرى الذى رفض هذ النسق المغلق والذى خرج بأكثر من ثلاثين مليونًا وهى ظاهرةً لم تكن مسبوقةً فى أىِّ زمنٍ من الأزمانِ، أو فى أىِّ عصرٍ من العصورِ، وكان يوم الأحد الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ عندما خرج الشعبُ المصرىُّ ليحسم الصراع لصالح دولة الحريات، وكأنه يقول: (أنا أختار النسق المفتوح، وأرفض النسق المغلق) وكأنه اختار بملء إرادته إسقاطُ أفكارِ التكفيرِ الجماعىِّ الذى يفككُ الوطنَ، ويفكك الهويةَ المصريةَ، وقد أَبَتْ الهويةُ المصريةُ ذلك، فقد حاولت (جماعة الإخوان) تفريقَ المصريينَ، ولكنَّ الجيناتِ المصريةِ، عَصِيَّةً على الْفُرْقَةِ، لأن جينات المحبة بين هذه الأمة تُلْغِى من قانونها الْفُرْقَةِ، ليس بين المسمين فقط، ولكن بين جميع الطوائفِ والملل[1].

أَمَّا مَا يتحدثونَ عنِ (النسقِ المغلقِ) وكأن هذا النسق قد أصبح الملهم لهم، وأصبح مدرستهم الذين يتعلمون منه علمهم، ويستمدون منه أفكارهمْ. ليستخدموهُ فى واقع حياتِهم الذى اختاره وليطالعنا عن ذلك الأستاذ (ثروت الخرباوى) فيقول: لقد صرح

(١) هذه القصيدة نُشِرتْ، للكاتب (سيد قطب) فى أكتوبر ١٩٤٣م تحت عنوان (الكأس المسمومة) من ديوان سيد قطب، جمعهُ الأستاذ/ عبدالباقى محمد حسين ص: (٢١٧).

(القرضاوى) فى إحدى الندوات على أن: (سيد قطب خرج بفكره عن العقيدة التى عليها أهل السنة والجماعة) وفى اليوم التالى قد صرح (محمود عزت) بخصوص ما قاله القرضاوى قائلاً: (إن المشكلة ليست فى فكر (سيد قطب)، ولكن المشكلة فى أن الذى قرأ (لسيد قطب)، أى: (القرضاوى) لم يفهم ما قرأه (سيد قطب) وهو أبرز علماء السنة) وبعد أيام استضاف الباحث الإعلامى (ضياء رشوان) الدكتور يوسف القرضاوى فى (قناة الفراعين) ليسأله عن تفصيلات ما قيل فى ذلك الشأن فى ندوة نقابة الصحفيين، وردود فعل (جماعة الإخوان) عنها، فقال: ((سيد قطب) انتمى إلى جماعة الإخوان فى بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وقد كان انضمامه للإخوان بناءً على رغبته واقتناعه بالجماعة، ولم تكن أفكاره فى أول الأمر تميل إلى التكفير، ولكنه أثناء تجربة السجن، أخذ يتحدث عن الحاكمية والجاهلية فى كتبه خاصة الطبعة الثانية من كتابه فى ظلال القرآن) واستطرد (القرضاوى) فى حواره التلفزيونى قائلاً: (ولك أن تعتبر يا أخى الكريم أن ما كتبه (قطب) من أفكار خلال المرحلة الأخيرة من حياته يؤكد خروجه عن أهل السنة والجماعة بوجه ما، فأهل السنة والجماعة يقتصدون فى عملية التكفير حتى مع الخوارج، ووفقًا لما استقرَّ عليه الفقه فى هذا المجال، فإننى أستطيع القول بأن الأستاذ (قطب) خرج عن الصراطِ السوىِّ لأهل السنة والجماعة) ثم بادره بالسؤال أيضًا الإعلامى المحاور قائلاً: هل سيد قطب بهذه الأفكار ينتمى لجماعة الإخوان؟

رَدَّ (القرضاوى) قائلاً: (سيد قطب كان من المعجبين بالإمام (حسن البنا) مؤسس جماعة الإخوان، وكتب عنه مقالته الشهيرة (حسن البنا وعبقرية البناء) وقد أشاد فى هذه المقالة بقدرات البنا التنظيمية فى تأسيس، وتشكيل هياكلها التنظيمية، لكن قطب لم ينقل عن فكر البنا مثلما نقل عن الشيخ (أبو الأعلى المودودى)، فقد تأثر (قطب) (بالمودودى) كثيرًا وأخذ منه فكرة الحاكمية والجاهلية، ولكن (قطب) خرج فى النهاية بنتائج عن تكفير المجتمع وجاهليته تختلف تمامًا عن ما قاله المودودى).

ثم يستطرد (رشوان) قائلاً: وما هى الحاكمية، والجاهلية التى أصبحت علامة فى فكر (سيد قطب)؟ أجاب القرضاوى قائلاً: (لا غبار على الحاكمية فهى فكرة إسلامية أصيلة، وتعنى أن تكون المرجعية للشريعة الإسلامية، وقد تحدث عنها الإمام (أبو حامد الغزالى) وغيره من علماء المسلمين، أما (الجاهلية) فدلالتها تختلف عند (قطب) عمّا جاءت عليه فى القرآن الكريم اختلافًا كليًّا وجزئيًّا، حيث يعتبر (قطب) فى كتابه (معالم فى الطريق) أن المجتمع بالأساس غير مسلم، ومهمة المصلحين هى رَدّ الناس أولاً إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا شك يا أخى الكريم أن (قطب) قد أخطأ فى قضية تكفير مجموع المسلمين وليس فقط الحكام والأنظمة، ولا شك أيضًا أن (قطب) يتحمل بعض المسئولية عن تيار التكفير، فقد أخذ أفكار (المودودى) وَرَتَّبَ عليها بأفكارٍ لم تخطر على بال المودودى نفسه، وهذا أيضًا ما فعله (شكرى مصطفى) حيث أخذ شكرى أفكار قطب، وخرج منها بنتائج لم تخطر على بال قطب، حيث اعتبر شكرى أن جماعته التى سماها (جماعة المسلمين) هى فقط التى على الإسلام، ومن دونهم فهم كفار) ثم تسائل رشوان قائلا: وهل تستطيع القول بأن هناك صلة بين (أفكار سيد قطب)، و(أفكار حسن البنا)؟

أجاب (القرضاوى) قائلاً: (انظر يا أخى، منهج (سيد قطب) ليس هو منهج الإخوان الذى وضع (حسن البنا) أسسه، (فسيد قطب) لم يعش فى الإخوان، ولم يَتَرَبَّ على حصيرتها، فقد كانت فترة وجوده فى الجماعة قليلة، وأنا أرى أن أفكاره لا توافق فكر الإخوان، وأُحذر كل الإخوان الذين يقرءون لسيد قطب من أن يقعوا أسرى لأفكاره) وكأن النار قد اشتعلت فى مقر الإخوان بالمنيل، وجاءت مكالمة تليفونية من أحد كبار الإخوان تطالب الأستاذ (ضياء) بفتح مجال فى برنامجه (منابر ومدافع) لكل من هاجم فكر الشهيد سيد قطب، فرد قائلاً: على الرحب والسعة أهلاً وسهلاً هذا شىء نسعى إليه ويسعدنا، وكان أن استضافت (قناة الفراعين) (محمود عزت)، و(محمد مرسى)

كممثلين لجماعة الإخوان ليردا على (القرضاوى) وفى هذه الحلقة قال (محمود عزت) رَدًّا على (رشوان): (أفكار (سيد قطب) هى أفكار الإخوان، والدليل على ذلك أن عددًا من أعضاء مكتب إرشاد جماعة الإخوان عندما كانوا فى السجن مع سيد قطب انتدبوا من بينهم الأستاذ (عمر التلمسانى) ليناقش الأستاذ (سيد قطب) فى أفكاره فقال له: أنا لا أكفر المسلمين، فخرج عمر التلمسانى لأعضاء مكتب الإرشاد وهم (عبدالعزيز عطية، وأحمد شريت، وحامد أبو النصر)، وقال لهم اتضح أن سيد قطب لا يكفر أحدًا، أما كتاب (دعاة لا قضاه) الذى كتبه المرشد (حسن الهضيبى) فهو ليس كتاباً للرد على أفكار سيد قطب، ولكنه كان لوضع معايير وأسس لكيفية فهم أفكار سيد قطب؛ أى إن الأخ من الإخوان قبل أن يقرأ لسيد قطب يجب أن يقرأ كتاب المعايير (دعاةٌ لا قضاةٌ) أولا حتى يفهم قصد سيد قطب) ثم نظر (رشوان) إلى (محمد مرسى) وبادره بالسؤال قائلاً: (هل أفكار الإخوان موجودة فى كتب سيد قطب) فأجاب (محمد مرسى) قائلاً: (الحقيقة أننى أتفق مع كلام الدكتور (محمود عزت) وهو الذى قرأ للأستاذ (سيد قطب) فى حياته، ولكننى قرأت للأستاذ سيد قطب بعد وفاته، وعندما قرأت له عشت فى كتاباته فصارت جزءًا منى، والحقيقة أننى عندما قرأت له عشت فى كتاباته فصارت جزءًا منى، والحقيقة أننى عندما قرأت له وجدت فيه الإسلام، بما فيه من السعة والرؤية الشاملة للإسلام، وصحيح أن الأستاذ سيد قطب يقول نصوصًا تكفيرية ولكنها نصوص تُحرك الوجدان، وتتحدى العقل، ويجب لمن يقرأ لسيد قطب أن يتعلم اللغة العربية أولاً، قلبى على (القرضاوى) الذى لا يعرف العربية، ولا يتقن غير التركستانية، فإذا عرف العربية سيعرف أن ما يقول قطب هو الإسلام، وأنا شخصيًا عندما قرأت لقطب تحريت الدقة وسألت الكبار حتى أفهم ما كتبه) وقبل أن تنتهى الحلقة تلقى (ضياء رشوان) مداخلة تليفونية على الهواء من الدكتور (محمد بديع) يؤيد فيها دفاع الصاحبين (مرسى، وعزت) عن أستاذهما وصاحب فكرهما سيد قطب، فتعجب الدكتور القرضاوى من ردود قادة

الإخوان على رأيه!! وحين التقى مع الدكتور (محمد سليم العوا) ودار النقاش بين أيديهما، سأله القرضاوى قائلاً: (من هؤلاء يا دكتور، أى: يقصد من أىِّ مدرسةٍ فكريَّةٍ هؤلاء، هل هم إخوان حقًا، ولماذا يدافعون عن قطب؟)

فقال الدكتور (سليم العوا): (هؤلاء يا مولانا هم تنظيم العشرات) فردَّ الشيخ (القرضاوى) وقد فغر فاهُ مشدوهًا: أهم هم؟! أهؤلاء من حَذَّرَنَا منهم التلمسانى؟!! الآن أصبحوا قادة للإخوان ! إنا لله وإنا إليه راجعون، جزع الشيخ ممن نهلوا من (كتاب الظلال)، (ومعالم على الطريق) هؤلاء هم من جلسوا على حصيرة أخرى غير حصيرة الإخوان، واعتبروا الموسيقى زندقةٌ، والآداب العالمية محرفةٌ، والفنون شيطنةٌ، فتربت هذه الأجيال فكريًا على أن الديمقراطيةُ حرامٌ، والليبرالية كفرٌ[1].

رَابِعًا : مِنْ أَيْنَ جَاءُوا بِهَذَا الْفِكْرِ؟

لقد أجمع الباحثون على أن كتاب (معالم فى الطريق) هو إنجيل المتطرف، وعلى أساس أفكار هذا الكتاب صاغ فقهاء، وأمراء الجماعات الإسلامية المتطرفة شعاراتهم وبرامجهم، وإذ يحاول (الإخوان) إعلان براءتهم من هذا الكتاب وإبعاد المسئولية عنه فى (سيد قطب) وتبرير تطرف أفكار الكاتب بظروف السجن التى عاشها المؤلف، إلا أن الحقائق تدل على عكس ذلك وتفضح صلة جماعة الإخوان ومرشدهم العام بهذا الكتاب وأفكاره المدمرة، وكان المرشد العام (حسن الهضيبى) قد وافق على كتاب (سيد قطب) الذى أرسله إليه من السجن وراجعه ملزمة ملزمة، وأمر بطباعته وفقًا للروايات التى جاءت فى عدة كتب صدرت بعد رحيل (عبدالناصر) بعشرين عامًا، وكان دفاعًا عن سيد قطب فى حينه كتاب (دعاة لا قضاة) للمرشد الثانى (حسن الهضيبى) بحجة أن هذا الكتاب لم يُكتب للردِّ على أفكار سيد قطب، ولكنه كان لوضع المعايير والأفكار والأسس لكيفية فهم فكر (سيد قطب)، إلا أن قامت (زينب الغزالى) بفضح (جماعة الإخوان)، وما

(١) مختصر من كتاب سر المعبد، للأستاذ/ ثروت الخرباوى.

برَّروه من تلك الأفكار وذلك التطرف فى كتابها (أيام من حياتى) فقالت: (إن التنظيم أُعيد بناؤه بصورةٍ سِرِّيَةٍ بعد قرارِ حَلِّهِ، وكانت بداية إعادة البناء سنة ١٩٧٥م. بعلم المرشد العام (الهضيبى) ومباركته على أن يتولاه (سيد قطب) وفيما أشارت اعترافات المتهمين بمؤامرة ١٩٦٥م. أمام المحكمة إلى أن (التنظيم السرى) بدأ بجمع الأسلحة، واستغل طاقات الشباب بصنع المتفجرات، وإعداد خطط الاغتيالات لعددٍ كبيرٍ من المسؤولين وفى مقدمتهم (عبدالناصر) وسبب اهتمام (جماعة الإخوان) (بسيد قطب)، وكتاباته مشروعه الإسلامى والذى اعتقد فيه بأنه (لابد وأن توجد طليعة إسلامية تقود البشرية إلى الخلاص) وهذه كانت بداية العلاقة بين (سيد قطب)، و(جماعة الإخوان) وكانت العلامة الفارقة فى ذلك حيث أشار (سيد قطب) فى كتاب (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) الطبعة الأولى فى الإهداء كتب قائلاً: (الفتية الذين ألمحهم فى خيالى قادمين يَرُدُّونَ هذا الدين جديدًا كما بدأ يُقاتلون فى سبيل الله فَيقتلون ويُقتلون). وفهم الإخوان أن هذا الإهداء يعنيهم هم، فأصبحوا يهتمون بأمره ويعتبرونه صديقًا لهم إلى أن انضم فيما بعد إلى الحركة وأصبح مسؤولاً للقسم الدعوى فيها[1].

ومما يتضح فى ذلك الشأن وما ذُكر سابقًا من أن (سيد قطب) اعْتُبِرَ من أوائل مُنَظِّرى فكر (السلفية الجهادية)، و(جماعة الإخوان) وذلك منذ ستينيات القرن العشرين، استنادًا إلى بعض توجهات جماعة الإخوان، ونشأة (التنظيم الخاص) وذلك باحتكامهم لكتاب (ظلال القرآن الكريم)، وكتاب (معالم فى الطريق) وقصائد شعرية، ومنها قصيدة (الكأس المسمومة) جميعها (لسيد قطب) حيث يدور فحوى تفكيره فى تلك الخواطر حول (اعتزال معابد الجاهلية، ويقصد بها المساجد، والانعزال عن المجتمع الجاهلى، أى: الانعزال عن كل طوائف المجتمع المصرى والذى يصفها بالجاهلية الجهلاء، إلا طائفته التى ينتسب إليها، أو جماعته التى وصفها بجماعة المسلمين، ومن سواهم فهو على الكفر).

(١) شبكة الانترنت – موقع القرضاوى عن مؤسسة هيئة التحرير ١٩٥٣.

وكتاب (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) للأستاذ (سعيد حوى) والذى يصف فيه (جماعة الإخوان) بأنهم جماعة المسلمين، وهذه الجماعة لا توجد إلى فى (جماعة الإخوان) كما وصفها البنا.

وكتاب (جاهلية القرن العشرين) للأستاذ (محمد قطب) ويدور فحوى هذا الكتاب حول تكفير المجتمعات المسلمة، وكتاب (ذكريات مع جماعة المسلمين – التكفير والهجرة) للأستاذ عبدالرحمن أبو الخير ويدور فحوى ذلك هو تكفير الحكام، لأنهم لا يحكمون بشرع الله، وتكفير المحكومين لرضاهم بحكمهم وعدم الخروج عليهم، وتكفير العلماء، لعدم تكفير أولئك الحكام، وأما العنصر الثانى، وهو الهجرة، ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلى، وتتمثل فى اعتزال معابد الجاهلية، أى: مساجد المسلمين، وبالطبع اعتزال كل من يصلى فى تلك المساجد وعدم التعامل معهم.

و(تفسير ابن كثير)، وكتاب (العقيدة الطحاوية)، (ومعارج القبول) (للحافظ بن الحكمى) (ونيل الأوطار) (للشوكانى)، و(رياض الصالحين) (للنووى)، وكتاب (الفريضة الغائبة) (لمحمد عبدالسلام فرج)، و(مجموعة التوحيد) (لابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب) وتبنى أفكار (سيد أبو الأعلى المودودى) قال الأستاذ (على عشماوى) فى مذكراته: لقد درس الإخوان فكر جميع التنظيمات العالمية حين حاولوا بناء (التنظيم الخاص)، فقد تأثروا بالفكر الباطنى فى التاريخ الإسلامى، حيث التنظيمات العباسية، والعلوية، والشيعة وما صاحبها من فرقٍ سريةٍ، فأصبحت هذه الأفكار مصدرًا أساسيًّا تم الرجوع إليه ودراسته، والاستنارة به، وبفكرهِ الحركىِّ فى كل تنظيمٍ على حده، وفيها أيضًا كانت هناك وقفة شديدة أمام (فرقة الحشاشين) أتباع (مصطفى الصباحى)، وكان الانبهار من وصولهم إلى حَدِّ الإعجازِ فى تنفيذ آليات (السمع والطاعة)، وكيف كان الأفراد يسمعون ويُطيعون حتى لو طُلِبَ منهم قتل أنفسهم، أما الحركات العالمية الأخرى سواء كانت حركات إجرامية أو حركة سياسية، مثل المافيا العالمية، والتنظيمات

الفرنسية، وأخيرًا التنظيمات الصهيونية العالمية بما لها من قوةٍ وانضباطٍ واتصالاتٍ بجميع القوى السياسية، ومعرفة إخضاع الخصوم والسيطرة عليهم أو تصفيتهم، ولقد كان للأستاذ (سيد قطب) تعليق على ذلك فقال: (أَنَّ أَيَّ تنظيمٍ يطبع أفراده بصفته، أى أن التنظيم لو كان إجراميًا، خرج الأفراد مجرمين، وإذا كان صهيونيًا خرج الأفراد معجبين بالصهيونية) (١).

ولذلك قد أصبحت أفكار التكفير غالبة على فكر الجماعة، وهو ما قد شاهدناه فى معركة دستور مرسى ٢٠١٢، وما قامت به بعض القنوات الفضائية من عرضٍ لبعض الشاشات لمن يقول: نعم للدستور يقوم المُعِدُّ للبرنامج بتنوير الشاشة، ولمن يقول: لا للدستور يقوم المعد أيضاً بتسويد الشاشة، ثم يُعلقون بعد ذلك على أن ما يقولُ نعم للدستور سيدخل الجنة، وكذلك تم تداول تلك الأفكار فى انتخابات (المعزول) مع منافسيه فى انتخابات الرئاسة، وأما عن الاغتيالات فقد تمت اغتيالاتٌ لفظيةٌ للمخالفين مع (جماعة الإخوان)، وكان ذلك فى اعتصامى (رابعة والنهضة)، واغتيالاتٍ جسديةٍ بعد فضهما، وستتعرض لذلك لاحقًا.

خَامِسًا: مَا حُكْمُهُمْ عَلَى الْمُجْتَمَعِ؟

قامت (جماعة الإخوان) بتكفير جميع المخالفين فى فترة حكم المعزول، استنادًا لأفكار (سيد قطب)، و(شكرى مصطفى)، و(محمد قطب)، وقد تأصل ذلك عندهم وَفَعَّلُوهُ فى (التنظيم الخاصِّ) (أو التنظيم السِّرِّىِّ)، لأنهم يستكثرون رحمة الله على عباده، ويستكثرون أيضًا أن يعيش الشعب المصرى فى الأرض الرحبة المتسعة التى لا حقد فيها ولا كراهية، ولا دسائس، ولا مكائد، لأن التكفيرىَّ لو ملك رحمة الله على عباده لأغلقها عليهم، ولذلك قد قاموا بتكفير الجيش، والشرطة، لأنهما سِرُّ سعادة الشعب

(١) مذكرات على عشماوى، آخر قادة التنظيم الخاص. ص: (٨).

المصرى لتصديهم لإرهاب التكفيريين، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل قاموا بتكفير بقية مؤسسات الدولة من إعلام، وصحافة، وقضاة، لأنهم لم يقفوا بجانبهم فى غَيِّهِمْ، وَظُلْمِهِمْ، وقضية تكفير المسلم قديمة، ولها جذورها فى تاريخ الفكر الإسلامى منذ عهد الخوارج فقد كَفَّرَ (سيد قطب) عامة المسلمين، فقال فى كتابه فى ظلال القرآن: (البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله، البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله، بلا مدلولٍ ولا واقعٍ، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، أنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا فى دين الله) (١).

وقال أيضًا: (إنه ليست على وجه الأرض دولةٌ مسلمةٌ، ولا مجتمعٌ مسلمٌ قاعدة التعامل فيه هى شريعة الله والفقه الإسلامى) (٢).

وفى مقابل إطلاقه أوصاف الجاهلية والردة والشرك على كل المسلمين (حكام ومحكومين) قال: (ولو اعتقدوا أن لا إله إلا الله، وأدوا شعائر العبادة لله وحده، بسبب ارتكابهم صغائر الذنوب، أو المباحات باتخاذهم أعيادًا، ومواسم، وأزياء، وعادات، وتقاليد ونظم حياة لم يشرعها الله، وكانت النتيجة المنطقية، والعملية لهذا الفكر أنه قد كَفَّرَ جميع المسلمين فى هذا العصر (قادتهم وشعوبهم) ودعا إلى هجر جماعة المسلمين واعتزال مساجدها فى قوله: (لا نجاة للعصبة المسلمة فى كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دارِ إسلامٍ تعتصم بها، وإلا أن تشعرَ شعورًا كاملاً بأنها هى الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيها دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية) (٣).

(١) ظلال القرآن لسيد قطب: (٢/ ١٠٥٧).

(٢) المصدر السابق: (٤/ ٢١٢٢).

(٣) المصدر السابق: (٤/ ٢١٢٢).

وهذا تصريحٌ صريحٌ من (سيد قطب) بأمر اعتزال الجماعة، والإمام، والمسجد، وهجر جماعة المسلمين والاستعلاء عليهم، والتعصب للفرقة والاختلاف، وذلك مما يؤدى إلى ظهور الفتن وتفاقمها، وكثرة الاغتيالات، والتفجيرات، ومنازعة الأمر أهله، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩) قال رسول الله ﷺ: (الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ) (١).

وقال ﷺ: (مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ) (٢).

وقد حَذَا حَذْوَ (سيد قطب) (محمد قطب)، و(شكرى مصطفى) والدليل على ذلك من أقوال (شكرى مصطفى) عند سؤاله فى تحقيق النيابة العسكرية فوجهت له المحكمة عدة أسئلة منها:

- أليس هناك مسلمون حقًا خارج جماعتك؟

أجاب قائلاً: (إن الجماعة المسلمة الوحيدة على الأرض هى جماعتى على أساس أن سنة الله بزعمه أن ينشئ سبحانه نواةً واحدةً للأمةِ الواحدةِ التى يريدها).

- ووجهت المحكمة سؤالاً آخر قالت فيه: ما الحكمُ الشرعِىُّ فى حالة تواجدك، أو واحد من أفراد جماعتك عند المسجد الحرام وقت النداء لصلاة الجمعة؟

- أجاب قائلاً: (وأنا أجيب، ولا أخشى إلا الله، وإن نودى بألف صلاةِ جمعةٍ من مُنَادٍ غيرِ خاضعٍ لجماعة المسلمين، وجماعة المسلمين غيرَ باسطةً سلطانها على هذا المسجد، فلا فريضة للجمعة عليها).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٨١٤، ٣٧٥)، وابن أبى عاصم فى (السُّنَّةِ) برقم: (٨٩٥)، وحسَّنُه الألبانى فى (الصحيحة) برقم: (٦٦٧) عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -.

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن أبى ذر - رضي الله عنه - وجاء فى المشكاة برقم: (١٨٥)، وابن أبى عاصم فى (السُّنَّةِ) برقم: (٧٩٢)، وصحيح الجامع برقم: (٦٤١٠).

- ولما سألته المحكمة عن (الشيخ الذهبى) تحديدًا؟

- أجاب قائلاً: (بأن الشيخ الذهبى فى نظره كافر، ويبرر تكفره بأنه أقسم قسم الوزارة الذى يشتمل على القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية، وبأنه كان مسئولاً عن مساجد الضرار التابعة لوزارة الأوقاف).

ثم ننتقل إلى وجهٍ آخر، وهذا الوجه هو إحدى حوارات (جماعة الإخوان) وطرفى الحوار هما: الدكتور (جمال عبدالهادى) أستاذ التاريخ الإسلامى، والأستاذ (ثروت الخرباوى) الكاتب المعروف وكان مما قاله (الدكتور) رَدًّا على ما قالهُ (محمود عزت) روسيا الملحدة فى الستينيات، وأمريكا الكافرة فى التسعينيات: (لا نستطيع أن نتهم شخصًا بعينه بالكفر، فلا يجوز إطلاق القول بالكفر إلا بأن يثبت بالدليل الشرعى، وبالتالى لا يجوز تكفير الأعيان (أى الأشخاص) إلا إذا ثبت ذلك من خلالِ قولٍ، أو فعلٍ، ولكننا نستطيع تكفير الحكومات والأنظمة، ويثبت كفرها إذا امتنعت عن تحكيم شرع الله وهى تعلم وجوب هذا التحكيم، ويثبت علمها بالوجوب إذا أنذرها أهل العلم والفقه، ونظرًا لأننا أنذرنا حكوماتنا وأخذنا عليهم الحُجة فتكون الحكومات المصرية كافرةً كُفْرًا يُخرجها مِنَ الْمِلَّةِ)[1].

وهذا هو تفكيرهم، أى: تكفير الحكومات المصرية، وتشبيهها بأمريكا الكافرة، وما الحكومة إلا المؤسسة القضائية التى شهد العالم جميعًا بنزاهتها، والجيش والشرطة اللذان أثبتا بالواقع الْعَمَلِيِّ أن ولائهما لله أولاً، ثم الوطن ثانيًا، لأنهما دافعا عن تراب، وأفراد هذا الوطن بكل ما أوتوا من قوة، وَضَحُّوا بكل غال ونفيسٍ أى: بدمائهم وأرواحهم من أجل شعبِ وترابِ هذا الوطن، ثم يندرج تحت ذلك المُسَمَّى جميع الوزارات، إذن كل ما هو دون سلطانهم فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، ويدخل فى التحاكم إلى الطاغوت،

(١) سر المعبد للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (٢١٥).

أى: نحن تحت حكم الطواغيت بمفهومهم، لأنهم يستدلون استدلالاً فاسدًا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ (النساء: ٦٠) يقول ابن كثير: (هذا إنكارٌ من الله عزّ وجل على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسُنة رسوله، والآية عامة، فإنها ذَامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ها هنا، ولهذا قال: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) إلى آخرها [1].

ولهذا أقول للدكتور (عبدالهادى) وغيره من جماعة (الإخوان) هل المعزول تحاكم فى فصل الخصومات بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، ألم يُقِمْ حكمه على تقويض الشعب المصرى، وفرض السيطرة عليه هو وجماعته، ومحاولة إخضاع جميع مؤسسات الدولة تحت نفوذه وسيطرته، وهذا مما أدى إلى سقوطه سريعًا فى أقصرِ مدة يتولاها رئيسٌ مصرىٌّ فى ذلك الشأن، ثم أذكرهُ أيضًا بقول (حسن البنا): (الكذب على الأعداء فريضة) هكذا كان يصوره (البنا) لمريديه مِن منطلقِ أن كل من ليس معه فهو عَدُوٌّ لهم، ولذلك استباحُوا الكذبَ على مخالفيهم من مُعْتَقِدِ أنهم أصبحوا بمثابة الأعداءِ حتى وإن كانوا من نفس فصيلة الإسلام، ومن بلدتهم، ومن جلدتهم، وفى جيرتهم، وأقول له أيضًا: (هل قرض بنك النقد الدولى حرامٌ فى حكومة الجنزورى، حلالٌ فى حكومة هشام قنديل؟) وأقول أيضًا: (هل نكاح الجهاد حلالٌ، أم حرامٌ؟) إذن، فلمن يكون الزنا أصلاً؟ وأقول له أيضًا: (هل تجسس (المعزول) على مصر لصالح أعدائها من الوطنية، وهل هو حلالٌ، أم حرامٌ؟، وهل التصرف فى أموال القصر واليتامى فى دولة الكويت، وغيرها من دول الخليج والسيطرة عليها، والتى أصبحت بالمليارات، واستخدامها فى سبيل أغراضهم،

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٤٩٦).

وهو ما ظهر فى الشارع المصرى من قتل الأبرياء من هذا الشعب، وتفجير المنشآت العسكرية، والشرطية، وإحراقٍ لبعض الكليات ومنها كليات الأزهر الشريف، هل هذا حلالٌ، أم حرامٌ؟) إذن فمن يتحاكم إلى الطاغوت أيها الشيخ الفاضل؟ إنى والله لأعتذرُ لنفسى عذرًا كبيرًا، لأنى أَجْلَسْتَهَا أمامِكَ لِتُحَاضِرُهَا فى نقابة الأطباء فى كفر الشيخ، ثم يتجلى الشيخ (محمد عبدالمقصود) بتصريحاته النارية، ليصفَ كل من سيخرج فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ بالكفار، فيردد فى نهاية كلمته فى المؤتمر الذى عُقد يوم ١٦ يونيو ٢٠١٣ فى دعائه: (أسأل الله – عزّ وجل – أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يجعل يوم الثلاثين من يونيو يوم عِزٍّ للإسلام والمسلمين، وكسر شوكة الكفار والمنافقين، اللهم رد كيدهم فى نحورهم، واجعل تدميرهم فى تدبيرهم، اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب.. إهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم انصر دينك وعبادك الصالحين، واجعلنا منهم يارب العالمين) فَارْتَجَّ استادُ القاهرةِ بتلكَ الدعواتِ عى الشعب المصرى الذى وصفه الشيخ بالكفار فى ذلك اليوم، وهذا فكر (سيد قطب، ومحمد قطب، وشكرى مصطفى، والعزومى) وغيرهم من التكفيريين، استناداً إلى جهاد العدو القريب، وقد اعتمدوا على القول بأن أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى هى العدو القريب، بينما (الغرب) هو العدو البعيد، فنقول إذا كان الحكم كان فى أيديكم أنتم فى تلك الآونة، قبل أَنْ يُعْزَلَ (المعزول) إذن، فلمن يصبح الكفر إذن؟ هل للثلاثينِ مليونٍ، أو أكثرَ ممن خرجوا فى ٣٠ يونيو؟ لأنهم آمنوا بفكرة (التوقف والتبين) وهى عدم الحكم على أىِّ مسلمٍ بكفرٍ، أو إيمانٍ حتى يتبين لهم كفره من إيمانه عبر عرض فكر جماعتهم عليه، فإن وافق على فكرهم، فقد دخل الإسلام، وإن أبى فقد أصبح كافرًا ،واستدلوا أيضا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣) وهذا هو فكر (التوقف

والتبين) والتبرير لقتل المخالفين وإن كانوا مسلمين، لأن معنى يلونكم أى: الأقرب إليكم، ولذلك أجازوا كفر بقية الشعب المصرى المخالف لعقيدتهم، والذى أصبح هو العدو القريب لهم، فاستباحوا دمه، وأعدوا الْعُدَّةَ لسحلِهِ، وإهانتِهِ وقتلِهِ، لأن هذا الفكر الشيطانى ألا وهو فكر الخوارج، وفى تعليقه على هذه الأفكار أَكَّدَ الشيخ (ناجح إبراهيم): (أن هذا الفكر ديدنه تكفير كل شىء، وتكفيرِ عَوَامِّ المسلمين، وأشار إلى أن هذا التكفير هو أكبر لوثة أصابت العقل الإسلامى فمهمة الدعاة هى هداية الخلائق وتهذيب سلوكهم، والأخذ بأيديهم إلى الجنة، أما الفكر التكفيرى، فلا يَشْغَلُهُ سوى الحكم على إيمانِ وكفرِ الناسِ، بل إخراج الناس من الإسلام إلى ظلمات الكفر، فالحكم على الناس مهمةَ القُضَاةِ، ونحن دعاةٌ، ولسنا قضاةٌ، كما قال (الهضيبى) - رحمه الله - فالمؤسسات الحاكمة هى مؤسساتٌ اعتباريةٌ، يقصد بها: الجيش، والشرطة، والقضاة، وغيرهما) لا يلحقها وصف كفرٍ أو إيمانٍ، وهى لا تلحق إلا بالإنسان المكلف شرعًا، وهو الشخص البالغُ العاقلُ الراشدُ العالمُ بما يفعلُ، ثم أردف قائلاً: أن تطبيق الشريعة لا يكون إلا بحسب وسع المجتمع، فالتدرج فى الأحكام من وسائل الإسلام المرنة كتحريم الخمر على خمسة مراحل، وكذلك الربا على أربعة، ومصر دولة الإسلام منذ أن فتحها (عمرو بن العاص) ولم يَقُلْ أَحَدٌ من علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين أن مصر يعلوها أحكام الكفر، أو ما شابه ذلك، كما تبنى فكرة الديمقراطية بضوابطها الشرعية حيث قال أن الديمقراطية ليست دينًا يُعْبَدُ من دون الله، ولا موازى للإسلام كما يتصور البعض، فهى فكرةٌ عبقريةٌ لاختبار الحاكم جَنَّبَتْ الدول الانقلابات، والنزاعات، وكل مبادئ الشريعة جاءت مطلقةٌ بينما الآليات تُرِكَتْ لِعَمَاءِ ومجتهدى كل عصر بما يلائمهم، وأشار إلى أكبر خَطَرٍ على الإسلام حاليًا هو فكر التكفير، بل خطرٌ على الرئاسة نفسها، فهو فكر يكفر بالمعصية ولا ينسب لأهل السُّنة والجماعة، فهم كفروا حتى سيدنا عَلِىٍّ - رضي الله عنه -

بل سَعَوْا فى قتله، فالعقل التكفيرى يضن برحمة الله على خلقه كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وقد أخبر عنهم الرسول ﷺ، بأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان)[١].

سَادِسًا: مُوَالاَتِهِمْ لأَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ:

من البديهىِّ جِدًّا أَنْ يُوَالِىَ أهل الإسلام، أهل الإسلام، وأهل الطغيان، أهل الطغيان، وليس من البديهىِّ أن يُوَالِىَ أهل الإسلام، أعداءَ الإسلام وأهلَ الطغيان، ومما له دلالةٌ عميقةٌ بذلك هو أن المرشد العام (حسن الهضيبى) أدلى بتصريحٍ صحفىٍّ يوم ٥ يونيو ١٩٥٣ لوكالة (الأسوشيدبرس) قال فيه: (أعتقد أن العالم الغربى سوف يربح كثيرًا إذا وصل الإخوان إلى حكم مصر، وأنا على ثقةٍ بأن الغرب سيفهم مبادئنا المعادية للشيوعية، والاتحاد السوفييتى وسيقتنع بمزايا الإخوان المسلمين) وهكذا قَدَّمَ المرشد العام مزاياهُ للغرب الاستعمارىِّ آنذاك، ولعلّ هذا الموقف وغيره من مواقف (جماعة الإخوان) هو الذى دفع المستر (انثونى ايدن) وزير خارجية بريطانيا إلى أن يسجل فى مذكراته: (أن (الهضيبى) كان حريصًا على إقامةِ علاقاتٍ ممتازةٍ معنا، بعكس الرئيس (جمال عبدالناصر)[٢].

ولكى نقترب من المشهد أكثر تَعَالَوْا نُطَالِعُ ما كتبهُ الأستاذ (على عشماوى) فى مذكراته قائِلاً: (أما عن واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كان هذا الفندق يَعُجُّ بالإنجليز، وبالجواسيس فى جميع الأشكال: وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق، ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أى تأثيرٍ ضارٍّ بالإنجليز، وكان من نتيجة ذلك أن قُتِلَ منفذ العملية دونَ أَدْنَى ضَرَرٍ بالإنجليز) وقد أورد الحادث الأستاذ (صلاح شادى) فى مذكراته فقال: (لقد أُمِرْنَا داخل قسم الوحدات على القيام بعمليةِ إرهابٍ فى داخل فندق

(١) شبكة الانترنت.

(٢) المصدر السابق.

(الملك جورج) بإشعالِ عبوةٍ ناسفةٍ لا تُؤَدِّى إلى قتلٍ، أو إصابةٍ بجسامةٍ، وإنما تعلم فقط عن ملاحقته للعملاء والمخابرات الانجليزية، وكلفنا الأخ (رفعت النجار) من سلاح الطيران بالقيام بهذه العملية، بأن يحمل دوسيهًا به مادةٍ ناسفةٍ، ويشعلها، ثم يتركها فى ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلفَ ستارةٍ مدلاةٍ على حائطِ الردهةِ، ثم يَنْهَضُ بعد ذلك ويمضى خارج الفندق، وجرى التنفيذ على أحسن وَجْهٍ، ولكن ظهر فجأة للأخ رفعت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذى اقترب من المكان، ولكن الآخر ظل ممسكًا بالدوسيه حتى انفجر فيه، ومات متأثرًا بجراحهِ، فقد خَشِىَ أن يَقْتُلَ رجل المخابرات الإنجليزى) وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليز، وَوَصَمُوا الجماعة بالإرهاب دون أدنى فائدة، ثم يستطردُ الكاتبُ قائلاً فيقولُ: (لقد نشط بعض الإخوان المتحمسين من غير إخوان النظام فى عملياتٍ خاصةٍ، من هؤلاء إخوان مصر الجديدة، وكانت لديه دراجة ومسدس، فكان يركب دراجته وينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة، ثم يُطلق عليهم الرصاص وينطلقُ بدراجتهِ، فقتل بعض، وأصاب آخرين، وكان ذلك فى شهر أغسطس ١٩٤٨، فما كان من (عبدالرحمن السندى) إلا أن أصدر تعليماتٍ بالبحث عمن يفعلون ذلك، ومنهم النظام ومنعهم من أىِّ عملٍ مماثلٍ، لأن النظام الخاص كان يَحُدُّ من أىِّ عملٍ مماثلٍ) ثم يقول أيضًا: (بدأت أراجع جميع أعمال الإخوان والتى كانوا يعتبرونها أمجادًا لهم بعد معرفتى بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية والتى أَكَّدَهَالى المرحوم الأستاذ (سيد قطب) من أن (عبدالرحمن السندى) والدكتور (محمد خميس) والذى كان وكيلاً للجمعيةِ فى عهد الأستاذ (حسن الهضيبى) وأن أحد أصحاب المطابع الكبرى، والذى كان أحد كبار الإخوان عملاء للمخابرات الإنجليزية) ثم يُكْمِلُ حديثه عن ذلك فيقول: (أما تجربتى الشخصية والتى سمعتها مباشرة من صاحب الشأن وهو أننى التقيت فى عنبرٍ بالسجنِ الحربىِّ بالدكتور (م.ع.ف) رئيس مكتب إدارى إحدى المحافظات الكبرى فى مصر،

حيث قال: إنه كان فى نهاية الأسبوعِ دائمًا كان يذهب بصحبة زوجته، والتى وصفها بأنها كانت من أجل نساء الأرض، وكان يذهب كل أسبوع إلى الإسماعيلية حيث يسهر مع الضباط الإنجليز هو وزوجته، ويقضون الليل فى الرقص، ولعب البريدج، وكان يقول: أن الشىء الذى يتعب شباب الإخوان هو تفكيرهم الدائمُ فى الجهاد، وكان من السهل قيادتهم حين تحدثهم فى هذا الأمر)[1].

وهكذا كان الشباب الساذج من الإخوان الذين يندفعون وراء الشعارات الجوفاء، بِلاَ وَعْيٍ، أو بصيرةٍ، وقادتهم عملاء مخلصون للأجهزة الغربية الصهيونية.

وَمِمَّا لَهُ صِلَةٌ بذلك الموضوع ما وجههُ القيادىُّ الإخوانىُّ الدكتور (صلاح سلطان) الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين رسالةً إلى مجلس العموم البريطانِىِّ يدعوهُ فيه إلى ضرورة التدخل لحل الأزمة فى مِصْرَ أُسْوَةً بسوريا، قال فيها: (وبالمناسبة ما أخبار القتل والحرق، والخنق الذى قام به الانقلابيون فى مصر ؟ - مَنْ قُتِلُوا بمصر فى الأسبوع نفسه أضعاف من قتلهم الجزار الأسد (١٥٠٠ بالكيماوى)، (فالسيسى) قتل فوق الخمسة آلاف مصرى سلمى! هل مصر خارج المنطقة الأخلاقية، والإنسانية فى العالم؟)

الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين، دعا عبر موقعه الرسمى جموع الشعب المصرى للنزول للشارع والمشاركة فى إسقاط الانقلاب الذى أجهز بالبيادة، والدبابة على صوتك فى سبعة انتخابات أشرف عليها الجيش والقضاء، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ (العنكبوت: ٦)، ثم تابع: (قل: لا، لله، ثم لكرامتك، اخرج فى وجه من ظلمك، وإخوانك، وأخواتك، اخرج آمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وهو واجبٌ شرعًا، اخرج فى وجه من قتل، وحرق، وخنق أمك، وأباك، وأختك، وأخاك، اخرج فى وجه من قتل ٦٠٠٠، وجرح ٢٥٠٠٠، واعتقل ١٢٠٠٠، فهل تجلس فى

(١) مذكرات الأستاذ على عشماوى ص: (٩، ١٠).

بيتك حتى يقتل، ويحرق، ويعتقل كل من حولك؟ الراجل ينزل فى الميدان، ويدافع عن أرضه، وعرضه، ولا تخش فى الله لَوْمَةَ لائِمٍ وأضاف: بلدنا مصر أُمنا مغصوبة، وحرائرنا قُتِلْنَ، وَاعْتُقِلْنَ، وتحرش بهن البلطجية، وأموالنا مسروقةٌ، ورَئيسنا مخطوفٌ، ودستورنا معطلٌ، وَكِرَامُ بَلَدِكَ إِمَّا شهداء، أو جرحى، أو معتقلين، فهل تَسْكُتَ خَوْفًا عَلَى رِزْقٍ، أَوْ أَجَلٍ؟ أما الرزق، والأجل فهما فقط بيد ربك، كما قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢) وكذلك الأجل، حيث قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤) خليها على الله وانزل، ثم تابع قائلاً، انزل كما قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) والله إن فلاحك فى الدنيا والآخرة أن تنزل معنا إنقاذًا لمصر من الدمويين، المُرْتَدِّينَ على ثورتنا ٢٥ يناير .. وكما قال رسول الله ﷺ: (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ)[1].

ووالله إنه لنعم الخير أن تقنع به أسرتك، وجارك، وقريبك، وشريكك، فنحن نريد كما قال الله تعالى: ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، فالربانيون هم الذين جَرَّدُوا حياتهم لله، والكثرة مهمةٌ فى إفاقة مغتصبى مصر، المعتدين على بناتنا، وشبابنا قَتْلاً، وَحَرْقًا، وَخَنْقًا مثل هتلر تمامًا)[2].

(تعليق): هذه الأعداد التى أعلن عنها من يطلقون عليه (الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين) عَارِيةً من الصحةِ تَمَامًا، لأن (حسن البنا) رَسَّخَ فيهم مَقُولَةَ: (الكذب على

(١) الحديث صحيح: رواه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه، والطبرانى فى (الكبير) عن سهل بن سعد، وأبى مسعود - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة برقم: (١٦٦٠)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٣٣٩٩).

(٢) جريدة التحرير، الصادرة بتاريخ يوم السبت ٣١ أغسطس ٢٠١٣، ٢٤ شوال ١٤٣٤ هـ - السنة الثالثة - العدد (٧٩٠).

الأعداء فريضة) هكذا كان يصوره لمريديه من منطلق أن كل من ليس معه، فهو عدوٌّ لهم، ولذلك استباحوا الكذب على مخالفيهم من مُعْتَقَدِ أنهم أصبحوا بمثابة الأعداء، حتى وإن كانوا من نفس فصيلة الإسلام، ومن بلدتهم، وجلدتهم، وفى جيرتهم، وهذا هو فكر التكفير والهجرة، حيث اعتمدوا على فكرتى:

١- جهاد العدو القريب، أى: نحن المصريين، ما عدا فصيلهم، ومن والاهم، أما الغرب فهو العدو البعيد، وجهادهم فيه عبارة عن شعاراتٍ جوفاء، لدغدغة عواطف المصريين الطيبين، واستدلوا بذلك على قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣) ومعنى يلونكم، أى: الأقرب إليكم، أى: قد استباحوا قتلنا نحن المصريين، أما أعداء الوطن، فهم يحافظون على دمائهم، كما ذُكِرَ سَابِقًا.

٢. يمانهم بفكرة (التوقف والتبين) وهى عدم إصدار حكمهم على أَىِّ مُسْلِمٍ بكفرهِ، أو إيمانهِ، إلا إذا تم عرض أفكاره على جماعتهم، فإن وافقت أفكاره أهوائهم، قد دخل الإسلام، وإن لم توافق أفكاره أهوائهم كَفَّرُوه، فأما ما دعا له الدكتور (صلاح سلطان) عِبْرَ موقعهِ الرسمىِّ عن قتل ما وصفهم بالبيادة، وهو يقصد الجيش، وأباح لنفسه الافتراء والكذب، بلا دليلٍ، وذلك بتصريحه عن قتل ٦٠٠٠، وجرح ٢٥٠٠٠، واعتقال ١٢٠٠٠، فهذا يدل على أنه كذابٌ أشر، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ (القمر: ٢٥) أَىْ: مُتَجَاوِزٌ فِى حَدِّ الْكَذِبِ، ولكى تظهر لنا الحقيقةَ واضحةً جَلِيَّةً، كشمسِ النهارِ فى ساعةِ الظهيرةِ، نَعَالَوْا نُطَالِعُ مَا نُشِرَ فِى ذَلِكَ، حيث جاء فى تقرير (الطب الشرعى) النهائى لفض اعتصامى (رابعة، والنهضة)، فكان عدد القتلى فى (رابعة) (٣٧١ ذكرًا)، و(٦ إناث)، وكان فى (النهضة) (٢١ فقط) والمفاجأة جثة لطفلٍ من دارِ الأيتامِ، وإليك عزيزى القارئ البيان كما نُشِرَ بالتفصيلِ: (سلمت مصلحة الطب الشرعى تقاريرها الخاصة ببيان الصفة

التشريحية، وسبب وفاة ضحايا فض اعتصامى (رابعة العدوية، وميدان النهضة)، وكذلك ضحايا الشرطة الذين سُقِطُوا فى ذلك اليوم، للنيابة العامة، لتغلق بشكلٍ رسمىٍّ ونهائىٍّ باب الجدل الذى فتحه الإخوان منذ ١١٧ يومًا مرت على فض الاعتصام حول سقوط ضحايا بالآلاف، وفترة الـ(١١٧) كانت منذ فض الاعتصامين فى يوم ١٤ أغسطس إلى ٩ ديسمبر ٢٠١٣م وجاء التقرير الكامل الذى تسلمته النيابة فى أكثر من (٣٠٠٠ ورقة) ليتضمن تفاصيل عدد الحالات التى تم تشريحها، والتعامل معها داخل مشرحة (الطب الشرعى) وبمناظرة أطباء شرعيين تابعين للمصلحة، وَفُنِّدَتْ هذه الحالات حسب النوع، ذكر، أو أنثى، والفئة العمرية، ونوع الإصابة، وعيار السلاح المستخدم فى الإصابة، واتجاه الإصابة، وتضمن التقرير الطبى حالات رجال الشرطة الذين وقعوا خلال يوم فض الاعتصام، سواء على مستوى الجمهورية، أو حصرٍ لعدد الوفيات داخل فض الاعتصام.

(رابعة العدوية):

اختلفت أنواع الإصابة فى الميدان وكانت كالآتى: (٣٣١ حالة مصابة بطلق نارى مفرد أُطلق من سلاح نارى معد لإطلاق الأعيرة النارية المفردة، و٣١ حالة مصابة بطلق نارى خرطوش من سلاح نارى رش خرطوش، و٥ حالات مصابة بعيار نارى مفرد، وإصابةٍ أخرى من طلق نارى خرطوش، و٣ حالات مصابة بإصابات رضية نتيجة الضرب بالعصى، أو الطوب، أو الحجارة، و٧ حالات تَعَذَّرَ تحديد سبب الوفاة، بسبب الحروق غير الحيوية التى أصابت الجثث بعد وفاتها بالفعل حيث وصلت تلك الحروق إلى مرحلة التفحم، مما أدى إلى تعذر اكتشاف وجود أماكن الإصابات الأخرى التى سببت الوفاة، وحدد الطب الشرعى عددًا من أنواع عيار الأسلحة المستخدمة فى الأحداث، وجاءت كالآتى: ٣٥ حالة أصيبت بعيار نارى ٦٢ , ٧ ملى، (وحالتان) فقط إصيبتا بعيارٍ نارىٍّ ٣٥ , ٦ ملى، و٤ حالات أصيبت بعيار ٩ ملى، و٣٣٦ حالة لم يستقر

بها المقذوف النارى، وبالتالى تعذر تحديد نوع العيار النارى، والسلاح الذى أطلقت منه)

- وعن اتجاه الإصابة، أوضح التقرير أن: (٢٩ حالة أُصيبت من أعلى إلى أسفل، و٨٩ حالة أُصيبت من الخلف إلى الأمام، و١٢٩ حالة أُصيبت من الأمام إلى الخلف، و٧١ حالة أصيبت من اليمين إلى اليسار، و٥٩ حالة أُصيبت من اليسار إلى اليمين) وكان من ضمن هذه الحالات، حالتين لطفلين لم يَبْلُغَا عمر الـ١٨ عامًا، وواحدة من ضمن هذه الحالات كانت لطفل من إحدى دور رعاية الأيتام، وتم التعرف على الجثة عن طريق صاحب دار الأيتام، الذى استلم بنفسه الجثة من داخل المشرحة، وَأَقَرَّ أنها لأحد الأطفال المسجلين فى كشوف دار الأيتام التى يمتلكها، وكان من ضمن الأطفال الذين خرجوا فى مسيرات الأطفال التى تجوت داخل اعتصام (رابعة العدوية) حاملينَ أكفانًا كُتِبَ عليها (مشروع شهيد).

- النهضة:

لقدسقطت خلال فض اعتصام (ميدان النهضة) ٢١ حالة فقط، من بينها ٤ حالات مصابة بطلق نارى خرطوش، وواحدة مصابة بإصابات رضية، و١٦ حالة مصابة بإصابات نارية من سلاح نارى مفرد، وجميع حالات فَضِّ اعتصامِ النهضةِ لم يستقر بها المقذوف النارى، وبالتالى تعذر تحديد العيار ونوع السلاح، بالإضافة إلى أن هناك ٤ حالات أصيبت بحروق غير حيوية وصلت إلى مرحلة التفحم.

- ضَحَايَا الشُّرْطَة:

وَقَعَ يَوْمَ فَضِّ اعْتِصَامَىْ (رابعة، والنهضة) ٥٥ ضَابِطًا وَمُجَنَّدًا من رجال الشرطة على مستوى الجمهورية، من بينها حالة واحدة فى (أسيوط)، و ٣ فى (الإسكندرية)، و١٥ حالة فى (الجيزة)، منها ١٣ حالة من ضباط وجنود قسم (كرداسة)، وحالتان وقعتا أثناء فض اعتصام النهضة، و٦ حالات فى الفيوم)، و١٠ حالات (بالقاهرة)، منها ٨

حالات وقعت فى فض اعتصام (رابعة العدوية)، و١٥ حالة (بالمنيا)، و٤ حالات (ببنى سويف)، و(حالة واحدة بشمال سيناء).

- أَمَّا مَا وَقَعَ يوم فض الاعتصام، وحتى ١٣ نوفمبر ٢٠١٣، فقد وصلت حالات ضحايا الشرطة (١٤٦ حالة) منها (٣٢ ضابطًا)، و(٥٧ فرد شرطة)، و(٢ موظف مدنى)، و(٥٥ مجندًا) [1].

ومن ذلك التقرير الذى أُعرض، وما شاهدناه فى إعداد تقرير الطب الشرعى، فعلينا أن نقارن بين ما عرضه هذا الكذاب على موقعه، لإثارة الرأى العام العالمى، ولإحداث الوقيعة بيننا وبين دول الغرب للتدخل العسكرى ضد مصر، وهذا هو ما تتمناه (جماعة الإخوان)، ولكن المكر لا يحيق إلا بأهله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر: ٤٣) وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) وإن شاء الله تعالى، سيكون نهاية مكرهم، التفاف حبل المشنقة حول رقابهم، لأن الله غالب على أمره، ولكنهم لا يفقهون، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

وكان مما فعله (الرئيس المعزول) وجماعته فى هذا الشأن من موالاته لأعداء الإسلام غير معتادٍ، لا فى العرفِ الإنسانىِّ، ولا الريفىِّ، فعندنا فى عُرْفِ الفلاحين يكون الولاء بعد الله، للقريب من العصب، لأن القريب من العصب سيحافظ على المشاعر، ويحافظ على صلة الدم، وبذلك يكون أولى من القريب البعيد، والقريب البعيد أولى ممن ليس لهُ صِلَةٌ بالعائلة، وهكذا تكون الأعراف، أما (مرسى، وجماعته) لا يعترفون بذلك، فعندما ذهبت شخصياتٌ مهمةٌ توسطت لإقناع (مرسى) باستحالة عودته للحكم، وأن عليه الاعتراف بثورة ٣٠ يونيو والمرحلة الانتقالية حَقْنًا لدماء الأبرياء التى تسيل من

(١) جريدة الشروق الصادرة بيوم الثلاثاء ٧ صفر ١٤٣٥هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠١٣م (السنة الخامسة) - العدد: (١٧٧٣) ص: (٥).

أجل الجماعة، كما أكد الوسطاء له أن التحالف المسمى بدعم الشرعية أصبح عاجزًا، وأن الشعب لفظ الجماعة، فأكد لهم أنه الرئيسُ الشرعِيُّ للبلاد، وأنه لن يتراجع حتى لو سقطت ملايين القتلى، مشيرًا إلى أن الموقف الأمريكى ما زال قادرًا على الضغط، والتدخل فى الوقت المناسب، وأن الرئيس الأمريكى (باراك أوباما) لن يتخلى عن حلفائه، وأن سقوط الإخوان يعنى خسارته للانتخابات القادمة [1].

وبعد صدور بيان الجيش الذى القاه (السيسى) يوم الأربعاء (٣ يوليو ٢٠١٣) وكان قد دار حِوَارًا بين (الرئيس المعزول)، والفريق أول (عبدالفتاح السيسى) وكان كالتالى:

مرسى: الجيش موقفه إيه من اللى بيحصل، هيفضل كدا يتفرج، مش المفروض يحمى الشرعية؟

السيسى: شرعية إيه؟ الجيش كله مع إرادة الشعب، وأغلبية الشعب حسب تقارير موثقة مش عايزينك.

مرسى: أنا أنصارى كتير، ومش هيسكتوا.

السيسى: الجيش مش هيسمح لأى حد يخرب البلد، مهما حدث.

مرسى: طيب لو أنا مش عايز أمشى.

السيسى: الموضوع منتهى ومعدش بمزاجك، وبعدين حاول تمشى بكرامتك، وتطالب من تقول إنهم أنصارك بالرجوع لمنازلهم، حَقْنًا للدماء بدلاً من أن تهدد الشعب بهم.

مرسى: بس كدا يبقى انقلاب عسكرى، وأمريكا مش هتسيبكم.

السيسى: إحنا يهمنا الشعب مش أمريكا، وطالما أنت بتتكلم كدا أنا هكلمك على المكشوف .. إحنا معانا أدلة تدينك، وتدين العديد من قيادات الحكومة بالعمل

(١) جريدة اليوم السابع – الخميس ٢٦ ذى الحجة ١٤٣٤ هـ – ٣١ أكتوبر ٢٠١٣م – العدد (٨٨٤) ص: (٤).

على الإضرار بالأمن القومى المصرى والقضاء، هيقول كلمته فيها، وهتتحاكموا قدام الشعب كله.

مرسى: طيب ممكن تسمحولى أعمل شوية اتصالات، وبعد كدا أقرر هعمل إيه.

السيسى: مش مسموح لك، بس ممكن نخليك تطمئن على أهلك فقط.

مرسى: هو أنا محبوس، ولا إيه؟

السيسى: أنت تحت الإقامة الجبرية من دلوقتى.

مرسى: متفتكرش إن الإخوان هيسكتوا لو أنا سبت الحكم .. هيولعوا الدنيا.

السيسى: خليهم بس يعملوا حاجة، وهتشوف رد فعل الجيش .. غير كدا مش هنسيبهم . وإحنا مش هَنُقْصِى أحد، والإخوان من الشعب المصرى، ومتحاولش تخليهم وقود فى حربكم القذرة .. لو بتحبهم بجد تنحى عن الحكم، وخليهم يَرَوَّحُوا بيوتهم.

مرسى: عمومًا أنا مش همشى والناس بَرَّهْ مصر كلها معايا، وأنصارى مش هيمشوا.

السيسى: عمومًا أنا نصحتك.

مرسى: طيب خد بالك، أنا اللى عينتك وزير، وممكن أشيلك.

السيسى: أنا مسكت وزير دفاع برغبة الجيش كله، ومش بمزاجك وأنت عارف كدا كويس .. وبعدين أنت متقدرش تشيلنى، أنت خلاص لم يعد لك أى شرعية.

مرسى: طيب لو وافقت أن أتنحى .. ممكن تسيبونى أسافر بَرَّهْ، وتوعدنى أنكم مش هتسجنونى.

السيسى: مقدرش أوعدك بأى حاجة، العدالة هى اللى هتقول كلمتها.

مرسى: طيب طالما كدا بقى، أنا هعملها حرب، ونشوف مين اللى هينتصر فى الآخر.

السيسى: الشعب طبعًا اللى هينتصر.

وانتهى الحوار عند هذه الجملة بقول (السيسى): (أنت من دلوقتى محبوس)[1].

- فلو أراد خيرًا لهذه البلدة، لوافق على الوساطةِ المصريةِ، أو طلب وسطاءَ من الدول العربية المحبة لمصر، كرؤساء، وملوك دولة السعودية، والكويت، والإمارات، والأردن، والجزائر، ولكنه لم يُرِدْ الخير لمصر، فكما أنه خرج من السجون فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير بالخيانةِ الْعُظْمَى، دخل السجن أيضًا مَرَّةً أخرى بعدالةِ السماءِ، وسيلتفُّ حَبْلُ المشنقةِ حول رقبتِهِ، ورقبةِ أعضاءِ مكتبِ الإرشادِ بعدالةِ القضاءِ.

- فيا أيها (المُرْسِىُّ)، يا من أردت أن تُقِيمَ الخلافة الإسلامية فى مصر، كما زعمت، أنت وجماعتك وتظل هذه الخلافة (٥٠٠ عام) ويكون مركزها (القدس) تَعَلَّمْ مدى سماحة رسول الله ﷺ مع أعدائِهِ، وَمُخَالِفِيهِ حتى تَـمُرَّ الأمور بسلامٍ، وَلاَ تَتَفَاقَمَ حتى لاَ تُحْدِثَ تصادماتٍ، أو انشقاقاتٍ تؤدى إلى إراقةِ الدماءِ، لأنهم فقهوا حُرْمَةَ الدماءِ من مُنْطَلَقِ قولِهِ تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) وقال ﷺ: (لَـزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)[2].

وقال ﷺ أيضًا: (لَـزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)[3].

فالراعى، أو القائد، أو الرئيسُ المحنكُ هو الذى يعلم جيدًا متى يتخلى عن منصبه حين يرى أن الناس غير راغبين فيه، ليس كما قال مرسى: (الشرعية، الكرسى، أو الدم) وظهر بعد ذلك الاغتيالاتُ، والتفجيراتُ، فهيا نستلهم الدروسَ والعبرَ من قُدْوَةِ

(١) جريدة الوطن - السبت ٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ - ٦ يوليو ٢٠١٣م - السنة الثانية - العدد: (٤٣٣) ص: (٧).

(٢) رواه النسائى من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وجاء فى غاية المرام برقم: (٤٣٩)، والترغيب للمنذرى برقم: (٣/ ٢٠٢)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٧٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه ابن ماجه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - وجاء في الترغيب برقم: (٣/ ٢٠٢)، وجاء فى صحيح الجامع برقم: (٥٠٨٧).

الْقُدْوَةِ محمد ﷺ، وصحابتِهِ الكرام، فعند إبرام (صلح الحديبية وبنودها) دعا محمد ﷺ عَلِيًّا، ليكتب كتاب الصلح، فأملى عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله لا ندرى ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمر النبى ﷺ بذلك، ثم أملى: (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله فقال: (إنى رسول الله وإن كذبتمونى)، وأمر عَلِيًّا أن يكتب: محمد بن عبدالله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبى على أن يمحو هذا اللفظ، فمحاه ﷺ بيده، ثم تم كتابة الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ، وكانوا حليف بنى هاشم منذ عهد عبدالمطلب [1].

فقد كان صبر رسول الله ﷺ على تعنت قريش فى إبرام صلح الحديبية وتطاولهم عليه من أجل حفظ دماء المسلمين، وأن هذا الصبر قد أثمر عن أن صلح الحديبية كان بداية طَوْرٌ جديدٌ فى حياة الإسلام والمسلمين، لأن قريش كانت فى تلك الآونة أقوى قوةً وأكثرُ عَتَادًا وَعُدَّةً وهى أَلَدُّ أعداء الإسلام، فبانسحاب الإسلام عن ميدان الحرب واللجوء إلى الصلح كسرت أجنحة الأحزاب الثلاثة، قريش، وغطفان واليهود، وبذلك قد منع رسول الله ﷺ من إراقة دماء المسلمين وعصمهم.

وعندما منع أمير المؤمنين (عثمان) رضي الله عنه - الصحابة للدفاع عنه حَقْنًا للدماء، وقد علم أن قتله قادمٌ لا محالة، أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل فشدها، ولم يلبسها فى جاهلية، ولا إسلام، وقال: (إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، وأبا بكر، وعمر، وأنهم قالوا لى: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه) [2].

(١) الرحيق المختوم للمباركفورى ص: (٢٩٨-٢٩٩).

(٢) رواه أحمد (٥٢٧)، وأورد الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٩٧)، وقال: رواه عبدالله وأبو يعلى فى الكبير ورجالهما ثقات.

وَسَبَبَ لبسه - رضي الله عنه - السراويل فى هذا اليوم لِئَلاَّ تَبْدُو عَوْرَتَهُ إذا قُتِلَ، لأنه كان شديد الحياء، فكانت تستحى منه الملائكة، كما نطق بذلك النبى ﷺ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله عز وجل، وَكَفَّ يَدَهُ عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته لنصروه من أعدائه، ولكن أمر الله كان قدرًا مقدورً [1].

وتنازل الحسن بن على، عن الخلافة، لمعاوية حِرْصًا منه على عدم إراقة دماء المسلمين، استلم الحسن بن على - رضي الله عنه - الحكم بعد والده ستة أشهر، وقيل ثمانية، وكان أول من بايع (الحسن) قيس بن سعد بن عبادة لأنصارى، فقال: أبسط يدك على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وقتال المخالفين. فقال الحسن: (على كتاب الله وسُنة رسوله، فإنهما ثابتان) وكادت أن تندلع الحرب بين الحسن بن عَلِيٍّ ومعاوية بن أبى سفيان، وأنصاره من الشام، فقد سار الجيشان حتى التقيا فى موضع يُقال له (مسكن) بناحية الأنبار، وكان الحسن حريصًا على المسلمين وعدم تفرقتهم، وإراقة دمائهم، فتنازل عن الخلافة، لتكون الخلافة واحدة فى المسلمين جميعًا، ولإنهاء الفتنة وإراقة الدماء، وقيل كان تسليم الأمر إلى معاوية فى ربيع الأول سنة ٤١هـ وقيل فى ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى سنة ٤٠هـ، فلما تنازل الحسن عن الخلافة أصلح الله بذلك بين الفئتين، كما أخبر رسول الله ﷺ حيث قال: (إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [2].

وسمى هذا العام الذى تنازل فيه (الحسن) عن الخلافة، لمعاوية بعام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على (معاوية)، وَقَدْ لاَمَ (الحسين) لأخيه (الحسن) على هذا الرأى، فلم يقبل منه، والصواب مع (الحسن) حيث قال رسول الله ﷺ: (الْخِلاَفَةُ بَعْدِى فِى أُمَّتِى

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ١٧٦)س

(٢) الحديث صحيح: رواه البخارى، والإمام أحمد، وأبى داود، والترمذى، والنسائى - عن أبى بكر - رضي الله عنه - وجاء فى الروض (٩٢٣)، والإرواء (١٥٩٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (١٥٢٨).

ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ)[1].

قال (الحسن): (فوالله، والله بعد أن يولى، لم يهراق فى خلافته ملء محجمة بدم) [2].

وحينئذٍ دخل (معاوية) إلى الكوفة، فخطب الناس بها بعد البيعة، وذكر (ابن جرير)، أن (عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن على)، أن يخطب الناس ويعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية، فأمر معاوية الحسن، فقام فى الناس خطيبًا، فقال فى خطبته بعد حمدالله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ: (أما بعد أيها الناس! فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدةٌ، والدنيا دولٌ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ (الأنبياء: ١١١) وقد قام رجلٌ إلى الحسن بن عَلِيٍّ بعدما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أَوَ يَا مُسَوِّدَ وجوه المؤمنين، فقال: لاَ تُؤَنِّبْنِى - رحمك الله - فإن النبى ﷺ أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك) وقال (الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى) فى تاريخ بغداد من حديث أبو العريف أنه قال: (كنا فى مقدمة (الحسن بن عَلِيٍّ) اثنا عشر ألف (بمسكن) مستميتين من الجد على قتال أهل الشام، وعلينا (أبو العمر طة)، فلما جاءنا مصلح (الحسن بن علىٍّ) كأنما كُسِرَتْ ظهورنا من الغيظ، فلما قَدِمَ (الحسن بن على) على الكوفة، قال له رجل منا يُقَالُ لَهُ: أبو عامر سفيان بن الكتل: السلام عليك يَا مُذِلَّ المؤمنين، فقال: لا تقل هذا يا عامر ! لست بمذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك) [3].

وعندما انقلب الضباط الأحرار فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على (الملك فاروق)

---

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، والترمذى، وابن حبان، وجاء فى مسند أبى يعلى - عن سفينة - رضي الله عنه - وجاء فى السلسلة الصحيحة بأرقام: (٤٦٠، ١٥٣٤، ١٥٣٥)، وصحيح الجامع برقم: (٣٣٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد، (١٩٩٣٥)، وإسناده صحيح.

(٣) المصدر السابق: (٨/ ١٩)، والأثر جاء فى تاريخ بغداد برقم: (١٠/ ٣٠٥) (٥٤٥٤).

وخلعوه من الحكم قال الحرس الملكى للملك، لو أردت أن نقاومهم، لقاومناهم، ولغلبناهم، ولأن (الملك فاروق) كان يعتق مصر وترابها، ومن فيها، قال: لا، لا أريد أن تُرَاقَ نُقْطَةَ دَمٍ واحدةٍ من دماءِ المصريينَ، وقامت الثورة، ولم يَمُتْ إلاَّ وَاحِدًا، فالراعى، للرعية بمثابة الأب الحنون الذى يحرصُ دائمًا على أَلاَّ يُرَاقَ أىَّ نُقْطَةَ دَمٍ واحدةٍ من دماء أبنائهِ، أَوْ يُخْدَشَ أىَّ ظِفْرٍ مِنْ أَظْفَارِهِمَا، وَرَحِمَ اللهُ (عُمَرَ) حِينَ قَالَ: (خِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْ بَغْلَةٍ فِى الشَّامِ، لِمَ لَمْ أُسَوِّىَ لَهَا الطَّرِيقِ؟)، وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى (حَجَّاجِ) مِصْرَ الَّذِى يَقْتُلُ شَعْبَهُ، وَيُرْعِبُ أَهْلَهُ.

سَابِعًا: التَّمَكُّنُ وَالتَّمْكِينُ لِلْقَفْزِ عَلَى سُلَّمِ الْمَجْدِ بِاسْتِلاَمِ السُّلْطَةِ

أحياناً يتخيل الإنسان بفكره العقيم، وتصوره المريض أن يستطيعَ أن يُسيطر على قريةٍ بإرهابِهِ، أو إرعابِهِ لمن يسكنوها، فإذا وهبهُ اللهُ ذكورًا كُثُرْ زرع فيهم من الصغر الحقدَ، والعداوةَ، والبغضاءَ لكل من حوله من الجيران، وغيرهم من أهل بلدته، وجيرته، وحثهم على كرههم، والاختلاف معهم لأتفه الأسباب، فإذا كَبُرَ أبناءهُ، وَاشْتَدَّ عودهم، نشأ الخلاف، والحقد بينهم، وبين مناوئيهم، إلى أن تأتى الأيام بسحاباتها المظلمة، فتنشأ معركةً عظيمةً بين أبناء هذا الرجل، ومخالفيه، فيفقد من أبنائه ما يفقد، ويدخل السجون بقيتهم، ليجلسَ متحسرًا، نادمًا على ما زرعهُ: وما غرسهُ فى نفوس أبنائه من حقدٍ، وكرهٍ لأبناء بلدته، وجيرته، وأهله وعشيرته. فهى ينفع الندم، بعد فوات الأوان، وإراقة الدماء، وإعلان الأحزان؟

وهكذا كانت جماعة الإخوان حين كشفت عن هويتها، وأظهرت لشعب مصر ما خبأته فى جعبتها، وقامت بعرض ما فى (باطن الزير) من أسرارٍ عندما تولت السلطة فى الفترة من ٣٠ يونيو ٢٠١٢ إلى ٣ يوليو ٢٠١٣، قامت خلال فترة الـ(٣٦٨) يومًا بتفويض الشعب المصرى، وعزل جميع الأحزاب المخالفة لهم، وعدم الأخذ بحرية الرأى،

والرأى الآخر، حيث كشف (البنا) فى مؤتمره (الخامس) عداوته للأحزاب والمخالفين، فقال: (الأحزاب أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم) فحرم الاختلاط بالأحزاب، والحركات السياسية، ودعا أنصاره إلى مقاطعتها، وهذا ما التمسناه فى فترة حكم (المعزول) حيث أنهم قد جعلوا المراوغة هى ديدنهم، فكانوا يراوغون الأحزاب المعارضة مثل جبهة (الإنقاذ الوطنى) حتى أن (المعزول) كان يجتمع معهم فى (الاتحادية) فيطمئنهم، ويوافق على كل ما يُعرضوه من مقترحات، ثم بعد قيامهم يضرب بكلامهم عرض الحائط، وكان لا يستمع إلا من كان معه من جماعته، والأحزاب المنتمين لجماعته، ومن هم على منهجهم، كحزب الوسط وغيره ممن ينتسبون لفكرهم، ويندرجون تحت هويتهم وجلدتهم، ولكى تقوم الجماعة بالاستيلاء على مفاصل الدولة، وتولى السلطة، وإجبار الشعب المصرى على الخضوع لإرادتهم وقهرهم، وإذلالهم، قاموا بتنفيذ رسالة (البنا) فى المؤتمر الخامس، وَنَسِىَ (مَنْ يَدَّعِى الذكاء والفهلوة) أن جماعته لا تقدر على إذلال، أو قهر إرادة شعب قِوَامُهُ أكثر من تسعين مليونًا، وَنَسِىَ أيضًا أن تحالف (مبارك) مع أمريكا لم يمنع (أوباما) من قوله (لمبارك) «now - now - now» أى: اترك السلطة الآن، وَنَسِىَ أيضًا أن أمريكا وحلفاؤُها، كشركةٍ كبيرةٍ، أو صيدلية كبيرةٍ، أو سوبر ماركتٍ كبيرٍ، لا يهمها إلا ما يدخل في جيوبها، ولكى نقترب من المشهد أكثر إليك نص رسالة (المؤتمر الخامس) (لحسن البنا) وبنوده والذى يكشف عن سبع خصائص تميز دعوة الإخوان عن غيرهما، وهما كالآتى:

١- البعد عن مواطن الخلاف.

٢- البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان.

٣- البعد عن الأحزاب والهيئات.

٤- العناية في التكوين والتدرج في الخطوات.

٥- إيثار الناحية العلمية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

٦- شدة الإقبال من الشباب.

٧- سرعة الانتشار في القرى والمدن.

وأخطر ما فى هذه النقاط هى النقطة الرابعة، والتى تعتمد على ثلاثة وسائل، ألا وهما:

(الوسيلة الأولى):

• **الكتائبُ:** وَيُرَادُ بها تقوية الصف بالتعارف، وتمازج النفوس والأرواح، ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حُسن الصلة بالله تبارك وتعالى، واستمداد النصر منه، وهذا هو معهد التربية للإخوان.

(الوسيلة الثانية):

• **الْفِرَقُ:** وَيُرَادَ بها فرقٌ (للكشافةِ، والجوالةِ، والألعابِ الرياضيةِ)، والمقصد من ذلك، كما يَدَّعِى صاحب المؤتمر على:

- تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان.
- تعويدهم على الطاعة، والنظام: والأخلاق الرياضية الفاضلة.
- إعدادهم للجندية الصحيحة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم، وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان، وهذا هو ما فعله (حسن البنا)، أو تابعه من بعده (عبدالرحمن السندى) فى (التنظيم الخاص)، (التنظيم لسرى)، وهو (جيش الإخوان)، أو (الميلشيات).

• دروس التعليم، وتفعيلها فى الكتائب، أو فى أندية الإخوان، وَيُرَادُ بها تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسةٍ جامعةٍ، لأهم ما يلزم الأخ المسلم بمعرفته لدينه، ودنياه، وهذا هو معهد التربية العلمية، والفكرية لهم، ثم يستطرد قائلاً: (وبعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة، نخطوا إن شاء الله الخطوة الثالثة، وهى

الخطوة العملية التى تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان، وبهذه الخطوات يكون التركيز على التربية بكل أنواعها الروحية، والعلمية، والفكرية، والجسمية، ثم يسأل (البنا) إخوانه، فيقول: متى تكون خطوتنا التنفيذية؟

يقول: نحن هنا فى مؤتمر أعتبره مؤتمرًا عَائِلِيًّا يضم أسرة الإخوان، وأريد أن أكون معكم صريحًا للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة: إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ).

ثم يلفت (البنا) الانتباه بعد ذلك لِبُعْدٍ هَامٍّ لا ينبغى أن يضيع من الداعية، ألا وهو الاعتماد على محبة الله وعدم إغفالها أبداً وهؤلاء هم المجاهدون، وهم الصفوة القلائل من الأنصار، قد يُخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله، وفى قصة (طالوت) بيان لذلك، فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة، والاختبار الدقيق، وامتحنوها بالعملِ، العملِ القويِّ البغيضِ لديها، الشاقِّ عليها، وأفطموها عن شهواتها، ومألوفاتها، وعاداتها.

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن مواصفات الكتيبة المؤمنة التى ينشدها (البنا) ليتحقق بها آماله وطموحاته، فيقول: (وفى الوقت الذى يكون فيه منكم - معشر الإخوان - ثلاثمائة كتيبة قد جُهِّزَتْ كُلٌّ منها نَفْسِيًّا، وَرَوْحِيًّا بالإيمان والعقيدة، وَفِكْرِيًّا بالعلم والثقافة، وَجِسْمِيًّا بالتدريب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى، بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزوا بكم كل عتيدٍ جبار، فإنى فاعل إن شاء الله، وصدق الله حيث قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ (الأنفال: ٦٠) وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ)[1].

(١) هذا جزء من الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود، والترمذى، وغيرهما من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- ونص الحديث كالآتى، قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلاَفٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ) رواه أبو داود (٢٦١١)، والترمذى (١٥٥٥)، وابن خزيمة فى صحيحه (٢٥٣٨)، وابن حبان فى صحيحه (٤٧١٧)، وَخَرَّجَهُ الألبانى فى صحيح أبى داود (٢٢٧٥).

معنى قوله ﷺ: (وَلَنْ يُغْلَبَ) أى: لاَ يَصِيرُ مَغْلُوبًا، وقوله: (اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) أى: جميع قرائن الحديث دائرة على الأربع، واثنا عشر ضعفًا، ولعلّ الإشارة بذلك تدعو إلى الشدة والقوة، واشتداد ظهرانيهم تشبيهًا بأركان البناء، قاله: (الطيبى)، وقوله: (مِنْ قِلَّةٍ) معناه: أنهم صاروا مغلوبين لم يكن للقلة، بل لأمرٍ آخر سواها، وإنما لم يكونوا قليلين، والأعداء مما لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى، فعن هذه الأثلاث: جيش قوبل بالميمنة، أو الميسرة، أو القلب فليكفها، ولأن الجيش الكثير المقاتل منهم بعضهم، وهؤلاء كلهم مقاتلون، ومن ذلك قول بعض الصحابة يوم (حنين)، وكانوا اثنى عشر ألفًا، لن نغلب من قلة، وإنما غُلِبُوا من إعجابٍ منهم، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ (التوبة: ٢٥) وكان عشرة آلاف من المدينة، وألفان من مُسْلِمِى فتح مكة[1].

وقد تأكد فى نص رسالة (البنا) فى المؤتمر الخامس، وأكدت كل الشواهد على أرض الواقع فى أيام حكم (المعزول)، وبعد فَضِّ اعْتِصَامِىْ (رابعة العدوية، و(ميدان النهضة) من اغتيالات للمتظاهرين السلميين، وبعض السياسيين، وبعض ضباطِ وجنودِ الجيشِ والشرطةِ، وتفجيراتٍ للمنشآتِ الشرطيةِ والجيش، وإصابة الأحياء بالشلل التام، مِمَّا يُؤَكِدُ يَقِينيًّا أن (جماعة الإخوان) لهم (تنظيمٌ سِرِّىٌّ، أو جيشٌ، أو ميلشياتٌ)، ولكى نكتشف الحقيقةَ واضحةً جليةً، سيقومُ الأستاذ (ثروت الخرباوى) بإزاحةِ الستارِ، لِنَرَى الحقيقةَ رَأْىَ الْعَيْنِ، فَيَقُولُ: قص علينا (محمود الصباغ) خبر البيعة، وهو الذى كان مسئولاً عن تنظيم الإخوان فى الجيش، أى: (قسم الوحدات) فقال: (كانت البيعة تتم فى منزل بحى الصليبة، حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه، والأخ (عبدالرحمن السندى) المسئول عن تكوين الجيش الإسلامى داخل الجماعة، وبعد

(١) تحفة الأحوذى بشرح الترمذى: (٤/ ٥٠٤)

استراحة فى حجرة الاستقبال يتوجه ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار، ويجلسون على بساطٍ فى مواجهة أخ فى الإسلام مُغطى الجسد تمامًا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض يخرج من جانبه يداه ممتدتان على منضدةٍ منخفضةٍ (طبلية) عليها مصحف شريف، ولا يمكن للقادم الجديد مهما أمعن النظر فيمن يجلس فى مواجهته أن يُخمن بأى صورة من صور التخمين من عسى أن يكون هذا الأخ، وتبدأ البيعة، بأن يقوم الجالس فى المواجهة ليتلقاها نيابة عن (المرشد العام) بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التى تحض على القتال فى سبيله، وتجعله فرض عين على كل مسلمٍ ومسلمةٍ، وتُبين له الظروف التى تضطرنا إلى أن نجعل تكويننا سَرِّيًّا فى هذه المرحلة، مع بيان شرعية هذه الظروف، فإننا نأخذ البيعة على الجهاد فى سبيل الله حتى ينتصر الإسلام، أو نهلك دونه مع الالتزام بالطاعة والكتمان، ثم يُخْرِجُ من جانبه مسدسًا، ويطلب للمبايع أن يتحسسهُ، وأن يتحسس المصحف الشريف الذى يُبايع عليه، ثم يقول له: فإن خُنْتَ العهدَ، أو أفشيتَ السِّرَّ، فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير، فإذا قبل العضو بذلك كُلِّفَ بأداء القسم على الانضمام عضوًا فى الجيش الإسلامى والتعهد بالسمع والطاعة) ثم يستطرد الكاتب قائلاً: عندما قرأت للرجل الذى كان مقربًا من (حسن البنا) أى: سكرتيره، ومسئول التعليمات فى التنظيم (محمود عساف) والذى أخرجت له المطابع كتابه الشهير مع (الشهيد حسن البنا) فتقع عينى على صفحات من الكتاب يقول فيها (عساف): (فى يومٍ من أيامِ سنة ١٩٤٤ دُعيت أنا والمرحوم الدكتور (عبدالعزيز كامل) لكى نؤدى بيعة النظام الخاص، ذهبنا فى بيت فى حارة الصليبة، ودخلنا غرفة مُعتمة يجلس فيها شخص غير واضح المعالم يبدو أن صوتُه معروفٌ وهو صوت (صالح عشماوى)، وأمامهُ منضدةٌ منخفضةُ الأرجلِ، وهو جالسٌ أمامها مُتَرَبِّعًا، وعلى المنضدة مصحف ومسدس، وطلب من كل منا أن يضع يده

اليمنى على المصحف والمسدس، ويؤدى البيعة بالطاعة للنظام الخاص، والعمل على نصرة الدعوة الإسلامية، كان هذا موقفًا غريبًا يبعث على الرهبة، وخرجنا معًا إلى ضوء الطريق، ويكاد كل منا يكتم غيظه) [1].

أما عن الميلشيات، فيسترسل الأستاذ (الخرباوى) قائلاً: (فى ليلة من شتاء ١٩٨٩م دعانى أخ من الإخوان المقربين إلى قلبى اسمه (عادل السودانى) لحضورِ تدريباتٍ رياضيةٍ فى نادى الشمس، يعقبها مباراة فى كرة القدم، استجبت لدعوته وانتظمت فى هذه التدريبات وكانت معى مجموعة من الإخوان وبعض أفراد لم أكن أعلم هل ينتمون للإخوان أم لا، وكان ينظم هذه التدريبات أخ اسمه (مصطفى) لم تكن هذه التدريبات عادية، فقد كانت أبواب نادى الشمس تُفتح لنا بعد منتصف الليل، بعد أن ينصرف كل رواد النادى، وكان الذى يفتح لنا النادى بعد إغلاقه أحد الأعضاء البارزين فى النادى وهو المرحوم (أشرف فوزى) الذى كان بطلاً من أبطال إفريقيا فى رياضة (الجودو) وقتها، وكان يقوم بأعمال مدير أمن النادى، وكنا نُجْرِى تدريبات رياضية متنوعة منها السباحة، وكان (أشرف فوزى) يُعطى تعليماته لمشرف حمام السباحة بتسخين ماء الحمام إذ أننا كنا فى شهر الشتاء، وكنا نتدرب أيضًا على رياضة (الكونغو فو) حيث كان يقوم بتدريبنا عليها الأخ (أحمد)، وأحيانًا كان يحضر لهذه التدريبات أخ من إخوان منطقة مصر الجديدة من المشاهير فى رياضة (الكاراتيه) (اسمه أيمن)، وقد كان بطلاً لمصر فى هذه الرياضة، وفى بعض الأحيان كانت تتم بيننا مباريات (كونغو فو) عنيفة حامية الوطيس، وأذكر أن أولى تلك المباريات كانت التحامًا عنيفًا بين الأخ الأستاذ (أحمد) بطل إفريقيا فى الكونغو فو، وكان مرشحًا لبطولة العالم، والأخ الدكتور (أيمن) بطل مصر فى الكاراتيه، وقد تفوق (أحمد) على (أيمن) تفوقًا واضحًا لدرجة أن (أيمن) لحقته

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى، ص: (٢٢٤-٢٢٥).

إصابات متعددة فى كل أنحاء جسده من جرَّاء هذه المبارة)[1].

ومما قاله الحاج (لاشين أبو شنب) عن تاريخ الجماعة، و(حسن البنا): (الجماعة قامت على فكرة، والفكرة تظل نظرية طالما أنها فى الكتب، فإن أراد لها أصحابها أن تُصبح واقعًا، فلابد أن تساندها قوة) وعندا أعلن الدكتور (جمال عبدالهادى) فى إحدى حواراته قائلاً: (ولكن نصيحتى لكم أن تستعدوا ليوم التمكين، فى هذا اليوم يجب أن نكون جاهزين أصحاء أقوياء، فالمؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، ولقد عرفت من وَقْتٍ قريبٍ أن بعض الإخوة يقومون بعمل تدريبات رياضية، وليت هذه التدريبات تكون نواة لجيش مسلم، يقف فى مواجهة اليهود فى اليوم الموعود، كل منكم يجب أن يشترك فى هذه التدريبات)[2].

إذن كل الشواهد وكل الخيوط دلّت على أن (جماعة الإخوان) كانت تَعُدُّ نفسها للحظة التمكين من العدو، والعدو المستباح فى نظرها، ليس العدو البعيد أى: اليهود كما كانوا يزعمون، ولكن ما كانوا يَعُدُّونَهُ من خلفِ الستارِ، وتدريبات النظام الخاص، والميلشيات، كان للعدو القريب، أى: الشعب المصرى بهيئاته وسلطاته، وذلك يجعلنا نطرح سؤالاً، هل (حسن البنا) بدأ دعوته بالفكرِ الدعوىِّ، أمِ الفكرِ التطرفىِّ؟

كان (حسن بن على بن محمد الصباح) الشيعىُّ الشهيرِ، وصاحب المذهب الإسماعيلىِّ، مُنتميًا فى صغره كأهله إلى الإثنى عشرية، ثم تقابل مع شيخين كبيرين، فأقنعاهُ بأن يَحُطَّ رحالهُ فى المذهب (الإسماعيلى)، فتفقه فيه، ثم أنشأ جماعته (جماعة الدعوة) والتى عُرفت تاريخيًا باسم (الحشاشين) ومنها أنشأ فرقة الاغتيالات التى قامت باغتيال الكثيرين، وكان منهم الوزير نظام الملك (السلجوقى) الذى كان بمثابة كبير للوزراء، أى: (رئيس وزراء)، وكان يرى سيد قطب فى أواسط الأربعينات شبهًا كبيرًا بينه وبين (حسن البنا)

(١) المصدر السابق: ص (٢٥٦-٢٥٧).

(٢) مواقف متفرقة من المصدر السابق.

زعيم الإخوان [1].

وكان السؤال الذى يتردد فى ضمير (حسن البنا) دائمًا هو: هل تنفصل الدعوة عن الداعية؟ وحين أجاب عن هذا السؤال بعد سنواتٍ طويلةٍ كان ذلك عن طريق كتابه الوحيد الذى جعل عنوانه (مذكرات الدعوة والداعية).

نظر الصبى (حسن البنا) حوله يبحث عن طريقةٍ إسلاميةٍ تُشبع ذاته، فالتمسها فى (الطريقة الحصافية الصوفية)، فانخرط فيها، ونهل منها، ثم أخذ وهو فى سن المراهقة، عهد الطريقة الحصافية على يد شيخها (عبدالوهاب الحصافى) والذى سمح له بعد أَخْذِ العهدِ بالقيامِ بأدوارِ الحضرة ووظائفها بمسجد التوبة بدمنهور بمديرية البحيرة، وكانت هذه الطريقة هى بداية الطريق للبنا، تعلم من شيخها وأخذ من شيوخها (حلمى زكريا، وحسن خزبك) وغيرهما، ومنهم عرف التنظيم وآلياته والسمع، والطاعة، والثقة فى الشيخ، وأدرك أن وسيلته فى إقامة تنظيمٍ قويٍّ مُحكَمٍ يُدِينُ له بالولاء: لا تكون إلا بطاعة الأعضاء، كما يُطيع المريد شيخه، ففى الصوفية يكون المريد بين يَدَىْ شيخه كالميت بين يدى من يغسله، يقلبه كيف يشاء، وهكذا أصبح (البنا) فى مقتبل أيامه، وهكذا أصبح الإخوان بين يدى (البنا)، ولذلك فقد وجد أن طريق العلم والفقه ليس هو طريقه، ولكن طريقه، كما كان يقول: هو صناعة الرجال [2].

وقد صنع (حسن البنا)، ورفقاء طريقه من بعده الرجال كما يَدَّعُونَ، وجهزوا جيش الإسلام، بتدريباتهم العسكرية، وتنظيمهم السِّرِّىِّ، وميلشياتهم، فأصبحوا يَعُدُّونَ الْعُدَّةَ ليوم التمكين، ولكن ينقصُ تكملة الدور إلى آخره الموارد المالية التى تُدَعِّمُ ذلك، ثم دعم الدول الخارجية للوصول إلى الحكم:

(١) أئمة الشر، للأستاذ/ ثروت الخرباوى ص: (١٦).

(٢) المصدر السابق. ص: (١٣٢).

أولاً : الموارد المالية :

كان (موضوع الأقصى) يُعطى الفرصة (لجماعة الإخوان) للمزايدة على الجميع، فيطالبون بفتح باب التطوع لإنقاذه، ويعنى هذا، فتح معسكرات التدريب، وفتح باب التبرع لجمع المال من جديد، ثم شراء الأسلحة، ثم تخزينها، لتتكدس خزانة الإخوان بالأموال من تبرعات المسلمين من كل الدول الإسلامية، ليتكرر ما حدث سنة ١٩٤٨، لأنهم لن يتركوا الفرصة السانحة تمر، المهم انتهاز جميع الفرص الممكنة لإحداث الفوضى وإثارة البلبلة، ومن ثَمَّ النفاذُ إلى هدفهم وهو إحكام السيطرة على مقدرات هذا البلد، ولديهم فتاوى دائمةً لكل موقف يحللون من خلالها استباحة كل شيء لهم ولمصلحتهم، وقد ظهر الأستاذ (سالم البهنساوى) وهو من (جماعة الإخوان) وتحيط حول اسمه وموقعه علاماتِ استفهامٍ كبيرةٍ، وخاصة حول علاقاته بالإخوان فى الكويت، والإخوان فى مصر، ظهر فى حديثٍ مثيرٍ للاهتمام، خلال برنامج شبكة التليفزيون، كشف فيه أنه كان مسئولاً عن التصرف فى أموالِ الْقُصَّرِ، واليتامى فى دولة الكويت عن طريق عمله فى وزارة الأوقاف الكويتية، وأنهم أفتوا أن تلك الأموال ينبغى أن تستثمر حتى لا تأكلها أموال الزكاة سنة بعد الأخرى، وقاموا هم باستثمارها وإخراج الزكاة عنها، وهذه الأموال تُقَدَّرُ بالمليارات، ولك أن تتصور حجم الأموال التى تم تحويلها للإخوان عن هذا الطريق، وهو سبيلٌ واحدٌ، فما بالك بباقى دول الخليج، وباقى الأساليب الأخرى المتبعة للسيطرة على المال وإنفاقه فى سبيل تحقيق أغراضهم، ناهيك بجمع أموال الزكاة من جميع أغنياء المسلمين فى الخليج، وفى غير الخليج حتى هنا فى مصر، فإنهم يتقربون من كل الأغنياء الذين تعدت رؤوس أموالهم المليون ويحيطونه كظله حتى لا يرى إلا من خلالهم ويتم السيطرة عليه لحسابهم، ثم يمتصون أمواله، وَيَا حَبَّذَا لو كان غير متعلم، ولا متحضر، ليصبح فريسة أسهل، وللدين تأثير السحر على الأفراد من هذا النوع، ولذلك يسهل قيادة وتوجيه من أرادوا استنزافه، وقديمًا حين

خرج (الإخوان) من السجون بِعَفْوٍ من الرئيس (السادات) الذى كافئوه بالاشتراك فى قتله يوم عيدالنصر، وحين خرج الإخوان وظهر أن (عمر التلمسانى) هو المرشد الجديد، فانهالت عليه الأموال من جميع بلاد العالم، وتم إِهْدَاؤُهُ خمس سياراتٍ لاستعمالِهِ الشخصيِّ، وكان مبهورًا من كل هذا، ولا يدرى أَىَّ سيارةٍ يركبُ، المهم أن الإخوان لهم وسائل كثيرة فى جمع الأموال، وقد أصدر الأستاذ (سالم البهنساوى) فى الكويت فتوى تقول: (أن للحاكم الحق فى اختيار الرأى الذى يطبق فى البلاد حتى ولو لم يكن الرأى الراجح) وقد استدل بوقائع ثابتة، والفتوى صحيحة، ولكنهم يطلقون للبعض ويحجبونها على البعض الآخر، بمعنى أنهم يطلقون الفتاوى المناسبة لحكام الخليج، حتى يتركوهم ويطلقوا أيديهم ليفعلوا ما يريدون، فهل هذه الفتاوى يمكن السماح للحاكم فى مصر أن يتعامل معها، أو يستعملها؟ (١)

وقد ذُكِرَ على سبيل المثال، وفى إحدى القنوات الفضائية، على لسان الشيخ (نبيل نعيم) أنه قال: (كان جماعة الإخوان وزوجاتهم يجتمعون ببعض الأسر فى بعض دول الخليج، وكانوا فى حينها يطلقون عبارات الجهاد، وكانت الأخوات الإخوانيات يقمن بإلقاء كل ما تقتنيه فى أيديهن وصدورهن وتضعهن فى حجور بعض رجال الإخوان، فيقوم الإخوان بالتهليل، وإطلاق الشعلرات وقول الله أكبر، فيقمن الأخوات الخليجيات بإلقاء ما فى أيديهن، وصدورهن من الذهب، كما فعلت نساء الإخوان، يقول الشيخ: ما كانت تلقيه نساء الإخوان، لم يكن ذهبًا، ولكنه كان قشرة، أى ذهبٍ مضروبٍ).

وقد بلغ دخل (جماعة الإخوان) سنويًا بنحو (مليار، و٢٠ مليون جنيه) من جيوب فقراء التنظيم، لأن الجماعة تعتمد على تمويلات الأعضاء كمصدر رئيسى لتمويلها، حيث تقوم بتجميع اشتراكات من أعضائها كُلٌّ على قدر استطاعته، ويتم تجميع الاشتراكات

(١) مذكرات الأستاذ/ على عشماوى ص: (٣٩).

عن طريق (الأسر، والشعب الإخوانية بالمحافظات) إلى ما يسمى داخل الجماعة (بيت مال الإخوان)، والاشتراكات تتراوح نسبها بين ٧٪، و٨٪، و١٠٪ حسب مرتبات ودخول أعضاء الجماعة، وهناك لجنة مسؤولة عن تجميع أموال الإخوان وصرفها فى الأنشطة التى تقوم بها، ويدفع كل عضو داخل التنظيم ٧٪ من المرتب، أو الدخل الخاص به، ويتم تقسيمها كالتالى: (٥٪ من ذلك الدخل لأنشطة الجماعة، ١٪ لأنشطة حزب الحرية والعدالة، ١٪ لدعم حركة حماس فى فلسطين) وحسب مصادر فى الجماعة، فإن العضو العامل فقط يدفع الاشتراك الشهرى، وعليه فإذا كان عدد أعضاء الجماعة العاملين نحو (٩٥٠ ألف عضو) حسب تصريحات بعض قيادات الجماعة، فإن مقدار الدخل الشهرى للجماعة فى حال ما إذا كان متوسط الاشتراك الشهرى لكل فرد نحو (١٠٠ جنيه) فقط سيبلغ (٩٥ مليون جنيه شهريًا) بما يعادل (مليار، و٢٠ مليون سنويًا)، ومصادر بالجماعة قالت (للتحرير) إن رواتب أعضاء مكتب الإرشاد تصل إلى (٨ مليون جنيه سنويًا) تدفع كمصاريف لمكتب الإرشاد ورواتب موظفيه، ومنهم موظفو الموقع الرسمى للجماعة (إخوان أون لاين) وبعض المواقع التابع لهم على (الإنترنت) ومبلغ (٥ ملايين جنيه) تُمَوَّلُ نفقات ورواتب القائمين بأعمال خاصة، وهم مجموعة من الرجال والنساء يتحفظ مكتب الإرشاد على الحديث عن أسمائهم، أو وضعها داخل أى كشوف لحساسية مراكزهم وهم من نطلق عليهم (الخلايا النائمة) زجال الإخوان فى كل مكان، و(٦ ملايين جنيه) كانت تدفع لوسائل الإعلام، أو بمعنى أصح للقائمين على وسائل الإعلام من مقدمى برامج، ومعدين، ومديرى قنوات، لتجميل وجه الجماعة، ومهاجمة من ترى فيهم الجماعة خطرًا عليها، وأيضًا يمول ذلك المبلغ مصروفات أعضاء (لجان الدعوة الإلكترونية) وهى مجموعة كبيرة من شباب الإخوان تنتشر على (فيسبوك) والمواقع الاجتماعية للدعوة للإخوان، أو للرد على ما ينشر عنهم على تلك المواقع والتى يُطلق عليها لجان (الكترونية)، و(٥ ملايين جنيه) تخصص لمصاريف سفريات أعضاء

البرلمان من الإخوان، وأصبحت ممتلكات الجماعة واستثماراتهم تنتشر فى شتى بقاع المحروسة حيث يشاركون فى فنادق (فيرمونت) بمصر الجديدة، وهو المكان المفضل للقاءات الجماعة، وفندق (سيتى ستار، ومول العرب التجارى بـ٦ أكتوبر)، والعديد من مصانع تجمع السيارات، وسلاسل السوبر ماركت، إضافة للسيطرة على أسواق أجهزة الكمبيوتر، صحيفة (واشنطن بوست) أوضحت فى مقال لها أن ما يظهر من ثروات وأموال (جماعة الإخوان) فى مصر وباقى دول العالم، لا يزيد على كونه الجزء الظاهر من (جبل الثلج) يختفى معظمه تحت الماء، هذه هى خلاصة التحقيق الذى أجراه الصحفى الأمريكى (فرج دوجلاس) الذى عمل فى السابق مديرًا لمكتب صحيفة (واشنطن بوست) فى غرب إفريقيا، تحت عنوان (اكتشاف جزء صغير من إمبراطورية شركات الأوف شور لجماعة الإخوان الدولية) وقدم دوجلاس تقريرًا يُعتبر من أوائل التقارير التى كشفت عن مصادر تمويل الإخوان وفيها أوضح الكاتب أن (الإخوان) نجحوا مع بدايات ظهور البنوك الإسلامية التى ظهرت فى الثمانينيات فى بناء هيكل متين من شركات الأوف شور، والتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من قدرتها على إخفاء، ونقل الأموال حول العالم، فهى شركات يتم تأسيسها فى دولة أخرى غير الدولة التى تمارس فيها نشاطها، وتتمتع هذه الشركاتِ بغموضٍ كبيرٍ، يَجْعَلُهَا بعيدةً عن الرقابةِ [1].

ثانياً: الاستقواء بالخارج للوصول إلى السلطة:

بعد أن اطمأنت (جماعة الإخوان) إلى أن خزائنهم قد تكدست بالأموال، لأن المال عصب الحياة، وبعد أن اطمئنوا أن لهم ميلشياتٍ، أو جيشٍ يحميهم من الداخلِ، وبعد أن حصلوا على ٨٨ مقعدًا من مقاعد مجلس الشعب، أصبح الأمل يحدوهم ناحية السلطة، وامتلاك مصر وإخضاعها إلى قبضتهم، أو سطوتهم، وهذا الأمل لم يكن وليد

(١) جريدة التحرير - الجمعة ٢ أغسطس ٢٠١٣ م - ٢٤ رمضان ١٤٣٤ هـ - (السنة الثالثة) - العدد (٧٦١) ص: (٦).

اللحظة فقط، بل كان هذا الفكر يتملكهم من قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وبسرور أكثر من ستين عامًا لم ينقطع هذا التفكير من مخيلتهم، بل كانوا يَعُدُّونَ لَهُ الْعُدَّةَ كل يوم ويطوعونها جيلاً بعد جيلٍ، وقد استحوذ على تفكيرهم أن ذلك الأمل لا يحصلون عليه إلا بالاستقواء بالخارج، وكانت هذه الفكرة لم تكن مصادفةً، ولكنها كانت قديمة من أيام المرشد الرابع (محمد حامد أبو النصر)، ومن قبله المرشد الأول (حسن البنا) حيث إنه كان عميلاً للمخابرات البريطانية، وقد حصل على مبلغ ٥٠٠٠ جنيه مصرى آنذاك من إيراد قناة السويس التابعة، أو الخاضعة لدولة بريطانيا آنذاك، وكانت هذه أول دفعة تدخل (لجماعة الإخوان) على سبيل التبرعات، وإليك عزيزى القارئ تفاصيل العلاقة بين (جماعة الإخوان)، و(بريطانيا) أولاً، ثم (أمريكا)، وخطة التمكين لحكم مصر: كشفت (عملية الملاءة الرطبة) تفاصيل هذه العلاقة، وما كان فيها من أسرارٍ واتصالاتٍ بين (جماعة الإخوان)، والـ C.I.A تحت تسمية فرقة عملية (الملاءة الرطبة) في الفترة من عام ١٩٨١ حتى عام ٢٠١٣ تأمين مصالح مصر، وقد سميت هذه العملية بمجموعة (الكانفاس) - CANVAS - والتى تُعْنِى في عالم أجهزة الاستخبارات (الخام السرية)، أو مجموعة الأشرعة المجردة في أسرار دولة ما وهؤلاء مثلما ظهروا بالاسم واللقب تِبَاعًا وهم: (إم بابيك - إل جورديش - إم ويلسون - آربهالا - إم دوجرو - واى سعيد - كيه بوخارى - إف بوتون - إس نونان - بى بارسلى - إيه كوليبيا سانو - بى برايسلر - كيه هوبر - كيه كيه بولدين - إن هاجز - كيه فارنهام - إل فيدركا - إم جيرتكن - إيه واج) مع العلم أن ملف العملية ضم اسمين آخرين لعميلين محليين عملاً لحساب وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A في دولة (البوسنة) جُنِّدَا وَدُرِّبَا ثوارًا مصريين شباب وللعميلين علاقةً مباشرةً بثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م وهما الضابط (سلو يودان)، والضابط (سركيب) واللذان عملا سرًّا في شركة إعلامية ما زالت نشطة وتداركوا جهة استخباراتية أمريكية في مدينة (سرايفوا) عاصمة جمهورية

البوسنة والهرسك، وهذه الحقائق موثقة من برقية شديدة الأهمية حُرِّرَتْ من القاهرة تحت رقم ٢١٢٢١٠ من تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٨٦ الساعة العاشرة وثلاثة وأربعون دقيقة مساءً بتوقيت القاهرة صُنِّفَتْ تحت بند (منتهى السرية) وَأُرْسِلَتْ بشكل عاجل إلى واشنطن برقم كود (٧٦٤٨٠)، وقبل نقل تلك الوقائع نوجه عناية القارئ في نفس السياق علاقة (جماعة الإخوان)، (وبريطانيا) حيث كشف في اللقاء الأول الذى دار بين المرشد (أبو النصر) ووكالة الاستخبارات الأمريكية حيث قال: (أن الرئيس (السادات) منح مرشد الجماعة الثالث (عمر التلمسانى) موافقةً خاصةً للاتصال بالسفارة البريطانية في مصر، لكنه رفض بشكل قاطع أن يتصل الإخوان بواشنطن: وأنه استغل موافقة السادات وقام بعقد علاقة سرية مع حكومة رئيسة الوزراء البريطانية (مارجريت تاتشر) غير أن الاتصالات السرية بين الجماعة والحكومة البريطانية لم تتم كطلب السادات في مدينة القاهرة، بل جرت سِرًّا في لندن بمنأى عن أعين الأجهزة الأمنية المصرية، والمثير من واقع بروتوكول ملف عملية (الملاءة الرطبة) أن ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A فاجأوا (أبو النصر) في أول لقاء، وكشفوا له أن (عمر التلمسانى) المرشد العام الثالث للجماعة كان من أقوى وأخلص أصدقاء الولايات المتحدة في مصر ومع ذلك لم يسبق له طلب التعهدات التى أصر (محمد حامد أبو النصر عليها)، بل حرص (التلمسانى) خلال الفترة من عام ١٩٨٤ وحتى عام ١٩٨٦ على التفاعل بشكل أسبوعى منتظم متفق عليه مع ضباط الجهاز الأمريكى في مصر لدرجة أنه قابل أحدهم قبيل وفاته مباشرة وهو على فراش المرض، فبرر (أبو النصر) أنه هدف بطلبه تغطية وتأمين مستقبل الاتصالات السرية مع الولايات المتحدة، وهو التزام الإدارة الأمريكية بصيغة الحاضر والمستقبل السيادية بحماية أسرار العلاقات والاتصالات السرية بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان في مصر، ثم طلب سماع رأى البيت الأبيض في الإسلام السياسى المعتدل ساعيًا للتعرف على متطلبات المصالح الأمريكية في تلك الفترة في مصر، وفى

اللقاء كشف (أبو النصر) ونائبه (مشهور) عن مخاوف (جماعة الإخوان) من بطش وانتقام الجماعات الإسلامية السلفية المتشددة إذا نمى لعلمهم الاتصالات الأمريكية – الإخوانية السرية، وفى مفاجأة من العيار الثقيل وَثَّقَ ملف عملية (الملاءة الرطبة) تعاون (جماعة الإخوان) المصرية على مدى (ثلاثة وثلاثين عامًا بداية من عام ١٩٧٥ وحتى نهاية عام ٢٠٠٨ مع وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A) وأن الجماعة كَرَّسَتْ ذلك التعاون بينها وبين الجهاز الأمريكى لأعوام جمعت فيها لحسابه المعلومات عن الجماعات والفصائل الدينية الإسلامية المتشددة بدعوى محاربة التطرف والعنف الدينى بمنطقة الشرق الأوسط والقضاء على خصومها الإسلاميين المتشددين في مصر، الأمر الذى دفع (فرانسيس ريتشاردونى جونيور) السفير الأمريكى الذى رشحته واشنطن سفيرًا للقاهرة بتاريخ ٢ أغسطس ٢٠٠٥م حيث أُمْلِيَ على (وليام آرستيوارت) الوزير المفوض والمستشار السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة البرقية (منتهى السرية) قيدت برقم ٥٦٢٠ بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠٠٨م كود رقم ٦٤٧٤ سجل فيها رأيه الشخصى كسفير عن (جماعة الإخوان) المصرية إلى الإدارة الأمريكية في واشنطن كتب فيه: (أعتقد بقوة أن جماعة الإخوان المصرية مصابة بمرض (شيزوفرينيا) رفض الواقع السياسى، وأن المرض تمكن من أعضائها بدايةً من مرشدها العام السابع (محمد مهدى عاكف) وحتى أصغر عضو في الجماعة ... انتهى)[1].

وعطفًا على ذلك ما كتبه الأستاذ (ثروت الخرباوى) في كتابه (سر المعبد) حيث قال: في ضحى عام ٢٠٠٣ كنا عند الدكتور (سعد الدين إبراهيم) وكنا ثلاثة لا رابع لنا (مختار نوح، وخالد بدوى، وأنا)، واستقبلنا الرجل خير استقبال، وتصادف أن كان عنده وقتها بعض الزملاء المحامين المنشغلين بحقوق الإنسان أذكر منهم الأساتذة

(١) جريدة الصباح – الاثنين ٥ ربيع أول ١٤٣٥هـ – ٦ يناير ٢٠١٤م – السنة الثانية – العدد: (٢٨) ص: (١٣).

(أحمد عبدالحفيظ، ونجاد البرعى، وفاطمة ربيع) وحين انفردنا بالدكتور هنأناه بسلامة الخروج من السجن، وتذكروا معًا ما كان يدور بينهم من حوارات أهمها ما يتعلق برغبة الإخوان في التقارب من الغرب، ومن الحوار عرفت أن الدكتور (عصام العريان) حين كان في السجن فتح هو الآخر حواراً مع الدكتور (سعد) بهدف التقارب مع أمريكا على وجه الخصوص وأن الدكتور (سعد) وعده بأن يبذل جهده في هذا الأمر [1].

وكان من بين الحوار أن الإخوان كتنظيم له أهدافه، وفكرته، وسيسعون إلى استخدام هذه المنافذ لا ليبحثوا عن حريتهم، ولكن ليصلوا إلى حكم البلاد، فيكون التنظيمُ الحديدىُّ الذى يطوى في داخلهِ أسرارٍ لا يعلمُ أحدًا عنها شيئًا وهو الاستقواء (بأمريكا) لوصولهم إلى الحكم، لا بالاستقواء بالشعب [2].

ثم يستطرد الكاتب قائلاً: وفى أحد الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٥ ذهبت إلى أحد أعضاء مكتب الإرشاد فى بيته وهو من الإخوة الكبار أصحاب التاريخ، وفى هذا اليوم، كان متأثراً مهتاج المشاعر ساخطًا وبعد عبارات الترحيب ابتدرنى قائلاً: (الجماعة بدأت تسير فى هذه الأيام ناحية طريق خطير، تعجبت قائلاً كيف؟ قال: هو علاقتنا بأمريكا أخذت فى التطور، بيننا الآن مراسلات، واتفاقات، قلت: هذا شىءٌ طيبٌ فى رأيى، فأنتم فى أَمَسِّ الحاجة إلى من يخفف عنكم الضغوط الأمنية التى تُمَارَسُ عليكم قال: ولكن الاتفاقات تتجه ناحية تيسير طريقنا نحو الحكم، أمريكا ترغب فى أشياء تريدها منا ونحن نريد منها أشياء، وما تريده مِنَّا يخالف الثوابت التى د فعنا عنها لسنوات، قلت: ومن منكم يتفاوض مع أمريكا؟ قال: (خيرت الشاطر، وعصام العريان) وأحيانًا يكون هناك أشخاص بعينهم يقومون بمهامٍ محددةٍ، قلت: وكيف تسكت على هذا الأمر؟ وكيف يسكت أيضًا الدكتور (عبدالمنعم أبو الفتوح، والدكتور محمد حبيب)؟!

(١) سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوى ص: (١٣٢)

(٢) المصدر السابق ص: (١٣٣).

قال: هذه المعلومات متكتم عليها جدًا حتى أنها لا تصل إلينا، ولا نناقشها فى مكتب الإرشاد وإنما يقوم بها (الشاطر) من وراء ظهورنا، وقد وصلت لى من خلال بعضهم، وكانت رسالة مرسلة من أحد الإخوان المسئولين فى أمريكا إلى (خيرت الشاطر) بها بعض المعلومات الخطيرة، وهم يطلقون على (خيرت) BIG أى: الرئيس والكبير، أو الهام، لذلك الخطاب موجه من إلى .B) [1].

ونص الرسالة، أو الخطاب كالآتى:

السلام عليكم ورحمة الله – تحياتى وأشواقى لجميع الأخوة، أما بعد:

كانت الجهود التى بذلها دكتور (برونلى) أثرًا طيبًا في تقريب وجهات النظر إلى حدٍ كبيرٍ إلا أنه ما زالت بعض الاختلافات في وجهات النظر، وقد ظهر لى أن مستر (أيرلى) مُتَمَتِّعًا إلا أننى أوضحت للأصدقاء الآتى:

١-لن نغير خريطة المنطقة السياسية.

٢-نتعهد بالحفاظ على كل المعاهدات والاتفاقيات، وأبدى الأصدقاء سعادتهم بتصريحات المرشد عن إسرائيل وقالوا عنه: (He – is – a respectable – man) أى: هو يكون رجل محترم.

٣-نقبل وجود إسرائيل بالمنطقة، وقالوا: (أنه ينبغى ألا ننظر إلى إسرائيل، كما تنظر الحكومة إلينا، فلا هى محظورة، ولا نحن محظورون).

٤-أوضحت لهم إصرارنا على أن تقوم الإدارة الأمريكية بدعم التحول الديمقراطى بالمنطقة، وقد ظهر لهم من نتائج المرحلة الأولى أننا أصحاب الرصيد الجماهيرى، وقد أوضح الأصدقاء:

أ- سعادتهم بجرأتنا في تناول قضية الحوار مع أمريكا، وأن التناول كان واقعيًا

(١) المصدر السابق ص: (١٣٦).

إلا أنهم أبدوا استياءهم من مسألة الحوار، وينبغى أن يتم عبر وزارة الخارجية المصرية، وقالوا: إننا ينبغى أن نتخلص من هذه النغمة.

ب- أوصوا بطرح مسألة الحوار مع أمريكا على أوسع نطاق حتى تصبح أمرًا واقعًا، وقتها لن يبحث الناس عن شرعية الحوار، ولكنهم سيبحثون عن نتائج الحوار.

ج- يجب أن يقدم الإخوان الحزب، وأن يكون هذا في خلال عام، وسيمارس الأصدقاء ضغوطًا على الحكومة للموافقة عليه.

د- تدعيم الحوار مع الحزب الوطنى، والتنسيق معه في القضايا الكلية ولا مانع من الاختلاف في الفرعيات.

هـ - ضرورة الحفاظ على الكيان الحاكم وعدم خلخلته دستوريًا، أو شعبيًا، وعدم المساعدة في أيِّ تجمع يسعى إلى إحداث خلخلةٍ للنظام، وينظر الأصدقاء إلى سفر (د- العريان) إلى بيروت في النصف الأول من ديسمبر لإكمال الحوار، وإن لم يتم سيحضر إليكم صحفى أمريكى، وسيقدم نفسه تحت اسم (جون تروتر) بوكالة (S.O.m).

- مطلوب أن يجلس مع (الشاطر ، ومحمود عزت) - حامل الخطاب (حسان) وهو من السودان .

- أرجو عدم الثقة بأى شخصٍ من (C a t R)

والسلام عليكم ورحمة الله

أخوكم

H . a [1]

(١) المصدر السابق ص: (١٣٨-١٣٩).

يقول الكاتب: وقفت كثيرًا عند الجُمل التى تُفيد أن الإخوان يستعينون بأمريكا من أجل الوصول للحكم، وهنا قفزت إلى ذاكرتى العبارات التى قالها الحاج (لاشين أبو شنب) قبل سنواتٍ طويلةٍ من أنه (يجوز الاستعانة بالكفار من أجل الوصول إلى الحق) وقوله قبلها: (إن الحق يجب أن تكون له قوة تحميه، فهل الإخوان يعتبرون أمريكا (الكافر) الذى يصل بهم إلى الحق؟)

وبعد عامين من قصة هذا الخطاب أدلى (عصام العريان) بتصريحٍ لجريدة الحياة اللندنية، قال فيه: (إن الإخوان إن وصلوا للحكم سيعترفون بإسرائيل، وسيلتزمون باتفاقية السلام معها) قال (العريان) نفس الكلام الذى كان مطلوبًا منه، والذى تلقى التعليمات بشأنه من الخطاب المجهول الذى وصل للإخوانِ من شخصيةٍ إخوانيةٍ مجهولةٍ تعمل فى الخفاء مع الإدارة الأمريكية، ولأن هذا التصريح نشرته (جريدة الحياة) فى عيد الفطر المبارك، فلم ينتبه له أحد، إلا أن (عصام سلطان) نائب رئيس (حزب الوسط) كشف عنه ونشره وهاجم العريان بسببه [1].

وإليك عزيزى القارئ خطة التمكين (لجماعة الإخوان) لحكم مصر، والتى رسمها وخطط لها وخطها بإحدى يديه تحت عنوان (فتح مصر).

(فالشاطر)، والذى يَدَّعِى أنه شاطرٌ استباح مصر، واعتبرها أرض بلا شعب، أو أرض للكفار كما شرب من المنهج التكفيرى (لسيد قطب، ومحمد قطب، وتبنى أفكار سيد أبو الأعلى المودودى) وغيرها من الكتب قد ذكرناها سابقًا، فيقول: (أن عليه، وعلى جماعته فتح مصر وضمها إلى إقطاعيات الإخوان ومن سار على دربهم من السلفيين).

قراءة الوثيقة جيدًا تنذر بالخطر الداهم خاصة وأنها تخص المرحلة الأولى من (فتح مصر) والتى تستهدف تأسيس كيان شرعى، أو الحصول على اعتراف بالشرعية، ونشر

(١) المصدر السابق ص: (١٤٠).

الدعوة فى ربوع مصر عن طريق التوسع الأفقى والوصول بعدد الإخوان إلى ما لا يقل عن ٣ ملايين أخ، وكما يقول الشاطر فى خلاصة وثيقته، فإذا ما تم تنفيذ المرحلة الأولى ولو بنسبة عالية، من المستهدف كان من السهل الاستئثار بمشاعر وحماس ما لا يقل عن ٥٠٪ من الشعب المصرى وهو ما يساعد الإخوان على الدخول للمرحلة الثانية من فتح مصر، وحتى يحين ذلك فإن قراءة الوثيقة تذهب بنا إلى عدة أوجه للخطورة يحملها هذا الإخوانى الخطير.

الأول: أن الجماعة تذهب لتصفية كل التيارات الإسلامية فى الساحة بالضم، أو بالتفريغ، أو الاحتواء، مع إدراكٍ كاملٍ لأهميةِ أن يظهر الإخوان أمام الناس فى صورة من يمثل الإخوان وحدهم دون غيرهم حتى تستقر تلك الصورة فى أذهان الجماهير وبالتالى تنتفى تدريجيًا عن الآخرين أى صلة بالعمل الإسلامى، أى أن الإخوان يصبحون الإسلام، والإسلام هو الإخوان، وكما قال المرشد لإخوانه: (إذا عرفكم الناس عرفوا الإسلام، وإذا جهلوكم جهلوا الإسلام).

الثانى: استخدام التخفى والتمويه فى الغايات والأهداف وليس فى الوسائل، حيث يؤكد (الشاطر) أن المرحلة السرية فى الجماعة انتهت ودخل الإخوان فى مرحلة العلنية.

الثالث: وهذه النقطة هى الأخطر، أى: أن الجماعة قررت إقامة قنواتِ اتصالٍ بالحزب الحاكم وبشخصياتٍ نافذةٍ فى العمل السياسى، والأدهى أن نائب المرشد يذهب إلى أن هذا الأمر قد تم!! مع استخدام طريقة المسكنات والمهدئات مع الحكم وباقى المؤسسات والأحزاب المدنية.

الرابع: تجريح المخالفين واتهامهم بالرشوة والعمالة لتحييد معظم المختلفين وإسكات البعض الآخر، واختراق المؤسسات الصحفية القومية والتوافق مع بعض المؤسسات المستقلة.

الخامس: وفى المرحلة الأولى توقع الإخوان أن يدخل البرلمان ما لا يقل عن خمسين أخًا فقط، تلك كانت أمانيهم وتوقعاتهم، وأسسوا عليها المرحلة الأولى من (فتح مصر) وبعد أن وصلوا إلى ٧٦ مقعدًا يبحثون الآن تسريح عملية (فتح مصر).

وإليك عزيزى القارئ نَصَّ الوثيقة:

- الإخوان المسلمون
- فتح مصر
- برنامج عمل
- مقدمة

لا ينبغى لأحدنا أن ينزعج من صيحات أعداء الدعوة وتربصهم بنا، وكيدهم لنا، فهذا أمر منطقى اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الفرقان: ٣١) كما قال تعالى فى شأن أعداء الدعوة: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

مبدأيات

فى ظل هذا الصراع والتدافع ينبغى أن يعلم الإخوان

١. حتمية المحنة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢) ... وقافلة الإخوان لم يكن من شيمتها الجبن والخوف والهروب، لأنها كانت وما زالت مستعلية بإيمانها فوق الظروف.

٢. وحدة العمل الإسلامى فريضة شرعية، وقد أشار الحاج (مصطفى مشهور) عليه رحمة الله إلى وجوب توحيد العمل الإسلامى تحت رايةٍ واحدةٍ، وأشار الأستاذ (فتحى يكن) إلى أن وحدة العمل الإسلامى من الفرائض التى نتعبد بها لله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

تفريعات:

(١) عن حتمية المحنة:

أ- وجوب الصبر عند المحن والابتلاءات.

ب- الخروج من دائرة الصبر السلبى إلى الصبر الإيجابى.

ج- الالتزام بالدعاء لله فى كل الأوقات.

د- إدراك أن الصبر كما يكون عند المحنة يكون أيضًا على الطاعة، وكما يكون فى الابتلاء يكون أيضًا فى الرخاء.

هـ - إدراك أن المحن تدارى الأخطاء والرخاء يظهرها.

(٢) عن وحدة العمل الإسلامى وخطر التعددية، وقد أجملها (فَتْحِى يَكَنْ) فى الآتى:

أ- أعطت التعددية كثيرًا من المسلمين مبررات الهروب من الانتماء الحركى.

ب- فتت القوى الإسلامية وأضعفتها.

ج- سهلت على أعداء الإسلام عملية تصفية الاتجاه الإسلامى باستفراد كل كيان على حدة.

د- أفرزت حساسيات ومنافسات لدى أتباع كل تنظيم من آخر.

هـ - أدت إلى تأخر العمل الإسلامى.

من هنا ينبغى علينا أن ندرك وجوب تصفية أى إسلامى آخر إما بضمه، أو تفريغه، أو احتواءه مع عدم استعجال النتائج، كما يجب أن ندرك أهمية أن نظهر أمام الناس فى صورة من يمثل الإسلام وحدنا دون غيرنا حتى تستقر الصورة أمام الجماهير، وبالتالى تُنْفى تدريجيًا عن الآخرين.

حركيات:

(١) وجوب استخدام التخفى والتمويه لتحقيق خطة التمكين كما فعل الرسول ﷺ، ولا يعنى فى الخفاء، لأن هذه المرحلة انتهت أسبابها ودخلنا مرحلة العمل العلنى، ولكن التخفى والتمويه يكون فى الأهداف والغايات، لا فى الوسائل.

(٢) استخدام المرحلية، أى التدرج فى الخطوات، والمرحلية تعنى إقامة محطات الدعوى كما فعل الرسول ﷺ.

المرحلة الأولى لفتح مصر:

الحركة:

(١) إقامة قنوات اتصال بين الإخوان والحزب الحاكم وبشخصيات نافذة فى العمل السياسى وقد تم هذا الأمر، وتم وضعه فى الاعتبار وهو فى إطار التنفيذ والاستفادة من هذه القنوات فى إتاحة أكبرها مش من الحرية لحركة الإخوان فى الشارع.

(٢) استخدام طريقة المسكنات والمهدئات مع النظام الحاكم وباقى المؤسسات والأحزاب المدنية.

(٣) شغل الرأى العام بالإخوان واستخدام النقد الإعلامى الذى يتم توجيهه لنا فى خلق حالة من التعاطف حولنا.

(٤) استثمار التعديل الدستورى وانتخابات الرئاسة فى إثارة حالة من الجدل حول الإخوان.

(٥) الاستفادة من حالة (الامتداد الإعلامى) والميديا العالمية فى خلق مساحة من الحرية لحركة الإخوان فى المجتمع.

(٦) الدفع بعدد كبير من الإخوان لخوض الانتخابات البرلمانية والاستفادة من هذا الطرح اسم الإخوان والشعار على أوسع نطاق والإعلان عن إنشاء مكاتب إدارية

للإخوان فى المحافظات.

(٧) إثارة حالة من الجدل حول شعار الإسلام هو الحل واسم الإخوان والمصحف والسيفين.

(٨) تجريح المخالفين واتهامهم بالرشوة والعمالة لتحييد معظم المختلفين وإسكات البعض الآخر.

(٩) موالاة اختراق المؤسسات الصحفية خاصة الحكومية منها والتوافق مع المؤسسات المستقلة.

(١٠) استثمار الانتخابات فى الدعوة والترويج لحتمية الحل الإسلامى وعالمية الدعوى واستخدام المساجد على أوسع نطاق.

(١١) استخدام النقابات المهنية والمنظمات المدنية فى خق هامش كبير للحركة.

(١٢) ديمومة الاتصال بحركات حقوق الإنسان الدولية.

المرحلة الأولى لفتح مصر: الشرعية والمستهدف المبدئى.

من المتوقع أن يدخل إلى البرلمان ما لا يقل عن خمسين أخ وهو ما يتيح لنا:

(١) تأسيس كيان شرعى، أو الحصول على اعتراف بشرعية مسموحة.

(٢) نشر الدعوة فى ربوع مصر عن طريق التوسع الأفقى.

(٣) الوصول بعدد الإخوان إلى ما لا يقل عن ثلاثة مليون أخ، فإذا ما تم تنفيذ المرحلة الأولى ولو بنسبة عالية من المستهدف كان من السهل الاستئثار بمشاعر وحماس ما لا يقل عن ٥٠٪ من الشعب المصرى وهو ما يساعد على الدخول للمرحلة الثانية فى فتح مصر.

توقيع

خيرت الشاطر[1]

(١) شبكة الانترنت والمأخوذ من مجلة المصور فى ٢ ديسمبر ٢٠٠٥م.

(تَعْلِيقٌ عَلَى وَثِيقَةِ الشَّاطِرِ)

أولاً: التعليق على عنوان الوثيقة، والمسمى بفتح مصر، فنقول (للشاطر):

- ما المقصود بكلمة فتح مصر؟
- هل مصر مغتصبة وأنت وجماعتك ستفتحها؟

يا من يُقال عليك (الشاطر)كلمةُ الفتحِ لا تُطلق إلا على البلاد التى فتحها محمد ﷺ وصحابته الكرام لإخراج هذه البلاد من عبادةِ العبادِ، إلى عبادةِ رَبِّ العبادِ، كما كان يرسل محمد ﷺ رسله إلى الفرس والروم وغيرها من البلدان التى كانت تُعبد من دون الله، وكذلك فتح مصر على يد (عمرو بن العاص)، وفتح مدينة (إيليا) فى القدس وتحرير بيت المقدس على يد (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - ومصر بفضل الله تعالى تعبد رب العباد بفطرتها السليمة دون أدنى شك فى ذلك ومعنى كلامك هذا أن فى ظنك أنت وجماعتك القائمون على الإسلام، وأنتم الذين ستقيمون الخلافة الإسلامية ومركزها القدس، كما قال بعض الكذابين المنتسبين إلى جماعتك، فأنتم تتصورون أنكم أنتم الوحيدون القائمون على الإسلام وحدكم، وغيركم هم الكفار، أى: بقية مِصْرَ هُمُ الكفار، كما يصورُ لك ولجماعتك تلك الأفكار المريضة بتكفير مصر، وما أخذتموه من التكفيريين من كتب (سيد قطب، ومحمد قطب، ورسائل البنا، وفكر سيد أبو الأعلى المودودى) وغيرهما من الكتب التى ذكرناها سابقًا، فهذه أفكارٌ مريضةٌ، وما أصدق مقالة (وليام آر ستيوارت) الوزير المفوض والمستشار السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة بالبرقية (منتهى السرية) والتى قيدت برقم (٥٦٢٠) بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠٠٨ كود رقم (٦٤٧٤) وقد سجل فيها رأيه الشخصى كسفير عن (جماعة الإخوان) المصرية إلى الإدارة الأمريكية فى واشنطن كتب فيه: (أعتقد أن جماعة الإخوان المسلمين المصرية مصابة بمرض شيزوفرينيا) (والشيزوفرينيا Schizophrenia -) أى: رفض الواقع السياسى وتتعدد حالاتها المرضية إلى: إنفصام الشخصية - الشخصية المتعددة - الشخصية غير المنتظمة - تعدد الشخصية الفصامى، وتتمثل هذه التعددية في شخصٍ واحدٍ، ولكلِّ هويةٍ

إدراكُها وتفاعلها مع البيئة بشكلٍ مختلفٍ، ونكمل ما قالهُ (وليام) بقوله: (وأن المرض تمكن من أعضائها بداية من مرشدها (محمد مهدى عاكف) وحتى أصغر عضو في الجماعة) وأما عن بقية بنود الوثيقة فشرحها يدور في أربعة محاور رئيسية، قد كُتبت في ذلك الكتاب قبل ذلك، وسأترك للقارئ أن يسترجعها في الآتى:

(١) الفاشية الدينية.

(٢) الماسونية العالمية.

(٣) قراءة رسالة المؤتمر الخامس (لحسن البنا).

(٤) فكر التقية، والمأخوذ من فكر الشيعة.

ولأن (آية الرأى الهوى، والغرض مرض) فنجد أن قراءة الإخوان عن الإسلام يتداخلها الهوى، ولأن جماعة الإخوان تهوى من زمنٍ بعيدٍ (السلطة)، فأصبحوا يقرأون الإسلام بأهوائهم، لا بأفئدتهم فيبذلون قصارى جهدهم فى الحصول على هذا المطلب بأى شكل، وبأى ثمن مهما كلفهم ذلك، ولا يهمهم فى الحصول عليه بالرشوة، أو بالتزوير، أو بالكذب، وَسَنُعَوِّلُ على ذلك فى قراءاتٍ بسيطةٍ.

- ألم يُنشر فى الصحف أن الإدارة الأمريكية والمتمثلة فى الرئيس الأمريكى (باراك أوباما) أنها منحت (جماعة الإخوان) ما يقرب من ١٠ مليارات جنيه فى الدعاية الانتخابية بغيرِ وجهِ حَقٍّ وعلى خلاف القانون لأنها جماعة محظورة، وأكد المرشح الجمهورى السابق للرئاسة الأمريكية (ميت رومنى) أن إدارة (أوباما) دعمت الإخوان فى مصر بما يقرب من مليار، ونصف المليار دولار، ألم تكن هذه رشوة (يا مرسى) وما الثمن لهذه الرشوة؟ ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ: (الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى وَالرَّائِشُ فِى النَّارِ) والرائش هو الوسيط الذى يسهل المأمورية لمن يقومون بها.

- ألم تقم أنت وجماعتك أثناء الدعاية الانتخابية عند ترشحك لرئاسة الجمهورية بعرض مشروع (النهضة) واتضح أنك لا تفهم أنت وجماعتك أى شىءٍ عن هذا المشروع، واتضح أنه (الفنكوش) الذى قال عنه (عادل إمام) فى أحد أفلامه، ألم يكن

هذا هو الخداعُ والكذبُ بعينه؟ ألم يحذر رسول الله ﷺ من مغبة الكذب تحذيرًا شديدًا فقال: (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا) (١).

وقال أيضًا: (إِيَّاكَمُ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِى النَّارِ) (٢).

- هل الإسلام علمك (يا مرسى) أن تتسبب فى قتل النفس التى حرّم الله قتلها إلا بالحق، وأن تحرق منشآت الدولة، وأن تقوم بالتخابر مع أفراد حماس، حيث أحرقوا ٢٨ قسمًا، واقتحموا السجون، وقاموا بتهريب المساجين من سجن ليمان ٤٣٠ وادى النطرون، والذى فَرَرْتَ أنت ومن معك من مكتب الإرشاد، وبعض أفرادٍ من (حماس) حيث قام ملثمون باقتحام السجون وكانوا يرددون لهجات أعرابية، واستخدموا بعض اللودرات فى هدم السجون وفتح الزنازين، وإرهاب المساجين بإطلاق أعيرةٍ ناريةٍ فى الهواء لإجبارهم على الهروب، مما أدى إلى إصابة بعض المسجونين، وأفرادٍ من الشرطة، الأمر الذى أدى إلى إحالة القضية إلى النيابة العامة للتحقيق فيها، وإحالتها إلى محكمة الجنايات، وسيحاكم (مرسى) ومن معه من أعضاء مكتب الإرشاد على هروبهم من السجن يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ بعد انسحاب الشرطة يوم ٨ يناير ٢٠١١م، وسيقول القضاء قولته والحكم عليهم يوم ٢٨ يناير الحالى ٢٠١٤ والله يهدى هؤلاء القضاة إلى الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ (يونس: ٣٥).

- هل الإسلام علمك (يا مرسى) أن تحصل على ما تبغيه بالتزوير أنت وجماعتك؟

عندما دار حوار مع الدكتور (سعد الدين إبراهيم) عن ما يتردد فى أن الفريق (أحمد شفيق) هو من كان فائزًا فى انتخابات الرئاسة، وأن تهديداتٍ ما وصلت للجنة العليا للانتخابات الرئاسية؟

(١) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء فى الأدب المفرد للبخارى، ومسلم، والترمذى عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، وجاء فى مختصر مسلم برقم: (١٨٠٩)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٤٠٧١).

(٢) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد، وجاء فى الأدب المفرد للبخارى، وابن ماجه عن أبى بكر - رضي الله عنه - وجاء فى الروض النضير برقم: (٩١٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم: (٤٠٧٢).

يقول: هذا حقيقيٌّ، و(شفيق) كان فائزًا فى سباق الرئاسة، ولدينا ٧ آلاف مراقب، وهذا العدد أعدَّ تقارير منفصلة تقول: إن الفريق (شفيق) كان متقدمًا فى عدد الأصوات عن الرئيس (مرسى) بـ٣٠ ألف صوت فى جولة الإعادة، لكن الإخوان هَدَّدُوا أعضاء اللجنة العليا للانتخابات بتحويل ميدان التحرير إلى بحور دم وتفجير مجمع التحرير، والمتحف المصرى، فكان أعضاء اللجنة حريصون على سلامة الوطن، وهو ما خضع له أيضًا المجلس العسكرى إيثارًا لسلامة الوطن.

وعندما سُئِلَ: لماذا لم تعلن النتيجة للرأى العام؟

أجاب قائلاً: عندما خرجت اللجنة العليا للانتخابات بالنتيجة النهائية وَقَبِلَهَا (شفيق) اضطررنا لإخفاء نتيجة هذه التقارير عن الرأى العام واكتفينا بنشر هذه المعلومة داخليًا فى المركز، حتى لا تعمل (غلوشة) للرأى العام فى المرحلة الحرجة، فلقد كان يهم الجميع سلاسة انتقال السلطة دون عراقيل.

ولما سُئِلَ: لماذا لم يستخدم الفريق (أحمد شفيق) هذه النتائج للدفاع عن أحقيته فى الرئاسة؟

أجاب قائلاً: هو بالفعل تقدم بهذه الأوراق للمحكمة، كأحد المستندات ضمن أوراق القضية التى يُباشرها (شفيق) حاليًا مع محاميه ضد إعلان نتيجة الانتخابات حيث قام النائب العام الملاكى بوضع لقضية فى درجه الخاص ولم يُولِ بها اهتمامًا [1].

ومصداقًا لما قِيل فى ذلك الشأن أن صحيفة (معاريف الإسر ئيلية) قد اعترفت أن نتيجة الانتخابات الرئاسية بين (شفيق، ومرسى) كانت نسبة نجاح (مرسى) ٤٠٪ وليست ٥١,٨٪ كما يَدَّعُونَ إذن النتيجة العادلة هى نجاح (شفيق) وأن النتيجة قُلبت لصالح (مرسى) ونجح (مرسى) بالتزوير، وجاء بليلٍ، وفى غفلةٍ، وذهولٍ لكل المصريين، ما عدا جماعته ومن يوالوهم ودخل قصر الاتحادية، وأصبح رئيسًا لجمهورية مصر العربية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢ وتحقق حلم جماعته الذين سَعَوْا إلى تحقيقه على مدى الـ٨٤ عامًا الماضية.

(١) الفيس بوك – صفحة الموجز سعد الدين إبراهيم، فى حواره لجريدة الوطن.